

عقود الجمان

في

دروس شهر رمضان

٤٠ درساً في رمضان:

فضائل وآداب، مسائل وأحكام، مواعظ وتوجيهات، نوازل معاصرة

تأليف

الشيخ الأستاذ الدكتور

سعد بن تركي الجهني

استاذ الفقه في كلية الشريعة بجامعة الإمام
والمدرس في الحرمين الشريفين



عُقُودُ الْجَمَانِ

بِإِذْنِ

دُرُوسِ شَهْرِ رَمَضَانَ

٤٠ درساً في رمضان:

فضائل وآداب، مسائل وأحكام، مواعظ وتوجيهات، نوازل معاصرة

ح دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع، ١٤٤٤ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الختلان ، سعد بن تركي

عقود الجمان في دروس شهر رمضان

سعد بن تركي الختلان - ط ١ - الرياض، ١٤٤٣ هـ

٢٩٦ ص: ٢٤×١٧ سم

ردمك: ٧-١-٩١٦١٤-٦٠٣-٩٧٨

١- الصوم ٢- الوعظ والإرشاد أ. العنوان ب. السلسلة

١٤٤٤ / ٦٤٢١

ديوي ٣، ٢٥٢

رقم الإيداع: ١٤٤٤ / ٦٤٢١

ردمك: ٧-١-٩١٦١٤-٦٠٣-٩٧٨

جَمِيعُ الْحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبَعَةُ الْأُولَى

(١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٣ م)

دَارُ أَطْلَسِ الْخَضْرَاءِ
لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

المملكة العربية السعودية - الرياض

٠٠٩٦٦ ٥٤ ٤٨٩٦٦٥٤

daratlas.sa

@dar-atlas

dar-atlas@hotmail.com

عَقُودُ الْجَمَانِ

٤٠

دُرُوسِ شَهْرِ رَمَضَانَ

٤٠ درساً في رمضان:

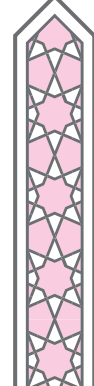
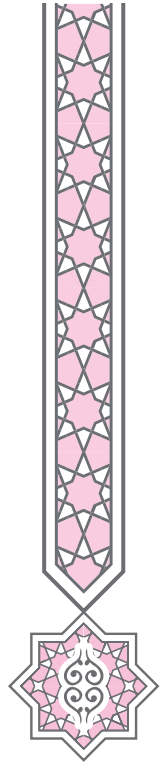
فضائل وآداب، مسائل وأحكام، مواعظ وتوجيهات، نوازل معاصرة

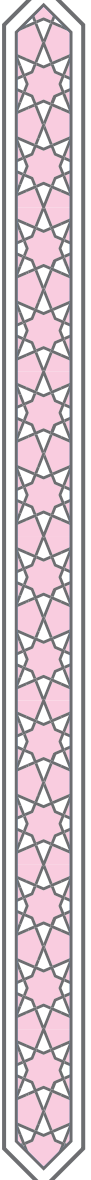
تَأليفُ

السَّيِّحِ الْأَسَازِ الرَّكْرَكِيِّ

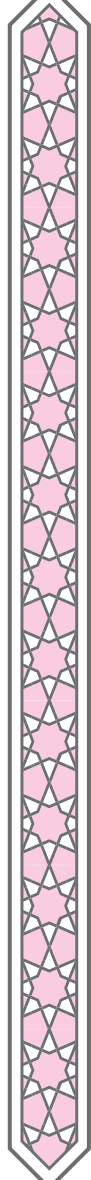
سَعْدُ بْنُ تَرْكِي الْخِثْلَانِي

أستاذ الفقه في كَلِيَّةِ الشَّرِيعَةِ بِجَامِعَةِ الْإِمَامِ
وَالْمُدْرَسِ فِي الْحَمَيْنِ الشَّرِيفِيْنَ





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





مَقَدِّمَةٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهِدْيِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَبَعْدُ:

فَإِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ وَعَشْرَ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ مَوَاسِمِ مِضَاعِفَةِ الْأَجُورِ
وَالْحَسَنَاتِ، وَمِنْ مَوَاسِمِ التَّجَارَةِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ،
وَعَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ مَسْئُولِيَّةٌ كَبِيرَةٌ فِي حَثِّ النَّاسِ عَلَيَّ اغْتِنَامِ هَذِهِ
الْمَوَاسِمِ وَتَذْكَيرِهِمْ بِفَضَائِلِهَا وَذِكْرِ أَمْزَجِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِيهَا مِنْ
مَسَائِلَ وَأَحْكَامٍ، وَلِذَلِكَ قَمْتُ بِإِعْدَادِ هَذَا الْكِتَابِ لِلتَّيْسِيرِ عَلَيَّ طُلَّابِ
الْعِلْمِ وَالِدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَمَا يَرِيدُونَ تَوْجِيهَ الْعَامَّةِ، وَجَعَلْتُ هَذَا
الْكِتَابَ فِي أَرْبَعِينَ دَرَسًا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِتْنَوَعَةً مَا بَيْنَ ذِكْرِ فِضَائِلِ
وَخِصَائِصِ وَأَحْكَامِ وَنَوَازِلَ وَتَوْجِيهَاتٍ، وَجَعَلْتُ لِعَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ
ثَلَاثَةَ عَشَرَ دَرَسًا تُقْرَأُ مِنْ أَوَّلِ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ إِلَى الْيَوْمِ الثَّلَاثِ عَشَرَ
مِنْهَا، وَخَتَمْتُ الْكِتَابَ بِدَرَسٍ عَنِ فِضَائِلِ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ.

وقد تميَّزَ هذا الكتابُ بما يأتي:

(١) ذكرُ نوازلِ الصَّيامِ والمسائلِ المستجدَّةِ فيه.

(٢) الجمعُ بينَ تبينِ الأحكامِ الفقهيَّةِ والوعظِ والتَّوجيهِ

والإرشادِ.

(٣) سهولةُ العبارةِ بحيثُ يكونُ مناسباً لجميعِ الشَّرائحِ معَ

تركيزِ مادَّتهِ العلميَّةِ مِنْ غيرِ تطويلٍ.

واللهُ أسألُ أنْ يجعلَ هذا الكتابَ خالصاً لوجههِ الكريمِ وأنْ

يكتبَ له القبولَ وأنْ يوفِّقَ الجميعَ لِمَا يَحِبُّ ويرضَى.

كتبه

أ.د. سعد بن تركي الشهرستاني

الأستاذ في كلية الشريعة

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

والمدرس في الحرمين الشريفين

الرياض ٢٨ / ٢ / ١٤٤٤هـ.

٢٤ / ٩ / ٢٠٢٢م.



• الدَّرْسُ الْأَوَّلُ •

استقبَالُ شهرِ رَمَضَانَ

الحمدُ للهِ أَهْلَ عَلَيْنَا شهرِ الصَّيَامِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى خَيْرِ
الْأَنَامِ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ مَنْ صَامَ وَقَامَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَطْهَارِ
الْأَبْرَارِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ حَلَّ عَلَيْنَا ضَيْفٌ كَرِيمٌ، وَمَوْسِمٌ مِنْ مَوَاسِمِ التَّجَارَةِ مَعَ اللَّهِ
عَزَّوَجَلَّ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ
هُدًى لِلنَّكَاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ ^(١)، فِيهِ تُضَاعَفُ
الْحَسَنَاتُ، وَتُرْفَعُ الدَّرَجَاتُ، وَتُكْفَرُ الْخَطَايَا وَالسَّيِّئَاتُ، وَتُغْفَرُ
الزَّلَّاتُ، وَتُعْتَقُ الرِّقَابُ مِنَ النَّارِ.

وَمِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ **عَزَّوَجَلَّ** عَلَى الْعَبْدِ أَنْ بَلَغَهُ هَذَا الشَّهْرَ الْكَرِيمِ، هَذِهِ
النَّعْمَةُ حُرْمَتُهَا أَنَسٌ انْقَضَتْ آجَالُهُمْ، وَانْتَقَلُوا بِالْمَوْتِ مِنْ دَارِ الْعَمَلِ

(١) سورة البقرة (الآية: ١٨٥).

إلى دارِ الجزاءِ والحسابِ، ومنَ عالمِ الدُّنيا إلى عالمِ الآخرةِ، فكمَ منَ أناسٍ صامُوا معنا شهرَ رمضانَ منَ العامِ الماضي، ولم يُدرِكُوا شهرَ رمضانَ هذا العامَ، فهُمُ الآنَ في قُبورِهِم مُرتَهونَ بأعمالِهِم.

أيُّها الإخوةُ: بالأمسِ القريبِ كُنَّا نستقبلُ شهرَ رمضانَ منَ العامِ الماضي، وحلَّ شهرُ رمضانَ وانقضى، ومضتْ تلكَ الأيامُ والليالي، وهانحنُ نستقبلُ شهرَ رمضانَ منَ هذا العامَ، وسبحانَ الله! ما أسرعَ مرورَ الليالي والأيامِ! وهكذا يتصرَّمُ العمرُ، تمرُّ أيامُه ولياليه سريعاً، وتمضي جميعاً، ولا بدَّ في النِّهايةِ مِنَ التَّوقُّفِ للقاءِ الله **عَزَّوَجَلَّ** ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ﴾ (١).

إنَّ شهرَ رمضانَ فرصةٌ عظيمةٌ للتَّوبةِ والإنابةِ، وفرصةٌ عظيمةٌ لمحاسبةِ النَّفسِ، وتدارِكِ ما تبقي منَ العمرِ، والتَّزوُّدِ بزادِ التَّقوى، فليحرصِ المسلمُ على الاهتمامِ بتنظيمِ وقتهِ في هذا الشَّهرِ، وليحرصِ على مُشاركةِ نفسهِ على ألا يمرَّ عليه يومٌ منَ أيامِ هذا

(١) سورة الانشقاق (الآية: ٦).

الشَّهْرِ وَلِيَالِيهِ إِلَّا وَقَدْ تَزَوَّدَ فِيهِ بِزَادِ التَّقْوَى، وَقَدَّمَ أَعْمَالًا صَالِحَةً يَغْتَبِطُ بِهَا يَوْمَ يَلْقَى رَبَّهُ، وَلِيُقَدَّرَ بِأَنَّهُ رَبَّمَا يَكُونُ هَذَا هُوَ آخِرَ رَمَضَانَ يَصُومُهُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ.

ثُمَّ لِيَحْرَصِ الْمُسْلِمُ عَلَى التَّخَفُّفِ مِنْ أَشْغَالِ الدُّنْيَا فِي هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ؛ فَإِنَّ أَشْغَالَ الدُّنْيَا لَا تَنْقُضِي؛ وَذَلِكَ لِأَجْلِ أَنْ يُمْنَحَ مَزِيدًا مِنَ الْوَقْتِ لِلْعِبَادَةِ، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ شَهْرَ رَمَضَانَ يَتَضَاعَفُ جُودُهُ «كَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ»^(١).

فِيَنْبَغِي لَكَ أَخِي الْمُسْلِمُ مَعَ دُخُولِ هَذَا الشَّهْرِ الْكَرِيمِ أَنْ يَزِيدَ نَشَاطَكَ فِي الْعِبَادَةِ وَفِي الطَّاعَةِ وَفِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَأَنْ تَكُونَ حَالِكَ فِي رَمَضَانَ خَيْرًا مِنْ حَالِكَ قَبْلَ رَمَضَانَ.

إِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ مَدْرَسَةٌ تَرْبِيَّةٌ لِلْمُسْلِمِ، يَتَرَبَّى فِيهَا عَلَى كَرِيمِ الْخِصَالِ، وَعَلَى الْبُعْدِ عَنِ الْمَعَاصِي، وَعَنْ رِذَائِلِ الْأَعْمَالِ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦)، ومسلم برقم: (٢٣٠٨) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ»^(١)، وقولُ الزُّورِ: يشمُلُ المعاصيَ القوليَّةَ، والعملُ به: يشمُلُ المعاصيَ الفعليَّةَ، ومعنى هذا الحديث: أن مَنْ لَمْ يتأدَّبْ بِآدابِ الصِّيَامِ، وكثُرَ مِنْهُ وقوعُ المعاصيِ القوليَّةِ أو الفعليَّةِ ولمْ يحترمِ الصَّومَ فَإِنَّهُ قَدْ يَصِلُ للمرحلةِ الَّتِي ذَكَرَهَا النَّبِيُّ ﷺ وهي: أَنَّهُ لَا يُؤَجِّرُ وَلَا يُثَابُ عَلَى صِيَامِهِ هَذَا، وَإِنْ كَانَتْ تَحْصُلُ بِهِ بَرَاءَةُ الذَّمِّ، بسببِ عدمِ احترامِهِ للصِّيَامِ، وتجرُّئِهِ عَلَى الوقوعِ فِي المعاصيِ وهوَ صائمٌ، فعلى المسلمِ أَنْ يتأدَّبَ بِآدابِ الصِّيَامِ، وَأَنْ يَجْتَنِبَ المعاصيَ عموماً فِي كُلِّ وقتٍ، ويتأكَّدُ ذلكَ أثناءَ الصِّيَامِ، وبهذا فَإِنَّ الصَّومَ يُحَقِّقُ هذا المعنى التَّربويَّ للمسلمِ، وهوَ أَنَّهُ يَتَرَبَّى عَلَى تركِ المعاصيِ، وَعَلَى فعلِ الطَّاعاتِ فِي مدرسةِ الصَّومِ.

وشهرُ رمضانَ فرصةٌ لأنْ يَتَفَقَّدَ المسلمُ نَفْسَهُ، ويحاسبَهَا عمَّا مَضَى مِنَ العَمْرِ ويتداركُ مَا تَبَقَّى، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنقُوا اللهُ وَتَنْظُرُ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾^(٢).

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٨٠٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة الحشر (الآية: ١٨).

أخي المسلم: احرص مع بداية هذا الشهر على أن تتخذ قرارًا حاسمًا مع نفسك بأن تزود بالطاعات فإن مثل هذا القرار يعين الإنسان على فعل الطاعات، وهو العزيمة على الرشد التي كان النبي ﷺ يدعو بها، فمثلًا: مع بداية شهر رمضان تتخذ قرارًا بأن تصلي صلاة التراويح كلها مع الإمام جميع ليالي الشهر، وتتخذ قرارًا بأن تخطم القرآن مرة أو عدة مرات في هذا الشهر، وهكذا، فإن المسلم بهذا التخطيط وبهذه العزيمة ما إن ينقضي شهر رمضان إلا وقد تزود بأعمالٍ صالحةٍ عظيمةٍ يغتبطُ بها يومَ يلقي ربه.

ولأبأس أن يهنئ المسلم أخاه المسلم بشهر رمضان، فإن التهنة من العادات، والأصل في العادات الجُلُّ والإباحة، ثم إن المسلم يهنأ بما يسره، ولا شك أن المسلم يسرُّ ويغتبطُ بنعمة الله عليه ببلوغ هذا الشهر المبارك.

اللهم وفقنا لصيام رمضان وقيامه على الوجه الذي يرضيك، وفقنا فيه لما تحبُّ وترضى من الأقوال والأعمال، وصلى الله على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلّم.



• الدَّرْسُ الثَّانِي •

خِصَائِصُ شَهْرِ رَمَضَانَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اخْتَصَّ شَهْرَ رَمَضَانَ بِفَضِيلَةِ الصَّيَامِ، وَجَعَلَهُ شَهْرًا تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَانِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ النَّيْرَانِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ خَيْرٌ مِّنْ صَلَّيْ وَصَامَ، وَتَهَجَّدَ وَقَامَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْكِرَامِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ لَهُ خِصَائِصٌ عَظِيمَةٌ اخْتَصَّه اللهُ بِهَا عَنْ بَقِيَّةِ شَهُورِ الْعَامِ، وَأَبْرَزُ هَذِهِ الْخِصَائِصِ مَا يَأْتِي:

(١) أَنَّهُ أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ

فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ (١).

وَمَعْنَى نَزُولِ الْقُرْآنِ فِي رَمَضَانَ أَي: ابْتِدَاءِ نَزُولِهِ عَلَى الْقَوْلِ

الرَّاجِحِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ.

(٢) أَنَّهُ يُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ.

(١) سورة البقرة (الآية: ١٨٥).

(٣) أَنَّهُ تُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ النَّارِ.

(٤) أَنَّهُ تُسَلْسَلُ فِيهِ الشَّيَاطِينُ وَتُصَفَّدُ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فَتُحْتُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ»^(١). وَفِي رِوَايَةٍ: «إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ، وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ»^(٢).

فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانُ اخْتِصَاصِ شَهْرِ رَمَضَانَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ وَهِيَ: فَتْحُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ؛ لِكثْرَةِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَرْغِيبًا لَهُمْ فِي ذَلِكَ، وَغُلْقُ أَبْوَابِ النَّارِ، رَحْمَةً بِالْمُؤْمِنِينَ؛ لِقَلَّةِ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ بِرَقْمٍ: (٣٢٧٧)، وَمُسْلِمٌ بِرَقْمٍ: (١٠٧٩).

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِرَقْمٍ: (٦٨٢)، وَالنَّسَائِيُّ بِرَقْمٍ: (٢١٠٧)، وَابْنُ مَاجَةَ بِرَقْمٍ: (١٦٤٢) مِنْ

حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَانَ بِرَقْمٍ: (٣٤٣٥)، وَالْحَاكِمُ بِرَقْمٍ:

اقتَرَفَهُمُ الْمَعَاصِي فِي هَذَا الشَّهْرِ، وَتَصْفِيدُ الشَّيَاطِينِ فَلَا يَخْلُصُونَ فِيهِ إِلَّا مَا كَانُوا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِ فِي غَيْرِهِ.

(٥) أَنَّهُ فِيهِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، «وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (١).

(٦) أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اخْتَصَّهُ بِفَرِيضَةِ الصَّيَامِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ الْمُقَرَّبَةِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي» (٢).

(٧) أَنَّ مَنْ صَامَهُ وَقَامَهُ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (٣).

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٩٠١)، ومسلم برقم: (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١١٥١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٣٨)، ومسلم برقم: (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقوله: «إيمانًا» أي: إيمانًا بالله، وتصديقًا بوعدِ اللهِ تعالى بالثوابِ عليه.

وَ«احتسابًا» أي: احتسابًا للأجر، والثواب، لا لقصدِ رياءٍ، أو غيره.

(٨) أنَّ العمرةَ فيه أجرُها وثوابُها ثوابُ حجٍّ، يقولُ النبيُّ ﷺ: «عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً» أو قال: «حَجَّةٌ مَعِيَ» (١).

(٩) أنَّ مَنْ فَطَرَ فِيهِ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، فعنُ زيدِ بنِ خالدِ الجُهَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ فَطَرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُنْقِصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا» (٢)، وتفطيرُ الصَّائِمِ يَدْخُلُ فِي إِطْعَامِ الطَّعَامِ وَقَدْ سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَيَّ مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ» (٣).

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٨٦٣)، ومسلم برقم: (١٢٥٦) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه الترمذي برقم: (٨٠٧)، وابن ماجه برقم: (١٧٤٦) وقال الترمذي: حديث حسن

صحيح.

(٣) أخرجه البخاري برقم: (١٢)، ومسلم برقم: (٣٩) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

إخواني: لقد حلَّ بنا شهرٌ كريمٌ، وموسمٌ عظيمٌ، يُعظِّمُ اللهُ فيه الأجرَ، ويجزُلُ المواهبَ، ويفتحُ أبوابَ الخيرِ فيه لكلِّ راغبٍ، شهرٌ الخيراتِ والبركاتِ، شهرُ المنحِ والهباتِ، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ (١)، فأروا اللهَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَيْرًا، واجتهدوا فيه بالطَّاعاتِ وتزوّدوا بزادِ التَّقْوَىٰ.

اللَّهُمَّ اجعلنا ممَّنْ يصومُ رمضانَ ويقومُه إيمانًا واحتسابًا، ووفَّقنا فيه للطَّاعاتِ، والكفَّ عن المحرِّماتِ، واغفرْ لنا الزَّلَّاتِ وارفعْ لنا الدَّرجاتِ، وصلِّ اللهُ على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.



(١) سورة البقرة (الآية: ١٨٥).

• الدَّرْسُ الثَّلَاثُ •

فضائلُ الصَّيَامِ

الحمدُ لله اللَّطِيفِ المَنَّانِ، الكَرِيمِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ، والصَّلَاةُ
والسَّلَامُ عَلَى أَفْضَلِ رِسَالِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ والتَّابِعِينَ
لَهُ بِإِحْسَانٍ، أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ الصَّيَامَ لَهُ فضائلٌ كثيرةٌ وردتْ بِهَا الآثارُ وتواردتْ بِهَا
الأخبارُ، ومن أبرزِ هذهِ الفضائلِ:

أنَّ اللهَ كتبهُ عَلَى جميعِ الأُمَمِ وفرضهُ عَلَيْهِمُ قَالَ اللهُ تَعَالَى:
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن
قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١)، ولولا أَنَّهُ عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ لَا غِنَى لِلخَلْقِ
عَنِ التَّعَبِدِ بِهَا للهَ وَعَمَّا يَتَرْتَبُ عَلَيْهَا مِن ثَوَابٍ مَا فَرَضَهُ اللهُ عَلَى جَمِيعِ
الأُمَمِ.

(١) سورة البقرة (الآية: ١٨٣).

ومن فضائله: أن الله عزَّوجلَّ اختصَّه من بين سائر الأعمالِ في أنه يُجزِي عليه جزاءً خاصًّا من عنده، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله: كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّيَّامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»^(١)، وفي رواية: «كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرَةَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ. قَالَ اللَّهُ عزَّوجلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ يَدْعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي»^(٢).

فبينَ الله تعالى في هذا الحديثِ القدسيِّ أنه اختصَّ عبادة الصَّيامِ بأنه يُجزِي عليها جزاءً خاصًّا من عنده، والعطيَّة كما يقال: بقدرِ معطيِّها، والله عزَّوجلَّ هو أكرمُ الأكرمينَ، وهذا يدلُّ على عظيمِ أجرِ الصَّيامِ، وإنَّما اختصَّه به من بين سائرِ الأعمالِ؛ لشرفه عنده، ومحَبَّته له، وظهورِ الإخلاصِ لله سبحانه وتعالى فيه؛ لأنَّ الصَّومَ سرٌّ بينَ العبدِ وربِّه، لا يطلعُ عليه إلا اللهُ تعالى، فإنَّ الصَّائمَ يكونُ في الموضعِ الخالي من النَّاسِ، متمكِّناً من تناولِ ما حرَّم اللهُ تعالى عليه

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٨٠٥)، ومسلم برقم: (١١٥١).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١١٥١).

فِي الصَّيَامِ فَلَا يَتَنَاوَلُهُ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ فِي خَلْوَتِهِ، وَقَدْ حَرَّمَ عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَيَتْرَكُهُ لِلَّهِ؛ خَوْفًا مِنْ عِقَابِهِ، وَرَغْبَةً فِي ثَوَابِهِ، فَيَكُونُ الصَّيَامُ أَقْرَبَ إِلَى الْإِخْلَاصِ مِنْ سَائِرِ الْأَعْمَالِ.

ثُمَّ إِنَّ الصَّيَامَ فِيهِ صَبْرٌ عَلَى أَلَمِ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ، وَصَبْرٌ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ بِلِزُومِ ذَلِكَ، وَصَبْرٌ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، فَتَجْتَمِعُ فِيهِ أَنْوَاعُ الصَّبْرِ الثَّلَاثَةِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١).

وَلَوْ أَنَّ مَعْلَمًا: وَزَعَ جَوَائِزَ عَلَى طُلَّابِهِ الْمُتَفَوِّقِينَ وَقَالَ لِأَحَدِهِمْ: أَمَّا أَنْتَ يَا فُلَانُ فَلَكَ عِنْدِي جَائِزَةٌ خَاصَّةٌ فَإِنَّ هَذِهِ الْجَائِزَةَ الْخَاصَّةَ سَتَكُونُ أَفْضَلَ مِنْ جَوَائِزِ زَمَلَائِهِ، هَكَذَا الصَّيَامُ يَجْزِي اللَّهُ عَلَيْهِ جِزَاءً خَاصًّا مِنْ عِنْدِهِ.

وَمِنْ فَضَائِلِ الصَّيَامِ: أَنَّ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أَطِيبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رَائِحَةِ الْمَسْكِ، فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ

(١) سورة الزمر (الآية: ١٠).

رسولُ اللهِ ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»^(١).

والخُلُوفُ هِيَ الرَّائِحَةُ الكَرِيهَةُ الَّتِي تَنْبَعُ مِنَ المَعْدَةِ عِنْدَ خُلُوقِهَا مِنَ الطَّعَامِ، وَمَعَ ذَلِكَ هِيَ مَحْبُوبَةٌ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ لِأَنَّهَا نَاشِئَةٌ عَنْ هَذِهِ العِبَادَةِ العَظِيمَةِ، فَهِيَ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رَائِحَةِ المِسْكِ.

وَمِنْ فَضَائِلِ الصَّيَامِ: أَنَّهُ يُكَفِّرُ الذُّنُوبَ وَالخَطَايَا كَمَا فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٢)، وَالْمَرَادُ بِالتَّكْفِيرِ هُنَا تَكْفِيرُ الصَّغَائِرِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكْفَرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الكِبَائِرَ»^(٣). وَأَمَّا الكِبَائِرُ فَلَا بَدَّ فِيهَا مِنْ تَوْبَةٍ.

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٨٩٤)، ومسلم برقم: (١١٥١).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٣٨)، ومسلم برقم: (٧٦٠).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٣٣).

وَمِنْ فَضَائِلِ الصَّيَامِ: مَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِينَ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرِّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ، فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ، فَلَنْ يَدْخُلَ مِنْهُ أَحَدٌ» (١).

وَمِنْ فَضَائِلِهِ: أَنَّ الصَّيَامَ جُنَّةٌ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «الصَّيَامُ جُنَّةٌ» (٢) أَي: وَقَايَةٌ وَسِتْرٌ يُقِي صَاحِبَهُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: «فَإِذَا كَانَ يَوْمَ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ، وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيُقِلْ: إِنِّي أَمْرٌ صَائِمٌ» (٣).

وَفِيهِ إِرْشَادٌ لِلإِنْسَانِ بَأَلَّا يُقَابَلُ الإِسَاءَةَ بِمِثْلِهَا، وَالسَّبَابَ بِمِثْلِهِ، إِحْتِرَامًا لِعِبَادَةِ الصَّيَامِ، فَإِذَا أَخْطَأَ عَلَيْكَ أَحَدٌ وَأَنْتَ صَائِمٌ فَقُلْ لَهُ: إِنِّي أَمْرٌ صَائِمٌ.

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٨٩٦)، ومسلم برقم: (١١٥٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (١٨٩٤)، ومسلم برقم: (١١٥١).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (١٩٠٤)، ومسلم برقم: (١١٥١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والصَّيَامُ أَيضًا جُنَّةٌ وَوَقَايَةٌ مِنَ النَّارِ، فعنُ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ

قَالَ: «قَالَ رَبُّنَا عَزَّوَجَلَّ: الصَّيَامُ جُنَّةٌ يَسْتَجِنُّ بِهَا الْعَبْدُ مِنَ النَّارِ» (١).

وَمِنْ فَضَائِلِهِ: أَنَّ لِلصَّائِمِ فَرَحَيْنِ:

■ فَرَحَةٌ عِنْدَ فَطْرِهِ بِتَمَامِ صَوْمِهِ، وَإِكْمَالِ هَذِهِ الْعِبَادَةِ الْعَظِيمَةِ،

فَعِنْدَمَا يَأْتِي الصَّائِمُ إِلَى مَائِدَةِ الْإِفْطَارِ فَرِحًا مُسْتَبْشِرًا بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى
مَنَّ عَلَيْهِ بِإِكْمَالِ صِيَامِ هَذَا الْيَوْمِ فَهُوَ يَفْرَحُ بِذَلِكَ.

■ ثُمَّ لَهُ فَرَحَةٌ أُخْرَى بِهَذَا الصَّيَامِ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ بِمَا يَجِدُهُ مِنْ

ثَوَابِ الصَّيَامِ مَدَّخِرًا لَهُ أَحْوَجَ مَا يَكُونُ إِلَيْهِ.

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لَصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَقِيَامِهِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي

يَرْضِيكَ، وَوَفَّقْنَا لِمَا تَحِبُّ وَتَرْضَى مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ، وَصَلَّى

اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



(١) أخرجه أحمد برقم: (١٤٦٦٩)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب

(٢/٨٣)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/١٨٠).

• الدَّرْسُ الرَّابِعُ •

حَقِيقَةُ الصِّيَامِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ السَّلَامِ، الْمُتَفَرِّدِ بِالْعِظْمَةِ وَالْبِقَاءِ
وَالدَّوَامِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى أَفْضَلِ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ الْكِرَامِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا
كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾؛ ثُمَّ بَيَّنَّ لَنَا الْحِكْمَةَ مِنْ فَرَضِيَّةِ الصِّيَامِ
فَقَالَ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١).

فَالْحِكْمَةُ مِنْ مَشْرُوعِيَّةِ الصِّيَامِ هِيَ: تَحْقِيقُ التَّقْوَى لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،
وَيَتَحَقَّقُ ذَلِكَ: بِالْإِمْسَاكِ عَنِ الْمَعَاصِي وَبِفِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَأَلَّا تَكُونَ
حَالُهُ وَهُوَ صَائِمٌ كَحَالِهِ قَبْلَ الصِّيَامِ.

هَذِهِ الثَّمَرَةُ نَجْدُهَا عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَوْفِقِينَ الَّذِينَ تَتَغَيَّرُ
حَالُهُمْ بَعْدَ دُخُولِ رَمَضَانَ إِلَى الْأَحْسَنِ فَيُقْبَلُونَ عَلَى الْمَسَاجِدِ،
وَعَلَى الْعِبَادَةِ.

فانظر يا أخي المسلم لصيامك هل يحقق هذه الثمرة، وهي التقوى لله عزَّ وجلَّ؟ إن رأيت من نفسك إقبالا على الطاعة في رمضان فمعنى ذلك أن الصيام قد حقق الغاية المقصودة منه، أما من كانت حاله في رمضان كحالهِ قبل رمضان أو أسوأ فليراجع نفسه، فإنَّ الصَّيَامَ لَمْ يَحَقِّقِ الْغَايَةَ مِنْهُ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

ويقول النبي ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَكَيْسَ اللَّهُ حَاجَةً فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» (١).

هذا الحديث العظيم يبين أن حقيقة الصيام لا تنحصر في الإمساك عن المفطرات الحسيَّة فحسب، ولكنها تشمل كذلك الإمساك عن المعاصي القوليَّة والفعليَّة، وهذا مطلوب في جميع الوقت ولكن يتأكد ذلك أثناء الصيام.

وقد عبَّر النبي ﷺ عن المعاصي القوليَّة بقوله: «قَوْلَ الزُّورِ»، وعن المعاصي الفعليَّة بقوله: «وَالْعَمَلَ بِهِ»، وعلى هذا فكلُّ معصية تقع من الصائم فإنها تحدش الصيام وتُنقِصُ مِنْ أَجْرِهِ، وَإِذَا كَثُرَتْ

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٩٠٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هَذِهِ الْمَعَاصِي فَقَدْ يَصِلُ الصَّائِمُ إِلَى الْمَرْحَلَةِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَهِيَ: «فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ».

فَعَلَى الصَّائِمِ أَنْ يَحْرَصَ عَلَى حِفْظِ صَوْمِهِ وَذَلِكَ بِحِفْظِ جَوَارِحِهِ عَنِ الْمَعَاصِي، فَيَحْفَظُ لِسَانَهُ عَنِ الْكَلَامِ الْمَحْرَمِ، وَبَصَرَهُ عَنِ النَّظْرِ الْمَحْرَمِ، وَسَمْعَهُ عَنِ السَّمَاعِ الْمَحْرَمِ، وَبَقِيَّةَ جَوَارِحِهِ عَنِ الْمَعَاصِي. وَقَدْ كَانَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ إِذَا صَامُوا جَلَسُوا فِي الْمَسَاجِدِ وَقَالُوا: نَحْفَظُ صَوْمَنَا وَلَا نَغْتَابُ أَحَدًا.

وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»؛ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يُوجِرُ وَلَا يُثَابُ عَلَى هَذَا الصَّوْمِ وَإِنْ كَانَتْ تَحْصُلُ بِهِ بَرَاءَةُ الذِّمَّةِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ أَمْسَكَ عَنِ الْمَفْطَرَاتِ الْحَسِّيَّةِ فَتَحْصُلُ بِهِ بَرَاءَةُ الذِّمَّةِ، لَكِنَّهُ لَا يُثَابُ وَلَا يُوجِرُ عَلَيْهِ.

وَنظِيرُ ذَلِكَ الصَّلَاةُ الَّتِي يُصَلِّيهَا الْمَصَلِّيُّ وَهُوَ مِنْ حِينِ أَنْ يَكْبُرَ إِلَى حِينِ أَنْ يَسْلَمَ فِي هَوَاجِسَ وَوَسَاوِسَ، فَهَذِهِ الصَّلَاةُ تَبْرَأُ بِهَا الذِّمَّةُ؛ لِأَنَّ الْمَصَلِّيَّ قَدْ حَقَّقَ أَرْكَانَهَا وَشُرُوطَهَا وَوَاجِبَاتِهَا، لَكِنْ لَيْسَ لَهُ مِنْ أَجْرِ صَلَاتِهِ إِلَّا بِمَقْدَارِ مَا عَقَلَ مِنْهَا.

وهذا المعنى ينبغي أن يكونَ حاضرًا لدى كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ،
 وأنه إذا أراد أن يفعلَ معصيةً قوليةً أو فعليةً تذكَّرَ أنه صائمٌ فيمسكُ
 عنها؛ ولو على سبيلِ المدافعةِ، مع أن المدافعةَ في الأصلِ جائزةٌ،
 قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾^(١)،
 وقال ﷺ: «المُسْتَبَّانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِي، مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ»^(٢)،
 فمن سبَّك يجوزُ لك أن تسبَّهُ بمثلِ سبابه إلا إذا كنتَ صائمًا فلا
 تقابلِ السَّبَابَ بمثلهِ احترامًا لشعيرةِ الصَّيامِ؛ لقولِ النَّبِيِّ ﷺ: «فَإِنْ
 سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقْلُ إِنِّي أَمْرٌ صَائِمٌ»^(٣).

اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأَعِنَّا عَلَى إِتْمَامِ صِيَامِهِ وَقِيَامِهِ
 عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُرِضِيكَ، وَجَنِّبْنَا أَسْبَابَ سَخَطِكَ وَمَعَاصِيكَ،
 وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



(١) سورة البقرة (الآية: ١٩٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري برقم: (١٩٠٤)، ومسلم برقم: (١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

• الدَّرْسُ الخَامِسُ •

مَفْطَرَاتُ الصِّيَامِ

الحمدُ لله الَّذِي أَرشَدَ الخَلْقَ إِلَى أكْمَلِ الآدَابِ، وَفَتَحَ لَهُمْ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ وَجُودِهِ كَلَّ بَابٍ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى جَمِيعِ الآلِ وَالْأَصْحَابِ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الْمَآبِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَهَذِهِ نَبذةٌ مَوْجِزةٌ عَنِ المَفْطَرَاتِ الحَسَنَةِ الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا التَّفْطِيرُ لِلصَّائِمِ.

وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَصُولَ المَفْطَرَاتِ فِي قَوْلِهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:**

﴿فَأَكْنَنْ بِشِرْهُنَّ وَأَبْتَعُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ (١).

وَيُمْكِنُ إِجْمَالُ هَذِهِ المَفْطَرَاتِ فِي سَبْعَةِ أَنْوَاعٍ:

□ **الأوَّلُ:** وَهُوَ أَعْظَمُهَا، وَأَكْبَرُهَا إِثْمًا، وَهُوَ: الجَمَاعُ فِي نَهَارِ

رَمَضَانَ، فَمَنْ ارْتَكَبَ هَذَا الأَمْرَ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ أُمُورٌ:

(١) سورة البقرة (الآية: ١٨٧).

أولًا: فسادُ صومه. ثانيًا: الإمساكُ بقيَّةِ يومِهِ.

ثالثًا: قضاءُ ذلكَ اليوم. رابعًا: التَّوبَةُ.

خامسًا: الكفَّارَةُ المغلَّظَةُ، وهي عتقُ رقبةٍ، فإن لم يجدْ فصيامُ شهرينِ متتابعينِ، فإن لم يستطعْ فإطعامُ ستينَ مسكينًا. ولا يوجدُ رقابٌ الآنَ فقد انقرضَ الرُّقُّ في العالمِ، ولذلك ينتقلُ مباشرةً لصيامِ شهرينِ متتابعينِ، ومن كانَ يستطيعُ صيامَ شهرِ رمضانَ فالأصلُ أَنَّهُ يستطيعُ صيامَ شهرينِ متتابعينِ، فإن لم يستطعْ أطعمَ ستينَ مسكينًا.

□ الثاني: إنزالُ المنِيِّ باختيارِهِ، فهذا مفسدٌ للصَّومِ، أمَّا إن كانَ بغيرِ اختيارِهِ كأنْ يكونَ باحتلامٍ فلا يفسدُ الصَّومُ بذلكَ. وأمَّا المذيُّ - وهو سائلٌ لزجٌ يخرجُ عندَ اشتدادِ الشَّهوةِ - فاختلفَ الفقهاءُ: هل خروجهُ مفسدٌ للصَّومِ أم لا؟

والرَّاجحُ - والله أعلمُ - أنَّ خروجَ المذيِّ لا يفسدُ الصَّومَ، وهو اختيارُ ابنِ تيمية^(١)، والشَّيخِ عبدِ العزيزِ بنِ بازٍ^(٢) والشَّيخِ محمَّدِ

(١) ينظر: الأخبار العلمية من الاختيارات الفقهية (ص: ١٦٠).

(٢) ينظر: مجموع فتاوى ابن باز (١٥/٢٦٨).

ابن عثيمين^(١) رحمةُ اللهِ تعالى على الجميع؛ لأنَّهُ ليسَ هناك دليلٌ ظاهرٌ يدلُّ على أنَّ خروجَ المذيِّ يفسدُ الصَّومَ، والأصلُ صحَّةُ الصَّيامِ.

□ **الثَّالثُ:** الأكلُ والشُّربُ، أيَّا كانَ نوعُ المأكولِ والمشروبِ؛ أمَّا شَمُّ الرِّوَايحِ فَإِنَّهُ لَا يَفْطَرُ الصَّائِمَ؛ لأنَّهُ ليسَ للرَّائِحَةِ جِرْمٌ يدخلُ إلى الجوفِ.

ومنَ الأمورِ الَّتِي لَا تَوَثِّرُ عَلَى صِحَّةِ الصَّيَامِ: بلعُ الرِّيقِ فَلَا يُفْطِرُ الصَّائِمُ ببلعِ الرِّيقِ باتِّفَاقِ أَهْلِ العِلْمِ.

□ **الرَّابِعُ:** مَا كَانَ بِمَعْنَى الأكلِ والشُّربِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

للَّهِ الإِبْرُ المَغْذِيَّةُ: فَهِيَ تَقُومُ مَقَامَ الطَّعَامِ والشَّرَابِ، وَلِذَلِكَ فَهِيَ تُفْسِدُ الصَّوْمَ.

أمَّا الإِبْرُ العِلَاجِيَّةُ غَيْرُ المَغْذِيَّةِ: فَلَا تُفْسِدُ الصَّوْمَ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ طَعَامًا وَلَا شَرَابًا وَلَا فِي مَعْنَى الطَّعَامِ والشَّرَابِ.

للَّهِ وَمِنْ ذَلِكَ: حَقْنُ الدَّمِ: فَإِنَّهُ يُفْسِدُ الصَّيَامَ؛ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الطَّعَامِ والشَّرَابِ، مِثْلَ: أَنْ يَصَابَ شَخْصٌ بِنَزِيفٍ فَيُحَقِّنُ بِهِ الدَّمَّ،

(١) ينظر: مجموع فتاوى ابن عثيمين (١٩١/١٩).

فإنه يُفطرٌ بذلك؛ لأنَّ الدَّمَّ هوَ غايةُ الغذاءِ بالطَّعامِ والشَّرابِ، لكنَّ
لِوِ احتِجَاجٍ لذلكِ فلا حرجَ عليه، كأنَّ يقعَ لهُ حادثٌ مثلاً فيحتاجُ إلى
أنَّ يُحقنَ دمًا فلا بأسَ بحقنِهِ الدَّمَّ ويقضي يومًا مكانَ ذلكِ اليومِ.

وأما استخدامُ الفرشاةِ والمعجونِ للصَّائمِ؛ فلا حرجَ فيه،
بشرطِ أنَّ يلفظَ المعجونَ بحيثُ لا يدخلُ إلى جوفِهِ.

□ الخامسُ: إخراجُ الدَّمِّ بالحجامةِ، لقولِ النَّبِيِّ ﷺ: «أفطرَ

الحاجِمُ والمَحْجُومُ»^(١). فالحجامةُ تُفسدُ الصَّومَ على القولِ الرَّاجِحِ،

وهو اختيارُ ابنِ تيميَّة^(٢)، وابنِ القيم^(٣)، والشَّيخِ عبدِ العزيزِ بنِ بازٍ^(٤)،

والشَّيخِ محمَّدِ بنِ عثيمين^(٥) رحمةُ اللهِ تعالى على الجميعِ.

(١) أخرجه أبو داود برقم: (٢٣٦٧)، وابن ماجه برقم: (١٦٨٠)، وأحمد برقم: (٢٢٣٧١)

من حديث ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه أحمد فقال: هو أصح ما روي فيه. وصححه

أيضًا ابن حبان والحاكم. ينظر: التلخيص الحبير (٢/٣٦٩).

(٢) ينظر: الأخبار العلمية من الاختيارات الفقهية (ص ١٦٠).

(٣) ينظر: زاد المعاد (٤/٥٦).

(٤) ينظر: مجموع فتاوى ابن باز (١٥/٢٥٨).

(٥) ينظر: مجموع فتاوى ابن عثيمين (١٩/١٩٢).

وَيُقَاسُ عَلَى الْحِجَامَةِ: سَحَبُ الدَّمِ لِلتَّحْلِيلِ إِذَا كَانَ الدَّمُ
المستخرجُ كثيرًا في معنى دمِ الحِجَامَةِ أو أكثر، أمَّا إِذَا كَانَ الدَّمُ
المسحوبُ يسيرًا كالدَّمِ المستخرجِ لِتَحْلِيلِ السُّكَّرِ فَلَا يُفْسِدُ الصَّيَامَ.

□ السَّادِسُ: التَّقْيُوءُ عَمْدًا؛ لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ

النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ ذَرَعَهُ قَيْءٌ، وَهُوَ صَائِمٌ، فَلَيْسَ عَلَيْهِ قَضَاءٌ، وَإِنْ
اسْتَقَاءَ فَلْيَقْضِ»^(١)، وَهَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ يَجْعَلُهُ مَوْقُوفًا
وَلَا يَصَحِّحُهُ مَرْفُوعًا، لَكِنَّ الْعَمَلَ عَلَيْهِ عِنْدَ عَامَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ، أَنَّ مَنْ
ذَرَعَهُ الْقَيْءُ، أَيْ: غَلَبَهُ الْقَيْءُ فَلَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَصَوْمُهُ صَحِيحٌ، أَمَّا
مَنْ تَعَمَّدَ أَنْ يَسْتَقِيءَ فَإِنَّ صَوْمَهُ يُفْسَدُ بِذَلِكَ.

□ السَّابِعُ: خُرُوجُ دَمِ الْحَيْضِ وَالنِّفَاسِ، وَالْعَبْرَةُ بِخُرُوجِ الدَّمِ،
فَمَتَى مَا رَأَتْ الْمَرْأَةُ الدَّمَ فَقَدْ فَسَدَ صَوْمُهَا، حَتَّى وَلَوْ كَانَ قَبْلَ
غُرُوبِ الشَّمْسِ بِدَقِيقَةٍ فَيُفْسَدُ صَوْمُهَا، أَمَّا لَوْ أَحَسَّتْ بِالْأَمِّ الدَّوْرَةَ

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بَرَقَمَ: (٢٣٨٠)، وَالتِّرْمِذِيُّ بَرَقَمَ: (٧٢٠)، وَابْنُ مَاجَةَ بَرَقَمَ: (١٦٧٦)،
وَأَحْمَدُ بَرَقَمَ: (١٠٤٦٣)، وَاللَّفْظُ لِأَبِي دَاوُدَ، وَحَسَنَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَالنُّوْيُ فِي الْمَجْمُوعِ
(٣١٦/٦)، وَابْنُ الْمَلْقَنِ فِي الْبَدْرِ الْمُنِيرِ (٦٥٩/٥).

لكنْ لَمْ يَخْرُجِ الدَّمُّ إِلَّا بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ فَإِنَّ صَوْمَهَا صَحِيحٌ.
وهذهِ المفطِّراتُ: تفسدُ الصَّيَامَ إِذَا فَعَلَهَا الْإِنْسَانُ عَالِمًا عَامِدًا
مختارًا؛ أمَّا إِذَا كَانَ نَاسِيًّا فَإِنَّ صَوْمَهُ صَحِيحٌ؛ لقولِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ
نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ، فَلَيْتَمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللهُ
وَسَقَاهُ» (١).

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لَصِيَامِ هَذَا الشَّهْرِ كَمَا تَحِبُّ وَتَرْضَى، وَاجْعَلْنَا مِنْ
عِتْقَائِكَ مِنَ النَّارِ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ، وَصَلِّ عَلَى اللَّهِ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
وَسَلِّمْ.



(١) أخرجه مسلم برقم: (١١٥٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

• الدَّرْسُ السَّادِسُ •

مَفْطَرَاتُ الصِّيَامِ الْمَعَاصِرُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ، وَعَلِمَ مَوْرِدَ كُلِّ مَخْلُوقٍ وَمَصْدَرَهُ، وَأَثَبَتْ فِي أَمِّ الْكِتَابِ مَا قَضَاهُ وَسَطَّرَهُ، فَلَا مَوْخِرَ لِمَا قَدَّمَهُ، وَلَا مَقْدَمَ لِمَا أَخَّرَهُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، وَبَعْدُ:

فَقَدْ سَبَقَ فِي الدَّرْسِ السَّابِقِ الْقَوْلُ بِأَنَّ أَصُولَ الْمَفْطَرَاتِ ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ (١).

وَالضَّابِطُ فِيمَا يَحْصُلُ بِهِ التَّفْطِيرُ: هُوَ مَا كَانَ مَنْصُوصًا عَلَيْهِ أَوْ فِي مَعْنَى الْمَنْصُوصِ.

وَالْأَصْلُ صِحَّةُ الصِّيَامِ، وَلَا يُعَدُّ عَنْ هَذَا الْأَصْلِ فَيُقَالُ بِفَسَادِ الصِّيَامِ إِلَّا بِأَمْرٍ وَاضِحٍ يَقْتَضِي فِسَادَ الصَّوْمِ.

(١) سورة البقرة (الآية: ١٨٧).

وفيما يأتي بيان أبرز مَفطراتِ الصَّيامِ المعاصرةِ:

أولاً: ما يفسدُ الصَّيامَ:

- ١- الغَسيلُ الكُلويُّ: غَسيلُ الكَلَى بنوعِيهِ الدَّمويِّ والبريتوني يحصلُ به التَّفطيرُ للصَّائمِ، وهذا ما أفتتُ بِهِ اللّجنتُ الدَّائمةُ للبحوثِ العلميَّةِ والإفتاءِ برئاسة الشَّيخِ عبدِ العزیزِ بنِ بازٍ رَحِمَهُ اللهُ (١)، وعلى ذلك فالَّذي يقومُ بغَسيلِ الكَلَى يفسدُ صومَهُ، فإنِ استطاعَ أنْ يصومَ بعدَ رمضانَ فيقضيهِ، وإنْ كانَ لا يستطيعُ فَإِنَّهُ يُطعمُ عن كلِّ يومٍ مسكينًا.
- ٢- شربُ الدُّخانِ: شربُ الدُّخانِ محرَّمٌ؛ لِأَنَّهُ مُضِرٌّ بالصَّحَّةِ، وقد أجمعَ الأطبَّاءُ على ضرره، وأمَّا بالنسبةِ لِأثرِهِ على الصَّيامِ فَإِنَّهُ مفسدٌ للصَّيامِ.

- ٣- التَّبَرُّعُ بالدَّمِ: وهو في معنَى استخراجِ الدَّمِ بالحِجامةِ، ولذلك فَإِنَّهُ يفسدُ بِهِ الصَّومُ، ومن أرادَ أنْ يتبرَّعَ بالدَّمِ فليجعلْ ذلكَ في اللَّيلِ، إلَّا عندَ الضَّرورةِ كأنْ يَحْتَاجَ إلى تبرُّعٍ بالدَّمِ ويكونَ هناكَ إنسانٌ مريضٌ عندهُ نزيْفٌ ونحوُ ذلكَ، ويُطلبُ التَّبَرُّعُ بالدَّمِ لحاجةِ ذلكَ المريضِ، فلا بأسَ أنْ يتبرَّعَ الإنسانُ بالدَّمِ في هذهِ الحالِ، ويقضيهِ يومًا مكانَ هذا اليومِ.

(١) ينظر: فتاوى اللّجنة الدائمة (١٠/١٩٠-١٩١).

٤- تحليلُ الدَّمِ: إِنْ كَانَ الدَّمُ الْمَسْتَخْرَجُ مِنَ الْإِنْسَانِ كَثِيرًا فِي مَعْنَى دَمِ الْحِجَامَةِ فَإِنَّهُ يَحْصُلُ بِهِ التَّفْطِيرُ لِلصَّائِمِ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ قَلِيلًا عَرَفًا كَالَّذِي يُؤْخَذُ لِتَحْلِيلِ السُّكَّرِ فَلَا يُفْطَرُ الصَّائِمَ.

٥- قَطْرَةُ الْأَنْفِ: إِذَا كَانَ مَاءُ الْقَطْرَةِ يَصِلُ لِلْجَوْفِ فَيَفْسُدُ الصَّيَامُ، أَمَّا إِذَا كَانَ اسْتِخْدَامُ هَذِهِ الْقَطْرَةِ بِطَرَفِ أَنْفِهِ وَلَا يَصِلُ لِلْجَوْفِ فَلَا يَفْسُدُ الصَّيَامُ، وَيَدُلُّ لَذَلِكَ حَدِيثُ لَقِيْطِ بْنِ صَبْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَبَالِغٌ فِي الْإِسْتِنْشَاقِ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا»^(١)، أَي: أَنْكَ إِذَا بَالِغَتْ فِي الْإِسْتِنْشَاقِ وَأَنْتَ صَائِمٌ فَرَبَّمَا نَفَذَ إِلَى الْجَوْفِ شَيْءٌ مِنَ الْمَاءِ فَيُؤَثِّرُ ذَلِكَ عَلَى صِحَّةِ الصَّيَامِ.

وَقَدْ اخْتَارَ هَذَا الْقَوْلَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ بَازٍ^(٢)، وَالشَّيْخُ مُحَمَّدُ

ابْنُ عَثِيمِينَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ^(٣).

وَمِنْ احْتِاجِ لِقَطْرَةِ الْأَنْفِ إِنْ أَمَكَنَ أَنْ يُوجَلَ اسْتِخْدَامُ هَذِهِ الْقَطْرَةِ إِلَى اللَّيْلِ فَهَذَا هُوَ الْمَتَعَيَّنُ، أَمَّا إِذَا لَمْ يَمَكُنْ ذَلِكَ، وَاحْتِاجُ

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بَرَقْمَ: (٢٣٦٦)، وَالتِّرْمِذِيُّ بَرَقْمَ: (٧٨٨)، وَالنَّسَائِيُّ بَرَقْمَ: (٨٧)،

وَابْنُ مَاجَهَ بَرَقْمَ: (٤٠٧)، وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ فَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَابْنُ خَزِيمَةَ

بَرَقْمَ: (١٥٠)، وَابْنُ الْقَطَّانِ فِي بَيَانِ الْوَهْمِ وَالْإِيهَامِ (٥/٥٩٢).

(٢) يَنْظُرُ: مَجْمُوعُ فَتَاوَى ابْنِ بَازٍ (١٥/٢٦١).

(٣) يَنْظُرُ: مَجْمُوعُ فَتَاوَى ابْنِ عَثِيمِينَ (١٩/٢٠٦).

إِلَى اسْتِخْدَامِهَا فِي النَّهَارِ فَإِنْ كَانَ الَّذِي يَصِلُ مَعَهُ مَأْوُهَا إِلَى الْجَوْفِ فَيَفْسُدُ صَوْمُهُ، وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَقْضِيَ ذَلِكَ الْيَوْمَ، أَمَّا إِذَا لَمْ يَصِلْ مَأْوُهَا لِلْجَوْفِ فَصَوْمُهُ صَحِيحٌ.

ثَانِيًا: مَا لَا يَفْسُدُ الصِّيَامَ:

١- قَطْرَةُ الْأُذُنِ: لَا تَفْسُدُ الصِّيَامَ وَلَوْ وَجَدَ طَعْمَهَا فِي حَلْقِهِ؛ لِأَنَّ الْأُذُنَ لَيْسَتْ بِمَنْفَعَةٍ مَعْتَادٍ لِلْجَوْفِ، وَمِثْلُهُ غَسْوُلُ الْأُذُنِ وَأَيُّ عِلَاجٍ عَنْ طَرِيقِ الْأُذُنِ، وَالْأَصْلُ هُوَ صِحَّةُ الصِّيَامِ.

٢- قَطْرَةُ الْعَيْنِ: لَا تَفْسُدُ الصِّيَامَ حَتَّى لَوْ وَجَدَ طَعْمَ الْقَطْرَةِ فِي حَلْقِهِ؛ لِأَنَّ الْعَيْنَ لَيْسَتْ بِمَنْفَعَةٍ مَعْتَادٍ إِلَى الْجَوْفِ. وَمِثْلُ ذَلِكَ الْكُحْلُ فَلَيْسَ لَهُ نَفوذٌ إِلَى الْجَوْفِ، فَلَا يَفْسُدُ الصِّيَامُ بِهِ.

٣- الْأَقْرَاضُ الَّتِي تَوْضَعُ تَحْتَ اللِّسَانِ، وَيَسْتِخْدَمُهَا غَالِبًا الْمَصَابُونَ بِأَمْرَاضِ الْقَلْبِ، وَيَمْتَصُّهَا الْجِلْدُ تَحْتَ اللِّسَانِ، لَا تَفْسُدُ الصِّيَامَ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ أَكْلًا وَلَا شَرْبًا، وَلَيْسَتْ فِي مَعْنَى الْأَكْلِ وَلَا الشُّرْبِ، وَالْأَصْلُ هُوَ صِحَّةُ الصِّيَامِ.

٤- الْمَرَاهِمُ: لَا تَفْسُدُ الصِّيَامَ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ بِأَكْلٍ وَلَا شَرْبٍ، وَلَيْسَتْ فِي مَعْنَى الْأَكْلِ، وَلَا الشُّرْبِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا.

٥- استخدامُ الأكسجينِ للصَّائمِ: لَا يفسدُ الصَّيامَ؛ لأنَّ هذا الأكسجينَ إنَّما هوَ يجري مجرى النَّفسِ، وَلَا يذهبُ للمعدةِ، وهذا هوَ القولُ الرَّاجِحُ.

٦- بخاخُ الرِّبو: لَا يفسدُ الصَّيامَ؛ لأنَّ هذا البخاخَ إنَّما يذهبُ للقصبةِ الهوائيةِ، ولمجاري النَّفسِ، وَلَا يذهبُ للمعدةِ منه إِلَّا شيءٌ يسيرٌ جدًّا معفوٌّ عنه.

وأما علاجُ الرِّبو الَّذي يكونُ على شكلِ كبسولاتٍ ويكونُ فيها مثلُ البودرةِ، يضعُها المريضُ في فمه فتختلطُ بالرِّيقِ فيتلعَّها، فهذه مفسدةٌ للصَّيامِ؛ لأنَّ لها جرماً، فهي أشبهُ بالطَّعامِ أو الشَّرابِ.

٧- منظارُ المعدةِ الَّذي يدخلُ عن طريقِ الفمِ: إذا أدخلَ مِنْ غيرِ أنْ يحتفَّ بهِ أمورٌ أخرى فلا يفسدُ الصَّيامَ، أمَّا إذا صاحبَ إدخالَ المنظارِ أشياءٌ كأنْ يوضعَ عليه مادةٌ دهنيَّةٌ، أو أنبوبةٌ ينفذُ منها ماءٌ للتنظيفِ، فيفسدُ الصَّيامَ.

■ أمَّا المناظيرُ التي تستخدمُ عن طريقِ المهبلِ، أو فتحةِ الشَّرجِ، ونحوها.. فهذه كلها لَا تفسدُ الصَّيامَ مطلقاً حتَّى ولو كانتْ مطليَّةً بمادَّةٍ دهنيَّةٍ.

■ التحاميلُ التي تكونُ عن طريقِ فتحةِ الشَّرَجِ، أو عن طريقِ المهبلِ، ونحوِ ذلك لا تفسدُ الصَّيامَ؛ لأنَّها ليستْ بطعامٍ ولا شرابٍ، وليستْ بمعنى الطَّعامِ والشرابِ.

٨- التَّخديرُ: إذا كان التَّخديرُ موضعياً فالصَّيامُ معه صحيحٌ، أمَّا إذا كان التَّخديرُ كلياً فإن كان شاملاً لجميعِ النَّهارِ فصيامُه غيرُ صحيحٍ، ويلزمه القضاءُ، وأمَّا إن كان لا يشملُ جميعَ النَّهارِ ويفيقُ جزءاً من النَّهارِ سواءً في أوَّلِهِ، أو في وسطِهِ، أو في آخِرِهِ فالصَّيامُ معه صحيحٌ.

٩- قلعُ السنِّ لا يحصلُ به التَّفطيرُ؛ لأنَّ ما يخرجُ من السنِّ عندَ قلعِهِ إنَّما هو دمٌ يسيرٌ.

وأمَّا خروجُ الدَّمِ بغيرِ اختيارِ الإنسانِ؛ كأن يخرجَ دمٌ برعافٍ ونحوه، فلا يفسدُ بذلك الصَّيامُ.

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ، وَاغْفِرْ لَنَا وَكفِّرْ عَنَّا السَّيِّئَاتِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَي نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



• الدَّرْسُ السَّابِعُ •

تَفْسِيرُ آيَاتِ الصِّيَامِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ اهْتَدَى بِهِدْيِهِ، وَاتَّبَعَ سُنَّتَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ،
أَمَّا بَعْدُ:

فَالْحَدِيثُ فِي هَذَا الدَّرْسِ عَنْ تَفْسِيرِ آيَاتِ الصِّيَامِ وَقَدْ ابْتَدَأَهَا
اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ (١)،
فَنَادَى اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ مَخْبِرًا لَهُمْ بِأَنَّ صِيَامَ رَمَضَانَ فَرَضٌ
وَمَكْتُوبٌ عَلَيْهِمْ.

وَفَرْضِيَّةُ الصِّيَامِ مَرَّتَ بِمَرَا حِلٍّ:

❖ المَرَحَلَةُ الْأُولَى: إِجْبَابُ صِيَامِ عَاشُورَاءَ، وَكَانَ هَذَا بَعْدَ
الهِجْرَةِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ فَنُسِخَ وَجُوبُ صِيَامِ يَوْمِ
عَاشُورَاءَ، وَبَقِيَ صَوْمُهُ عَلَى الْإِسْتِحْبَابِ.

(١) سُورَةُ الْبَقَرَةِ (الآيَةُ: ١٨٣).

❖ المرحلةُ الثانيةُ: فرضيةُ صيامِ رمضانَ، معَ التَّخْيِيرِ بَيْنَ الصَّيَامِ والإِطْعَامِ، فَإِنْ شَاءَ صَامَ، وَإِنْ شَاءَ أَطْعَمَ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ مَسْكِينًا، وَلَكِنَّ الصَّيَامَ خَيْرٌ مِنَ الإِطْعَامِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ (١).

❖ المرحلةُ الثالثةُ: فرضُ صيامِ رمضانَ عَيْنًا، وَنَسَخُ التَّخْيِيرِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الإِطْعَامِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (٢).
والْحِكْمَةُ مِنْ ذَلِكَ التَّدْرِيجُ: أَنَّ الصَّيَامَ لَمَّا كَانَ شاقًّا عَلَى النُّفُوسِ، وَغَيْرَ مألُوفٍ لِلنَّاسِ فِي ذَلِكَ الحِينِ، كَانَ إِجْبَابُ صَوْمِهِ مُتَدَرِّجًا.
وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَمَا كُنِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، أَي عَلَى جَمِيعِ الأُمَّمِ، مِنْ نُوحٍ وَمَنْ بَعْدَهُ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى شَرَفِ هَذِهِ العِبَادَةِ وَعَظِيمِ شَأْنِهَا، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَهَا عَلَى جَمِيعِ الأُمَّمِ فِي جَمِيعِ الشَّرَائِعِ.

والعَلْمُ بِأَنَّ الصَّيَامَ قَدْ فُرِضَ عَلَى الأُمَّمِ السَّابِقَةِ، يُهَوِّنُ عَلَى النُّفُوسِ تَقْبُلَهُ؛ لِأَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا اشْتَرَكَ مَعَهُ غَيْرُهُ فِي الأَمْرِ يَهْوَنُ عَلَيْهِ.

(١) سورة البقرة (الآية: ١٨٤).

(٢) سورة البقرة (الآية: ١٨٥).

وقوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ هِيَ أَيَّامُ شَهْرِ رَمَضَانَ،
 ووصفها الله تعالى بالأَيَّامِ المَعْدُودَاتِ؛ لتخفيفِ الأمرِ، فكأنَّهُ يقولُ:
 فَرِضَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ، وَلَكِنْ لَيْسَ صِيَامُ السَّنَةِ كُلِّهَا، وَإِنَّمَا هِيَ أَيَّامٌ
 مَعْدُودَاتٌ، ثُمَّ فِيهَا إِشَارَةٌ لِسُرْعَةِ تَصَرُّمِ أَيَّامِ الشَّهْرِ، فَهِيَ أَيَّامٌ
 مَعْدُودَاتٌ سُرْعَانَ مَا تَنْقُضِي، فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَبَادَرَ لِاِغْتِنَامِهَا فِي
 الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ
 أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، أَي مَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ مُسَافِرًا جَازَ لَهُ الْفِطْرُ، وَيَقْضِي
 الْأَيَّامَ الَّتِي أَفْطَرَهَا بَعْدَ رَمَضَانَ.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامِ مَسْكِينٍ﴾،
 مَعْنَى ﴿يُطِيقُونَهُ﴾ عِنْدَ الْجُمْهُورِ: أَنَّ الْقَادِرِينَ عَلَى الصِّيَامِ يُخَيَّرُونَ
 بَيْنَ الصِّيَامِ وَبَيْنَ أَنْ يَدْفَعُوا فِدْيَةَ طَعَامِ مَسْكِينٍ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ، وَكَانَ
 هَذَا فِي الْمَرَحَلَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي سَبَقَتْ مَرَحَلَةَ إِجْبَابِ صِيَامِ رَمَضَانَ
 عَيْنًا عَلَى الْجَمِيعِ.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾، أَي: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَزِيدَ
 فِي الْإِطْعَامِ عَلَى إِطْعَامِ مَسْكِينٍ وَاحِدٍ، فَجَعَلَ الْإِطْعَامَ لِمَسْكِينَيْنِ

أَوْ أَكْثَرَ، فَهَذَا خَيْرٌ، وَإِنْ صَامَ فَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْإِطْعَامِ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَي: فَيَجُوزُ الصَّيَامُ وَيَجُوزُ الْإِطْعَامُ، وَلَكِنَّ الصَّيَامَ خَيْرٌ مِنَ الْإِطْعَامِ، وَكَانَ هَذَا قَبْلَ نَسْخِ التَّخْيِيرِ وَإِجَابِ الصَّيَامِ حَتْمًا.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، اخْتَصَّ اللَّهُ تَعَالَى شَهْرَ رَمَضَانَ بِنَزُولِ الْقُرْآنِ فِيهِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، الشُّهُودُ بِمَعْنَى الْحُضُورِ، وَالْمَعْنَى: مَنْ حَضَرَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَلَمْ يَكُنْ مُسَافِرًا فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَصُومَ.

وَهَذِهِ الْآيَةُ نَسَخَتْ الْآيَةَ السَّابِقَةَ، فَالْآيَةُ السَّابِقَةُ فِيهَا التَّخْيِيرُ بَيْنَ الصَّيَامِ وَالْإِطْعَامِ، أَمَّا فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى الصَّيَامَ عَلَى النَّاسِ عَيْنًا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، كَرَّرَ اللَّهُ تَعَالَى الرُّخْصَةَ حَتَّى لَا يَتَوَهَّمَتْوَهُمْ أَنْ الرُّخْصَةَ قَدْ نُسِخَتْ.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾،
 أخبر تعالى أنه يحبُّ التيسيرَ على عباده ولا يحبُّ التعسيرَ عليهم،
 وقد جعل الله أمورَ هذه الأمة مبناهَا على اليسرِ، وأزيلَ عنها كثيرٌ من
 الآصارِ والأغلالِ التي كانت على الأممِ السابقة، وقد قال النبي ﷺ:
 «إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ»^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾، أي: تكملوا عدَّةَ شهرِ
 رمضان، وهي ثلاثون يومًا، أو تسعةً وعشرون يومًا، وذلك برؤية
 هلالِ شوالٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَنَكُمُ﴾، ومنه
 التَّكْبِيرُ الَّذِي يَكُونُ فِي آخِرِ رَمَضَانَ مِنْ لَيْلَةِ الْعِيدِ، إمَّا برؤية هلالِ
 شوالٍ، أو باستكمالِ عدَّةِ رمضان ثلاثون يومًا، إلى صلاةِ العيدِ،
 وهو تكبيرٌ مطلقٌ، وذكرُ الله لهذا التَّكْبِيرِ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ يَدُلُّ عَلَى
 أَكْدَيْتِهِ، وَلِهَذَا ذَهَبَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّ التَّكْبِيرَ لَيْلَةَ عِيدِ الْفِطْرِ آكِدٌ

(١) أخرجه أحمد برقم: (١٥٩٣٦)، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ٩٤): «أخرجه

أحمد بسند صحيح».

مِنَ التَّكْبِيرِ فِي عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ وَأَيَّامِ التَّشْرِيقِ، وَالتَّكْبِيرُ مِنْ أَفْضَلِ أَنْوَاعِ الذِّكْرِ، وَيُقَالُ: إِنَّ كَلِمَةَ (اللَّهُ أَكْبَرُ) أْبْلَغُ كَلِمَةٍ عِنْدَ الْعَرَبِ فِي تَعْظِيمِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أَيُّ: تَشْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى عَلَيَّ نِعْمِهِ عَمُومًا وَعَلَى مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ إِكْمَالِ الشَّهْرِ، وَفَعَلَ مَا تيسَّرَ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾، هَذِهِ الْآيَةُ فِي الدُّعَاءِ، وَقَدْ وَقَعَتْ بَيْنَ آيَاتِ الصِّيَامِ، وَمُنَاسِبَةٌ كَوْنِ آيَةِ الدُّعَاءِ بَيْنَ آيَاتِ الصِّيَامِ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ الدُّعَاءَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ حَرِيٌّ بِالْإِجَابَةِ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَكْثَرَ مِنَ الدُّعَاءِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْئِنْ بُشِرْتُمْ بِبَشْرٍ مِمَّنْ بَدَّوْا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾.

قوله: ﴿أَحَلَّ لَكُمْ﴾، فيه إشارةٌ إلى النَّسَخِ، وذلك أَنَّهُ فِي أَوَّلِ
الإِسْلَامِ كَانَ مَنْ غَرَبَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَهُوَ نَائِمٌ فَلَا يَحُلُّ لَهُ أَنْ يَفْطَرَ
إِلَّا بَعْدَ غُرُوبِ شَمْسِ الْيَوْمِ التَّالِيِ.

وقوله: ﴿الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾، أي: الجَمَاعُ. ﴿هُنَّ لِبَاسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ
لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾، أي: يَسْتُرُنَكُمْ عَنِ الْوُقُوعِ فِي الْمَحْرَمَاتِ، وَأَنْتُمْ أَيْضًا
تَسْتُرُونَهُنَّ، وَالتَّعْبِيرُ بِ«الْبَّاسِ» فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى الْقُرْبِ وَالْمَلَابَسَةِ.

وقوله: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ
عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾، إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ كَانَ يَقَعُ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ
الْجَمَاعُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ مَعَ أَنَّهُمْ كَانُوا مَمْنُوعِينَ مِنْهُ.

وقوله: ﴿فَالَّذِينَ بَشَرُوهُنَّ وَابْتَعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، قِيلَ فِي
تَفْسِيرِ الْآيَةِ: هُوَ طَلَبُ الْوَلَدِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَطْلُبُ الْوَلَدَ بِالْجَمَاعِ.

وقوله: ﴿وَكُلُوا وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ
الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾، الْمَقْصُودُ بِالْخَيْطِ الْأَبْيَضِ: بَيَاضُ النَّهَارِ. وَالْخَيْطُ
الْأَسْوَدِ: سَوَادُ اللَّيْلِ، أَي حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ بَيَاضُ النَّهَارِ مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ.

وقوله: ﴿ثُمَّ آتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾، الليلُ يبدأُ بغروبِ الشَّمسِ .
وقوله: ﴿وَلَا تَبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾، يدلُّ على
أنَّ المعتكفَ ممنوعٌ مِنَ الجماعِ ومقدماته .
وقوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾، حدودُ اللهِ هنا: محارمُ
اللهِ .

وقوله: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، أي
لأجل تحقيقِ التَّقوى لله سبحانه .
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُتَّقِينَ، ووفِّقنا لِمَا تحبُّ وترضى مِنْ
الأقوالِ والأعمالِ، وصَلِّ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
وسَلِّمْ .



• الدَّرْسُ الثَّامِنُ •

مَا يَكْثُرُ السُّؤَالُ عَنْهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ

الحمدُ لله الَّذِي مَنَّ عَلَيَّ بِعِبَادِهِ بِمَوَاسِمِ الْخَيْرَاتِ لِيَغْفَرَ لَهُمُ
الزَّلَّاتِ، وَيَكْفُرَ عَنْهُمْ السَّيِّئَاتِ، وَيَرْفَعَ لَهُمُ الدَّرَجَاتِ، وَالصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ عَلَيَّ خَيْرِ الْبَرِيَّاتِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً وَتَسْلِيمًا
وَبَرَكَاتٍ، وَبَعْدُ:

فَهَذِهِ أَمْثَلُ الْمَسَائِلِ الَّتِي يَكْثُرُ السُّؤَالُ عَنْهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ:

(١) تَبْيِيتُ النِّيَّةِ مِنَ اللَّيْلِ وَهَلْ يَجِبُ تَبْيِيتُ النِّيَّةِ لِكُلِّ يَوْمٍ؟

يَجِبُ تَبْيِيتُ نِيَّةِ الصَّيَامِ مِنَ اللَّيْلِ فِي الصَّوْمِ الْوَاجِبِ، وَمِنْ

ذَلِكَ صَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ؛ لِحَدِيثِ حَفْصَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ

قَالَ: «مَنْ لَمْ يُجْمِعِ الصِّيَامَ قَبْلَ الْفَجْرِ، فَلَا صِيَامَ لَهُ»^(١)، وَالْحِكْمَةُ مِنْ

اشْتِرَاطِ تَبْيِيتِ النِّيَّةِ مِنَ اللَّيْلِ: هِيَ أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ النَّهَارِ مَشْمُولًا

بِنِيَّةِ الصَّوْمِ؛ لِأَنَّ الصَّوْمَ إِسْمَاكُ بِنِيَّةٍ، وَلِذَلِكَ لَا يُشْتَرَطُ هَذَا الشَّرْطُ

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِرَقْمِ (٢٦٤٥٧)، وَأَبُو دَاوُدَ بِرَقْمِ (٢٤٥٤)، وَالتِّرْمِذِيُّ بِرَقْمِ (٧٣٠)،

وَابْنُ خَزِيمَةَ بِرَقْمِ (١٩٣٣).

فِي صَوْمِ النَّافِلَةِ. وَالنِّيَّةُ تَتَّبَعُ الْعِلْمَ، فَمَنْ عَلِمَ أَنَّ غَدًا رَمَضَانَ وَمَنْ عَادَتِهِ أَنَّهُ يَصُومُ الشَّهْرَ فَقَدْ بَيَّتَ النِّيَّةَ مِنَ اللَّيْلِ، وَمَنْ قَامَ لِلسُّحُورِ فَقَدْ نَوَى، وَيَنْبَغِي عَدَمُ التَّشْدِيدِ فِي مَسَائِلِ النِّيَّةِ؛ لِأَنَّهُ يَقُودُ إِلَى الْوَسْوَاسِ.

هَلْ يُشْتَرَطُ تَبْيِئُ النِّيَّةِ لِكُلِّ يَوْمٍ، أَمْ يَكْفِي أَنْ يَنْوِيَ أَوَّلَ الشَّهْرِ؟

هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مُحَلٌّ خِلَافٍ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ، فَالْمَذْهَبُ عِنْدَ الْحَنَابِلَةِ أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ نِيَّةٍ لِكُلِّ يَوْمٍ، وَالْقَوْلُ الرَّاجِحُ لَا يُشْتَرَطُ نِيَّةٌ لِكُلِّ يَوْمٍ وَإِنَّمَا يَكْفِي أَنْ يَنْوِيَ أَوَّلَ الشَّهْرِ، إِلَّا إِذَا قَطَعَ الصَّوْمَ لِعَذْرِ فَلَا بَدَّ مِنْ تَجْدِيدِ النِّيَّةِ، كَأَنْ يَفْطَرَ لِمَرْضٍ أَوْ سَفْرٍ، أَوْ تَفْطَرَ الْمَرْأَةَ لِأَجْلِ الْحَيْضِ فَلَا بَدَّ مِنْ تَجْدِيدِ النِّيَّةِ، أَمَّا إِذَا لَمْ يَقْطَعْ الصَّوْمَ فَتَكْفِي نِيَّةٌ مِنْ أَوَّلِ شَهْرِ رَمَضَانَ.

(٢) تَذَوُّقُ الطَّعَامِ أَثْنَاءَ الصِّيَامِ:

تَذَوُّقُ الطَّعَامِ لِلْحَاجَةِ لَا بِأَسَ بِهِ، وَتَذَوُّقُهُ لِغَيْرِ حَاجَةٍ مَكْرُوهٌ، وَعَلَى الَّذِي يَتَذَوَّقُ الطَّعَامَ أَنْ يَلْفِظَهُ بَعْدَمَا يَتَذَوَّقُهُ.

(٣) بلع البلغم:

البلغم يُسَمِّيهِ بَعْضُهُمُ النُّخَامَةَ فَإِذَا لَمْ تَبْرُزْ لِلْفَمِ فَلَا تَفْطُرُ الصَّائِمَ،
أَمَّا لَوْ بَرَزَتْ لِلْفَمِ ثُمَّ ابْتَلَعَهَا فمحلُّ خلافٍ، والصَّحِيحُ أَنَّهَا لَا تَفْسُدُ
الصَّوْمَ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ أَكْلًا وَلَا شَرْبًا، وَلَا بِمَعْنَى الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ،
وَالأُولَى أَنْ يَلْفِظَهَا خُرُوجًا مِنْ خِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

(٤) الأكل والشرب وقت أذان الفجر:

الأكل والشرب وقت أذان الفجر لا يضرُّ؛ لحديث أبي هريرة
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ **ﷺ** قَالَ: «إِذَا سَمِعَ أَحَدُكُمْ النَّدَاءَ وَالْإِنَاءَ عَلَى يَدِهِ،
فَلَا يَضَعُهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ مِنْهُ»^(١)، وَهُوَ حَدِيثٌ ثَابِتٌ بِمَجْمُوعِ
طَرِيقِهِ وَشَوَاهِدِهِ^(٢). ثُمَّ إِنَّ الْفَجْرَ لَا يَطْلُعُ دَفْعَةً وَاحِدَةً، وَإِنَّمَا يَسْتَبِينُ
شَيْئًا فَشَيْئًا، وَلِهَذَا لَوْ رَاقَبَ اثْنَانِ الْفَجْرَ فَرَبَّمَا يَخْتَلِفَانِ فِي تَحْدِيدِ
وَقْتِ بَدَايَةِ طُلُوعِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ

(١) أخرجه أبو داود برقم: (٢٣٥٠).

(٢) ذكر الشيخ الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** له ستة شواهد. ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/٣٨١-٣٨١).

الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ»^(١)، والأصلُ بقاءُ اللَّيْلِ، ولهذا مَنْ كَانَ يَأْكُلُ أَوْ يَشْرَبُ وَأَذَّنَ الْمُؤَدِّنُ لصلَاةِ الفجرِ لَا حرجَ عَلَيْهِ أَنْ يُكَمِّلَ أَكْلَهُ أَوْ شَرْبَهُ حَتَّى يَفْرغَ الْمُؤَدِّنُ مِنَ الْأَذَانِ.

والسُّحُورُ لِلصَّائِمِ سُنَّةٌ، وَقَدْ أَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَتَةً»^(٢)، وَقَالَ ﷺ: «فَضْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحْرِ»^(٣). وَالسُّنَّةُ تَأخِيرُهُ إِلَى قَبْلِ أَذَانِ الْفَجْرِ، وَيَحْصُلُ السُّحُورُ بِأَقْلٍ مَا يَتَنَاوَلُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ مَأْكُولٍ أَوْ مَشْرُوبٍ، وَمَنْ أَفْضَلَ مَا يَجْعَلُ فِي السُّحُورِ: التَّمْرُ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «نِعْمَ سَحُورُ الْمُؤْمِنِ التَّمْرُ»^(٤). وَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَحْضِرَ الْمُسْلِمُ عِنْدَ السُّحُورِ تَطْبِيقَ السُّنَّةِ حَتَّى يُوجَرَ عَلَى ذَلِكَ.

(١) سورة البقرة (الآية: ١٨٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (١٩٢٣)، ومسلم برقم: (١٠٩٥).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٠٩٦).

(٤) أخرجه أبو داود برقم: (٢٣٤٥)، وصححه ابن حبان برقم: (١٧٢٠).

(٥) الْوَقْتُ فِي الْإِفْطَارِ:

العبرةُ في وقتِ الإفطارِ غروبُ الشَّمْسِ وليسَ العبرةُ بالأذانِ؛
 لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى الْآيِلِ﴾^(١)، وَاللَّيْلُ يَبْدَأُ بِغُرُوبِ
 الشَّمْسِ فَإِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ جَازَ الْفِطْرُ وَلَوْ لَمْ يُوذَّنِ الْمُوذِّنُ سِوَاءَ
 عُرْفِ غُرُوبِ الشَّمْسِ بِالسَّاعَةِ أَوْ عَنْ طَرِيقِ الْإِذَاعَةِ أَوْ بِأَيَّةٍ
 وَسِيلَةٍ.

وَالسُّنَّةُ تَعْجِيلُ الْفِطْرِ إِذَا تَحَقَّقَ غُرُوبُ الشَّمْسِ؛ لِحَدِيثِ سَهْلِ
 ابْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا
 عَجَّلُوا الْفِطْرَ»^(٢)، وَالسُّنَّةُ الْإِفْطَارُ عَلَى رَطْبٍ، فَإِنْ عُدِمَ فَتَمْرٌ، فَإِنْ
 عُدِمَ فَمَاءٌ؛ لِحَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ
 يُفْطِرُ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى رَطْبَاتٍ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رَطْبَاتٌ فَعَلَى تَمْرَاتٍ،
 فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَمْرَاتٌ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ»^(٣)، «فَإِنْ لَمْ يَجِدْ رَطْبًا،

(١) سورة البقرة (الآية: ١٨٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (١٩٥٧) ومسلم برقم: (١٠٩٨).

(٣) أخرجه أبو داود برقم: (٢٣٥٦)، والترمذي برقم: (٦٩٦)، وقال: حديث حسن. وقال الدارقطني في السنن (٣/١٥٥): إسناده صحيح.

وَلَا تَمْرًا، وَلَا مَاءً: أَفْطَرَ عَلَيَّ مَا تَيْسَّرَ مِنْ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ حَلَالٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ شَيْئًا نَوَى الْإِفْطَارَ بِقَلْبِهِ»^(١).

(٦) دَخُولُ شَيْءٍ مِنَ الْمَاءِ أَثْنَاءَ الْمَضْمُضَةِ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ:

مَا يَنْفِذُ أَثْنَاءَ الْمَضْمُضَةِ أَوْ الْاسْتِنشَاقِ مِنَ الْمَاءِ إِلَى الْجَوْفِ بِغَيْرِ اخْتِيَارِ الْإِنْسَانِ لَا يَفْسِدُ الصَّيَامَ؛ لِأَنَّهُ قَدْ دَخَلَ بِطَرِيقِ الْخَطَا، وَمِنْ غَيْرِ قَصْدٍ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾^(٢).

(٧) اسْتِعْمَالُ مَعْجُونِ الْأَسْنَانِ لِلصَّائِمِ:

اسْتِعْمَالُ مَعْجُونِ الْأَسْنَانِ لَا يَفْطُرُ، مَعَ مَلَا حِظَةٍ أَنْ مَا يَتَبَقَّى بَعْدَ الْمَعْجُونِ يَلْفِظُهُ وَلَا يَنْفِذُ إِلَى جَوْفِهِ، وَالْأَحْسَنُ أَنْ يَجْعَلَ التَّنْظِيفَ بِالْفَرْشَاةِ وَالْمَعْجُونِ فِي اللَّيْلِ؛ لِأَنَّ بَعْضَ الْمَعَاجِينِ قَوِيَّةٌ وَلَهَا نَفْوُذٌ، رَبَّمَا تَخْتَلِطُ بِالرِّيْقِ وَتَنْفِذُ لِلْجَوْفِ.

(١) مجالس شهر رمضان، لابن عثيمين، (ص: ٧٧)

(٢) سورة الأحزاب (الآية: ٥).

(٨) صِيَامٌ مَنْ أَصْبَحَ جَنَبًا:

يُصِحُّ صِيَامٌ مَنْ أَصْبَحَ جَنَبًا؛ لِأَنَّ الصَّائِمَ مَأْذُونٌ لَهُ فِي اللَّيْلِ الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ وَالْجَمَاعُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ الْفَجْرُ، وَإِذَا كَانَ مَأْذُونًا لَهُ بِالْجَمَاعِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ الْفَجْرُ فَهَذَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ يُطْلَعَ عَلَيْهِ الْفَجْرُ وَهُوَ جَنَبٌ، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْرِكُهُ الْفَجْرُ وَهُوَ جَنَبٌ مِنْ أَهْلِهِ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ وَيَصُومُ^(١).

وَمِثْلُ ذَلِكَ الْمَرْأَةُ الْحَائِضُ إِذَا طَهَرَتْ قَبْلَ أَذَانِ الْفَجْرِ وَلَمْ تَغْتَسِلْ إِلَّا بَعْدَ الْأَذَانِ فَصَوْمُهَا صَحِيحٌ.

(٩) اسْتِخْدَامُ الْمَرْأَةِ حَبُوبَ مَنَعِ الْحَيْضِ لِأَجْلِ صِيَامِ رَمَضَانَ:

يَجُوزُ ذَلِكَ بِشَرَطٍ أَنْ يَقَرَّرَ الطَّبِيبُ الْمُخْتَصُّ أَنَّهُ لَا يَلْحَقُهَا ضَرَرٌ

بِسَبَبِ ذَلِكَ.

وَاسْتِعْمَالُهَا يَكُونُ لَيْلًا أَمَّا لَوْ اسْتَعْمَلَتْهَا نَهَارًا فَإِنَّهَا تَفْسُدُ

الصَّوْمَ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ بِرَقْمٍ: (١٩٢٥)، وَمُسْلِمٌ بِرَقْمٍ: (١١٠٩) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ وَأُمِّ سَلْمَةَ

(١٠) قراءةُ القرآنِ مِنْ غيرِ تحريكِ اللِّسانِ:

مَنْ يَفْعَلُ هَذَا لَا يُعْتَبَرُ قَارِئًا وَإِنَّمَا مَتَأَمَّلًا؛ وَلِذَلِكَ لَوْ أَنَّهُ فَعَلَ هَذَا فِي الصَّلَاةِ لَمَا صَحَّتْ صَلَاتُهُ، فَلَا بَدَّ فِي الْقِرَاءَةِ مِنْ تَحْرِيكِ اللِّسَانِ.

(١١) تَرْتِيلُ الدُّعَاءِ مَعَ التَّغْيِي:

السُّنَّةُ أَنْ يُوتَى بِالْدُّعَاءِ بِتَضَرُّعٍ وَخُشُوعٍ مِنْ غَيْرِ تَرْتِيلٍ وَلَا تَغْنٍ وَلَا تَلْحِينٍ، هَذَا هُوَ الْأَفْضَلُ وَالْأَقْرَبُ لِإِجَابَةِ الدُّعَاءِ، وَالِدَّاعِي إِذَا كَانَ يَدْعُو وَحْدَهُ لَا يَتَغَنَّى وَلَا يَلْحَنُ وَلَا يَرْتِّلُ الدُّعَاءَ، فَهَكَذَا إِذَا كَانَ إِمَامًا.

(١٢) إِقَامَةُ جَمَاعَتَيْنِ فِي مَسْجِدٍ أَثْنَاءَ صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ:

وَجُودُ جَمَاعَةٍ أُخْرَى فِي آخِرِ الْمَسْجِدِ تَصَلِّي الْفَرِيضَةَ وَالْإِمَامُ يَصَلِّي التَّرَاوِيحَ خَطَأً؛ لِأَنَّ هَذَا يَنَافِي الْمَقْصُودَ مِنْ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ جَاءَ مَتَأَخَّرًا فَعَلَيْهِ أَنْ يَدْخَلَ مَعَ الْإِمَامِ وَإِنْ كَانَ يَصَلِّي التَّرَاوِيحَ وَيَنْوِي بِذَلِكَ الْفَرِيضَةَ، فَإِذَا سَلَّمَ الْإِمَامُ يَقُومُ وَيَقْضِي رَكْعَتَيْنِ،

وَيَكُونُ هَذَا مِنْ اِتِّمَامِ الْمَفْتَرَضِ بِالْمَتَنَفَّلِ وَهُوَ جَائِزٌ عَلَى الْقَوْلِ الرَّاجِحِ.

(١٣) الْمَقْصُودُ بَانْصِرَافِ الْإِمَامِ مِنَ الصَّلَاةِ:

جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَامَ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يُنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ»^(١)، أَي: يَسْلَمُ مِنْ آخِرِ رَكْعَةٍ، وَالْمَقْصُودُ مِنَ الْحَدِيثِ حُثُّ النَّاسِ عَلَى اِتِّمَامِ الصَّلَاةِ مَعَ الْإِمَامِ وَأَلَّا يَنْصَرِفُوا قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ الْإِمَامُ الصَّلَاةَ، وَلِهَذَا يَنْبَغِي لِمَنْ صَلَّى صَلَاةَ التَّرَاوِيحِ أَنْ يَكْمُلَهَا مَعَ الْإِمَامِ وَلَا يَنْصَرِفَ حَتَّى يَسْلَمَ الْإِمَامُ مِنَ الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ حَتَّى يُكْتَبَ لَهُ أَجْرُ قِيَامِ لَيْلَةٍ.

(١٤) الصَّلَاةُ فِي مُصَلِّيَّاتِ وَغُرَفِ الْفَنَادِقِ الْمُطَّلَّةِ عَلَى الْمَسْجِدِ

الْحَرَامِ:

لَا بِأَسَ بِالصَّلَاةِ فِيهَا مَا دَامَ أَنَّ الْمَصَلِّينَ فِيهَا يَرُونَ بَعْضَ الْمَأْمُومِينَ إِمَّا فِي السَّاحَةِ أَوْ فِي صَحْنِ الْمَطَافِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَهَكَذَا

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِرَقْمِ: (٨٠٦)، وَالنَّسَائِيُّ بِرَقْمِ: (١٦٠٥)، وَابْنُ مَاجَةَ بِرَقْمِ: (١٣٢٧) مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

يصحُّ الاقتداءُ بإمامِ الحرمِ في الغرفِ المُطلَّةِ على الحرمِ بشرطِ أنْ لا
ينفردَ المصلِّي فيكونَ وحدهُ إذا كانَ رجلاً؛ لقولِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا صَلَاةَ
لِفَرْدٍ خَلْفَ الصَّفِّ»^(١)، أمَّا المرأةُ فيجوزُ لها أنْ تصلِّيَ وحدها في
الغرفةِ المُطلَّةِ على الحرمِ؛ لأنَّ أمَّ سُليمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا صَلَّتْ وحدها
خلفَ أنسٍ واليتيمِ وهما يصلِّيانِ خلفَ النَّبِيِّ ﷺ^(٢).

اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَا تَبَقِيَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَوَفِّقْنَا فِيهِ لِمَا تَحَبُّ
وَتَرْضَى مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ، وَصَلِّ عَلَى اللَّهِ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه برقم: (١٥٦٩)، وابن حبان في صحيحه برقم: (٢٢٠٢)
من حديث علي بن شيبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٧٢٧) من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

• الدَّرْسُ التَّاسِعُ •

صَلَاةُ التَّرَاوِيحِ

الحمدُ لله مقلِّبِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ، تذكِرةً وتبصِرةً لأولي النُّهْيِ
والاعتبارِ، والصَّلَاةِ والسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَخْيَارِ وَعَلَى آلِهِ
وصحبه الكرامِ الأطهارِ الأبرارِ، أمَّا بعدُ:

فإنَّ صَلَاةَ التَّرَاوِيحِ سَنَةٌ مُؤَكَّدَةٌ، سَنَّهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَدْ صَلَّى
بِالنَّاسِ صَلَاةَ التَّرَاوِيحِ، ثُمَّ تَرَكَهَا خَوْفًا مِنْ أَنْ تُفَرِّضَ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ،
فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنْ جَوْفِ
اللَّيْلِ، فَصَلَّى فِي الْمَسْجِدِ، فَصَلَّى رِجَالٌ بِصَلَاتِهِ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ
فَتَحَدَّثُوا، فَاجْتَمَعَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ فَصَلُّوا مَعَهُ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ فَتَحَدَّثُوا،
فَكَثَرَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ مِنَ اللَّيْلِ الثَّلَاثَةِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَصَلُّوا
بِصَلَاتِهِ، فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الرَّابِعَةَ، عَجَزَ الْمَسْجِدُ عَنْ أَهْلِهِ، حَتَّى
خَرَجَ لَصَلَاةِ الصُّبْحِ، فَلَمَّا قَضَى الْفَجْرَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَتَشَهَّدَ، ثُمَّ

قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ، لَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ، فَتَعَجَزُوا عَنْهَا» (١).

وتوفِّي رسولُ اللهِ ﷺ والأمرُ على ذلك، ثمَّ كانَ الأمرُ على ذلك في خلافةِ أبي بكرٍ وصدراً من خلافةِ عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ثمَّ ذاتَ ليلةٍ في رمضانَ خرجَ عمرُ بنُ الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى المسجدِ فإذا النَّاسُ أوزاعٌ متفرِّقونَ، يصلي الرَّجُلُ لنفسِهِ، ويصلي الرَّجُلُ فيصلي بصلاتِهِ الرَّهْطُ، فقالَ عمرُ: إِنِّي أَرَى لَوْ جَمَعْتُ هؤُلاءِ على قاريٍّ واحدٍ لكانَ أمثلاً، ثمَّ عزمَ فجمعَهُم على أبي بنِ كعبٍ (٢).

ومنذُ ذلكَ الحينِ إِلَى وقتِنَا هذا وعملُ المسلمِينَ على ذلكَ يصلُّونَ صلاةَ التَّراويحِ جماعةً في المساجِدِ.

وقد رَغِبَ النَّبِيُّ ﷺ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ مَعَ الإِمَامِ فَقَالَ: «مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ» (٣).

(١) أخرجه البخاري برقم: (٨٨٢) ومسلم برقم: (٧٦١).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (١٩٠٦).

(٣) أخرجه الترمذي برقم: (٨٠٦) وقال: حسن صحيح.

فَإِذَا صَلَّيْتَ يَا أَخِي الْمُسْلِمَ مَعَ الْإِمَامِ صَلَاةَ التَّرَاوِيحِ وَلَمْ
تَنْصَرِفْ حَتَّى سَلَّمَ مِنْ آخِرِ رُكْعَةٍ فَإِنَّهُ يُكْتَبُ لَكَ أَجْرُ قِيَامِ لَيْلَةٍ، وَإِذَا
حَافِظْتَ عَلَى ذَلِكَ طَوَالَ الشَّهْرِ وَكَانَ هَذَا إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا فَإِنَّ النَّبِيَّ
ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ
ذَنْبِهِ» (١).

وَسُمِّيَتْ صَلَاةُ التَّرَاوِيحِ بِهَذَا الْاسْمِ؛ لِأَنَّ السَّلْفَ الصَّالِحَ كَانُوا
يَطِيلُونَهَا جَدًّا حَتَّى إِنَّهُمْ يَعْتَمِدُونَ عَلَى الْعِصِيِّ مِنْ طَوْلِ الْقِيَامِ،
فَكَانُوا إِذَا صَلَّوْا أَرْبَعَ رُكْعَاتٍ اسْتَرَاخُوا وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ صَلَاةُ
التَّرَاوِيحِ.

وَيَنْبَغِي الطُّمَأْنِينَةُ فِي صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ وَعَدْمُ تَخْفِيفِهَا تَخْفِيفًا
يَخُلُّ بِالطُّمَأْنِينَةِ، فَإِنَّهُ يُلَاخِظُ عَلَى بَعْضِ أُمَّةِ الْمَسَاجِدِ أَنَّهُمْ
يَخَفِّفُونَ مِنْ صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ تَخْفِيفًا كَبِيرًا رَبَّمَا أَخْلَّ بَرَكِنِ الطُّمَأْنِينَةِ،
وَمَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَطْمَئِنَّ فِيهَا فَلَيْسَ لَهُ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا التَّعَبُ،

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٨)، ومسلم برقم: (٧٦٠).

والنَّبِيُّ ﷺ قَالَ لِلْمَسِيِّ صَلَاتَهُ: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» (١) أَي
أَنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ غَيْرُ صَحِيحَةٍ.

قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: يَنْبَغِي لِلْإِمَامِ أَنْ يُسْمِعَ الْمَأْمُومِينَ الْقُرْآنَ كَامِلًا
فِي صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَإِنْ لَمْ يَتَيَسَّرْ فَلَا يَشُقُّ عَلَى
الْمَأْمُومِينَ لَكِنْ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَطْمئنَّ فِي صَلَاتِهِ.

وَلَا بَأْسَ بِحَمْلِ الْمَصْحَفِ لِلْقِرَاءَةِ مِنْهُ فِي صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ، وَيُكْرَهُ
فِي صَلَاةِ الْفَرِيضَةِ.

وَيُشْرَعُ قَنُوتُ الْوَتْرِ فِي آخِرِ صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ فَإِذَا صَلَّى الْإِمَامُ
صَلَاةَ التَّرَاوِيحِ يَخْتَمُ ذَلِكَ بِصَلَاةِ الْوَتْرِ، ثُمَّ يَقْنُتُ بَعْدَمَا يَرْفَعُ مِنَ
الرُّكُوعِ مِنَ الرَّكْعَةِ الْأَخِيرَةِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَحْرَصَ عَلَى تَطْبِيقِ السُّنَّةِ وَمِنْ
ذَلِكَ:

أَوَّلًا: عَدَمُ الْإِطَالَةِ؛ لِأَنَّ الْإِطَالَةَ تَشُقُّ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، مَعَ مَا
فِيهَا مِنْ مَخَالَفَةٍ لِهَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ بِرَقْمِ: (٧٢٤)، وَمُسْلِمٌ بِرَقْمِ: (٣٩٧).

ثانيًا: عدم استمرار الدعاء في كل ليلة، بل ظاهر هدي النبي عليه الصلاة والسلام أنه كان لا يحافظ على دعاء القنوت في صلاة الوتر.

ثالثًا: ينبغي في دعاء القنوت الحرص على الدعاء بالمأثور، وعلى جوامع الدعاء، والبعد عن التكلف وعن الأدعية المسجوعة. ومن أراد من المأمومين أن يصلي في بيته بعد صلاة التراويح، أو من آخر الليل فيشرع له إذا سلم الإمام من الركعة الأخيرة أن يقوم ويشفعها بركعة حتى يجعل وتره آخر صلاته؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترًا»^(١).

وهذا خير من أن ينصرف قبل أن يوتر الإمام؛ لأنه إذا صلى الوتر مع الإمام ثم شفع بركعة كتب له أجر قيام ليلة، بينما لو انصرف قبل وتر الإمام فإن هذا الفضل يفوته.

ومن أوتر مع الإمام ورغب أن يصلي في بيته بعد ذلك فلا بأس، لكن يصليها مثني مثني من غير أن يوتر لأنه لا وتران في ليلة.

(١) أخرجه البخاري برقم: (٩٩٨)، ومسلم برقم: (٧٥١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ صِيَامَنَا وَقِيَامَنَا وَسَائِرَ أَعْمَالِنَا، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مَمَّنْ
يَقُومُ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



• الدَّرْسُ العَاشِرُ •

شَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرُ الْقُرْآنِ

الحمدُ للهِ واسعِ الفضلِ والإحسانِ، المُنْزِلِ عَلَيَّ عَبْدِهِ الْقُرْآنَ،
فِيهِ بَيِّنَاتٌ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمْ عَلَيَّ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ
رَفَعَ بِهِ الْحَقَّ حَتَّى اتَّضَحَ وَاسْتَبَانَ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَهْلِ الصُّدُقِ
وَالجُودِ وَالوَفَاءِ وَالإِحْسَانِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ هُوَ شَهْرُ الْقُرْآنِ، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ
فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ (١)،
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ﴾ (٢)، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (٣).

فَهَذَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ نَزَلَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَقَدْ اِكْتَسَبَ وَقْتُ
نَزُولِهِ شَرَفًا عَظِيمًا وَهُوَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ وَالَّتِي هِيَ فِي رَمَضَانَ، فَقَدْ جَعَلَهَا

(١) سورة البقرة (الآية: ١٨٥).

(٢) سورة الدخان (الآية: ٣).

(٣) سورة القدر (الآية: ١).

الله خيراً من ألف شهرٍ، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (٢).

وكان النبي ﷺ له عنايةٌ بمدارسةِ القرآنِ في شهرِ رمضانَ، فكان يدارسُهُ جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ لِيَالِيِ رَمَضَانَ (٢)، وكان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يعرضُ القرآنَ على جبريلَ في كُلِّ عامٍ مَرَّةً إِلَّا فِي العامِ الَّذِي توفِّيَ فِيهِ فَقَدْ عَرَضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ (٣).

وأخذَ مِنْ هَذَا أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَتَدَارَسَ الْقُرْآنَ وَيَتَعَاهَدَ حَفْظَهُ وَيَكْثَرَ مِنْ تِلَاوَتِهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ.

واختلفَ العلماءُ: أَيُّهُمَا أَفْضَلُ: التَّلَاوَةُ وَالْمَدَارَسَةُ فِي اللَّيْلِ أَوْ فِي النَّهَارِ:

فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا فِي النَّهَارِ أَفْضَلُ لِكَوْنِ الْمُسْلِمِ صَائِمًا. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّهَا فِي اللَّيْلِ أَفْضَلُ؛ لِأَنَّ هَذَا هُوَ هَدْيُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَدْ كَانَ يَدَارِسُهُ جَبْرِيْلُ فِي اللَّيْلِ وَلَيْسَ فِي النَّهَارِ، وَالْأَقْرَبُ أَنَّ

(١) سورة القدر (الآية: ١-٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦)، ومسلم برقم: (٢٣٠٨) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٦٢٨٥)، ومسلم برقم: (٢٤٥٠) من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

المدارسَ في اللَّيْلِ أَفْضَلَ اقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ ﷺ، أَمَّا مَجْرَدُ التَّلَاوَةِ فَيَسْتَوِي فِيهَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

وَلَقَدْ كَانَ لِلسَّلَفِ عَنَاءٌ عَظِيمَةٌ بِالْقُرْآنِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَكَانُوا إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ أَقْبَلُوا عَلَى الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ.

■ كَانَ عَثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَخْتَمُ الْقُرْآنَ كُلَّ يَوْمٍ فِي رَمَضَانَ.

■ وَكَانَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ أَوْقَفَ

دُرُوسَ الْعِلْمِ وَأَقْبَلَ عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ (١).

■ وَكَانَ لِلْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ سِتُّونَ خْتَمَةً فِي رَمَضَانَ (٢)، وَمَعْنَى

ذَلِكَ أَنَّهُ يَخْتَمُ الْقُرْآنَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مَرَّتَيْنِ. وَهَذَا مَتَسِّرٌ فِي حَقِّ

الْحَافِظِ الْمُتَقِنِ الْمَاهِرِ بِالْقُرْآنِ.

■ وَعَنْ أَبِي حَنِيفَةَ نَحْوُ مَا رُوِيَ عَنِ الشَّافِعِيِّ (٣).

■ وَكَانَ الْأَسْوَدُ يَخْتَمُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَتَيْنِ (٤).

(١) ينظر: لطائف المعارف (ص: ١٧١).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

■ وكانَ الزُّهريُّ إذا دخلَ رمضانَ قالَ: إنَّما هوَ تلاوةُ القرآنِ وإطعامُ

الطَّعامِ^(١).

فينبغي أن نقتديَ بِهِمْ وأن نحِرصَ على الإكثارِ مِنْ تلاوةِ القرآنِ العظيمِ في هذا الشَّهرِ المباركِ، فشهرُ رمضانَ هوَ شهرُ القرآنِ ﴿شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّناتٍ مِنَ الْهُدىِ وَالْفُرْقانِ﴾^(٢).

وينبغي لكلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ ألا يمضيَ عليه هذا الشَّهرُ إلا وقد ختمَ فيه القرآنَ الكريمَ، وهناك مِنَ النَّاسِ الموفِّقينَ مَنْ يَختمُ القرآنَ عدَّةَ ختماتٍ.

وقد جاءَ في حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عمرو **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «لَا يَفْقَهُ مَنْ قرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثٍ»^(٣)، وهذا الحديثُ في سندهِ مقالٌ، وعلى تقديرِ ثبوتهِ فقد قالَ أهلُ العلمِ: يُستثنى مِنْ ذلكَ المَواسِمُ الفاضلةُ مثلَ شهرِ رمضانَ.

(١) المصدر السابق.

(٢) سورة البقرة (الآية: ١٨٥).

(٣) أخرجه أبو داود برقم: (١٣٩٤)، والترمذي برقم: (٢٩٤٩).

قال الحافظُ ابنُ رجبٍ **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «وإنَّما وردَ النَّهْيُ عن قِراءةِ القرآنِ في أقلِّ من ثلاثٍ على المداومةِ على ذلك، فأما في الأوقاتِ المفضَّلةِ؛ كشهْرِ رمضانَ، خصوصاً اللَّيالي التي يُطلَبُ فيها ليلةُ القدرِ، أو في الأماكنِ المفضَّلةِ؛ كمكَّةَ لمن دخلها من غيرِ أهلِها فيستحبُّ الإكثارُ فيها من تلاوةِ القرآنِ اغتناماً للزمانِ والمكانِ، وهو قولُ أحمدَ وإسحاقَ وغيرهما من الأئمَّةِ، وعليه يدلُّ عملُ غيرهم»^(١).

وقراءةُ القرآنِ لها فضلٌ عظيمٌ، يقولُ النَّبِيُّ **ﷺ**: «مَنْ قرأَ حَرْفاً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفاً، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»^(٢).

وقد حسبَ ذلكَ بعضُ أهلِ العِلْمِ، بضربِ عشرةٍ في عددِ حروفِ القرآنِ كانتِ النَّتِيجةُ أكثرَ من ثلاثةِ ملايينِ حسنةٍ، أي: أنك

(١) لطائف المعارف (ص: ١٧١).

(٢) أخرجه الترمذي برقم: (٢٩١٠) من حديث ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**. وقال: حديث حسن

إِذَا خَتَمْتَ الْقُرْآنَ يُرْجَى أَنْ يُكْتَبَ لَكَ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثَةِ مِلايينَ حَسَنَةٍ،
مَعَ أَنْ فَضَلَ اللهُ وَاسِعٌ وَيُنْبَغِي عَدْمُ الْحِسَابِ، لَكِنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ
بِخُصُوصِهَا جَاءَ الْحِسَابُ فِيهَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَهَذَا فَضْلُ اللهِ
وَفَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ وَانْفَعْنَا وَارْفَعْنَا بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ،
وَاجْعَلْهُ رِبْعَ قُلُوبِنَا وَنُورَ صُدُورِنَا، وَوَقِّفْنَا لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى،
وَصَلِّ عَلَى اللهِ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ.



• الدَّرْسُ الحَادِي عَشْرُ •

المعذُورُونَ بِالإِفْطَارِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ

الحمدُ لله الَّذِي أَتَقَنَ بِحِكْمَتِهِ مَا فَطَرَ وَبَنَى، وَشَرَعَ الشَّرَائِعَ رَحْمَةً وَحِكْمَةً طَرِيقًا وَسُنَنًا، وَالصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الكِرَامِ الأَمْنَاءِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا فَرَضَ صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ، رَخَّصَ لِدَوِي الأَعْدَارِ فِي الفِطْرِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١)، وَجَاءَ فِي السُّنَّةِ أَيْضًا بَيَانُ بَقِيَّةِ أَصْحَابِ الأَعْدَارِ، وَفِيهَا يَأْتِي بَيَانُ ذِكْرِهِمْ:

(١) المَرِيضُ:

أَبَاحَ اللهُ تَعَالَى الفِطْرَ للمَرِيضِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾. وَالمَرِيضُ الَّذِي يُبَاحُ لَهُ الفِطْرُ هُوَ

المريضُ الَّذي يخشىُ زيادةَ المرضِ أو تأخرَ البُرءِ بسببِ صومِهِ، أو كانَ يشقُّ عليه الصَّومُ مشقَّةً غيرَ معتادةٍ.

وإذا كانَ الصَّومُ قد يتسبَّبُ في هلاكِهِ فيحرمُ عليه الصَّومُ ويجبُ عليه الفطرُ؛ لأنَّ صومه حينئذٍ مِنَ الإلقاءِ إلى التَّهلكةِ، وقد قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (١).

(٢) المسافرُ:

يُباحُ الفطرُ للمسافرِ، ويقضي بعدَ رمضانَ؛ لقولِ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾. والمسافرُ له ثلاثُ حالاتٍ مع الصِّيَامِ:

□ الحالُ الأولى: أن يشقَّ عليه الصَّومُ مشقَّةً شديدةً فيحرمُ عليه الصَّومُ؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ، كانَ في سفرٍ وكانَ صائمًا، فأفطرَ وأمرَ النَّاسَ بالفطرِ، ولمَّا بلغه أنَّ بعضَ النَّاسِ قد صامَ أنكرَ عليهم وقالَ: ﴿أُولَئِكَ الْعُصَاةُ، أُولَئِكَ الْعُصَاةُ﴾ (٢).

(١) سورة البقرة (آية: ١٩٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١١١٤) من حديث جابر رضي الله عنه.

□ الحالُ الثَّانِيَةُ: أَنْ يَشُقَّ عَلَيْهِ الصَّوْمُ مَشَقَّةً غَيْرَ شَدِيدَةٍ وَالْفِطْرُ

أَرْفَقُ لَهُ، فَيُكْرَهُ فِي حَقِّهِ الصَّوْمُ، وَيُسَنُّ لَهُ الْفِطْرُ؛ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنْ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ» (١).

□ الحالُ الثَّالِثَةُ: أَنْ يَتَسَاوَى عِنْدَهُ الْأَمْرَانِ، فَيَخْتَارُ الْأَيْسَرَ لَهُ؛

لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (٢)، وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُنَّا نَسَافِرُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَعْيبِ الصَّائِمُ عَلَى الْمُفْطِرِ، وَلَا الْمُفْطِرُ عَلَى الصَّائِمِ» (٣). فَإِنْ تَسَاوَى الْأَمْرُ فِي الْيُسْرِ فَالصَّوْمُ أَفْضَلُ؛ لِكَوْنِهِ الْأَسْرَعَ فِي إِبْرَاءِ الذَّمَّةِ.

(٣) الْكَبِيرُ فِي السَّنِّ:

يُبَاحُ الْفِطْرُ لِكَبِيرِ السَّنِّ الَّذِي يَشُقُّ عَلَيْهِ الصِّيَامُ مَشَقَّةً غَيْرَ مَعْتَادَةٍ،

وَيَطْعَمُ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ مَسْكِينًا، وَيَدُلُّ لِذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾، قَالَ:

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ بِرَقْمٍ: (١٩٤٦)، وَمُسْلِمٌ بِرَقْمٍ: (١١١٥) مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ (آيَةٌ: ١٨٥).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ بِرَقْمٍ: (١٩٤٧)، وَمُسْلِمٌ بِرَقْمٍ: (١١١٨).

«ليست بمنسوخةٍ هو الشيخُ الكبيرُ، والمرأةُ الكبيرةُ لا يستطيعان أن يصوماً، فيُطعمانِ مكانَ كلِّ يومٍ مسكيناً»^(١).

وقد كان أنسُ بنُ مالكٍ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** في آخرِ حياتِهِ يفطرُ ويطعمُ عن كلِّ يومٍ مسكيناً، وقد عمَّرَ حتَّى جاوزَ مائةَ عامٍ.
وأما إذا كان عقلُهُ ليسَ معه، فهذا مرفوعٌ عنهُ القلمُ، وليسَ عليه شيءٌ، لا يلزمُهُ صومٌ ولا قضاءٌ ولا إطعامٌ.

(٤) الحاملُ والمرضعُ:

الحاملُ والمرضعُ يجوزُ لهُمَا الفطرُ إذا احتاجتا إليه؛ لقوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ وَضَعَ عَنِ الْمُسَافِرِ شَطْرَ الصَّلَاةِ، وَعَنِ الْمُسَافِرِ وَالْحَامِلِ وَالْمُرْضِعِ الصَّوْمَ، أَوِ الصِّيَامَ»^(٢).

(١) أخرجه البخاري برقم: (٤٥٠٥).

(٢) أخرجه أبو داود برقم: (٢٤٠٨)، والترمذي برقم: (٧١٥) والنسائي برقم: (٢٢٧٤)، وابن ماجه برقم: (١٦٦٧) واللفظ له. من حديث أنس بن مالك الكعبي **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**. وقال الترمذي: «حديث حسن».

والقولُ الرَّاجِحُ: أَنَّهُ يَلْزِمُهُمَا الْقِضَاءُ فَقَطْ دُونَ الإِطْعَامِ،
 قِيَاسًا عَلَى الْمَسَافِرِ وَالْمَرِيضِ، وَهَذَا اخْتِيَارُ الشَّيْخَيْنِ ابْنِ بَازٍ^(١)،
 وَابْنِ عَثِيمِينَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ^(٢).

(٥) الْحَائِضُ وَالنَّفْسَاءُ:

الْحَائِضُ وَالنَّفْسَاءُ يَجِبُ عَلَيْهِمَا الْفِطْرُ وَالْقِضَاءُ بَعْدَ رَمَضَانَ
 بِالإِجْمَاعِ^(٣)، وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ
 قَالَ: «أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ»^(٤).

(٦) مَنْ يَحْتَاجُ الْفِطْرَ لِإِنْقَازِ مَعْصُومٍ:

يَجِبُ الْفِطْرُ عَلَى مَنْ يَحْتَاجُهُ لِإِنْقَازِ مَعْصُومٍ^(٥)، مِنْ غَرِقٍ أَوْ
 حَرِيقٍ أَوْ هَدْمٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَلَوْ غَرِقَ مَعْصُومٌ وَاحْتَاجَ إِلَى مَنْ يَنْقُذُهُ
 وَهَذَا الصَّائِمُ لَوْ أَفْطَرَ تَقْوَى عَلَى إِنْقَازِهِ، فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَفْطَرَ، كَمَا

(١) ينظر: مجموع فتاوى ابن باز (١٥/٢٢٣، ٢٢٧).

(٢) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٩/١٥٩ - ١٦٠).

(٣) ينظر: الإقناع في مسائل الإجماع (١/٢٣٠).

(٤) أخرجه البخاري برقم: (٣٠٤)، ومسلم برقم: (٨٠).

(٥) المعصوم هو: الأدمي المحرم قتله من مسلم أو ذمي أو مستأمن أو معاهد.

يُحصلُ أحياناً لبعضِ رجالِ الدِّفاعِ المدنيِّ عندما يُحتاجُ إليهمُ في إنقاذِ بعضِ النَّاسِ، ويكونونَ صائمينَ.

أمَّا الفطرُ في نهارِ رمضانَ بسببِ العملِ فلا يجوزُ، والعملُ أيًّا كانَ ليسَ عذرًا يباحُ معهُ الفطرُ، ويمكنُ أنَ يحوَّلَ عملهُ إلى اللَّيلِ أوْ يعملَ أوَّلَ النَّهارِ؛ إلَّا أنَ يكونَ مريضًا فيفطرَ لأجلِ المرضِ، أمَّا إذا كانَ صحيحًا فليسَ لهُ الفطرُ لأجلِ العملِ.

اللَّهُمَّ فَتَّهَّنَا فِي الدِّينِ واجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُتَّقِينَ، واغْفِرْ لَنَا ولو الدِّينَا ولجميعِ المسلمينَ، وصَلِّ اللهُ وَسَلِّمْ عَلَي نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



• الدَّرْسُ الثَّانِي عَشَرَ •

شَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرُ الْجُودِ وَالْإِحْسَانِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَهِدَتْ بِوَجُودِهِ آيَاتُهُ الْبَاهِرَةُ، وَدَلَّتْ عَلَيَّ كَرَمِهِ
وَجُودِهِ نِعْمُهُ الْبَاطِنَةُ وَالظَّاهِرَةُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ نَجُومِ الْهَدَى الزَّاهِرَةِ، أَمَّا بَعْدُ:

فشهر رمضان هو شهر الجود والإحسان، وقد كان النبي ﷺ
أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، فعن ابن عباس
رضي الله عنهما، قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون
في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان
فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة» (١).
ولئن كان الجود والإنفاق في وجوه البر محموداً في كل وقت
إلا أنه يتأكد في هذا الشهر المبارك، قال الإمام ابن تيمية رحمه الله:

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦)، ومسلم برقم: (٤٣٠٨).

«إعانةُ الفقراءِ بالإطعامِ في شهرِ رمضانَ هوَ منُ سننِ الإسلامِ»^(١).

ومنَ الجودِ في رمضانَ تَفتيرُ الصَّائمينَ، فإنَّ أجرَهُ عَظيمٌ، فعنُ زيدِ بنِ خالدِ الجَهنِّيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ ﷺ: «مَنْ فَطَرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُنْقِصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا»^(٢). وعنُ عبدِ اللهِ بنِ عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»^(٣).

وقدُ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنَّهُ يَنْزِلُ كُلَّ يَوْمٍ مَلَكَانِ مِنَ السَّمَاءِ يَدْعَوَانِ لِلْمُنْفِقِ بِالْخَلْفِ، وَيَدْعَوَانِ عَلَى الْمُمْسِكِ بِالتَّلْفِ، فَقَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا»^(٤).

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٥٠ / ٢٩٨).

(٢) أخرجه الترمذي برقم: (٨٠٧)، وقال: «حديث حسن صحيح» وابن ماجه برقم: (١٧٤٦) وصححه ابن حبان (٢١٦ / ١).

(٣) أخرجه البخاري برقم (١٢)، ومسلم برقم: (٣٩).

(٤) أخرجه البخاري برقم: (١٤٤٢)، ومسلم برقم: (١٠١٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

والبذل والإنفاق في سبيل الله برهان على صدق إيمان صاحبه،
قال رسول الله ﷺ: «الصدقة برهان» (١).

قال النووي رحمه الله: «معناه: الصدقة حجة على إيمان فاعليها،
فإن المنافق يمتنع منها لكونه لا يعتقدها، فمن تصدق استدل بصدقته
على صدق إيمانه» (٢).

فهي برهان على إيمان العبد؛ لأن المال محبوب إلى النفوس،
والنفوس شحيحة به، فإذا بذله الإنسان لله فإن الإنسان لا يبذل ما
يحب إلا لما هو أحب منه.

فينبغي لك أخي المسلم أن تقتدي بالنبي ﷺ، وأن يظهر عليك
أثر الجود والبذل والإحسان في هذا الشهر المبارك.

وينبغي أن تتفقد الأموال التي عندك فتخرج الزكاة فيما وجب فيه
الزكاة، ثم بعد ذلك تحرص على البذل والإنفاق في مجالات الخير.

وينبغي أن يصحب ذلك الإخلاص لله عز وجل: ﴿إِنَّمَا نُنْعِمُكُمْ لَوَجْهِ
اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ (٣).

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ينظر: شرح صحيح مسلم (٣/١٠١).

(٣) سورة الإنسان (آية: ٩).

وأن يقترنَ به كذلكَ حفظُ كرامةِ الفقيرِ، فالبذلُ المصحوبُ بما يخذشُ كرامةَ الفقيرِ لا خيرَ فيه كما قال اللهُ تعالى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى﴾ (١)، والمنةُ والأذى تبطلُ أجرَ الصَّدقةِ كما قال اللهُ تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ (٢).

وقد كانَ عندَ صحابةِ رسولِ اللهِ ﷺ حرصٌ عظيمٌ على البذلِ والإنفاقِ في سبيلِ الخيرِ، على قلةِ ما في أيديهم من الأموالِ، ومن ذلكَ ما وردَ أنَّ بئرَ رومةَ كانتَ ليهوديٍّ يبيعُ ماءها للمسلمينَ كلَّ قربةٍ بدرهمٍ، فقالَ النبيُّ ﷺ للصحابةِ: «مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَجْعَلُ دَلْوَهُ مَعَ دِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ»، فاشترأها عثمانُ، وأوقفها على المسلمينَ (٣).

وذكرَ بعضُ أهلِ السَّيرِ قصَّةً عجيبَةً، فعن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «قَحِطَ الْمَطَرُ عَلَى عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَجَاءَتْ

(١) سورة البقرة (آية: ٢٦٣).

(٢) سورة البقرة (آية: ٢٦٤).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ الترمذي برقم: (٣٧٠٣) من حديث عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وأصله عند البخاري برقم: (٢٧٧٨).

مائة راحلة لعثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تحملُ الطَّعامَ، فاجتمع تجارُ المدينة إلى بابِ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فخرج إليهم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالوا: نريدُ أنْ نشترِيَ منك مِنْ هَذَا الطَّعامِ، قالَ عثمانُ: حَبًّا وكرامةً، كم تُربحونِي؟ قالوا: العشرةُ باثني عشرَ، فقالَ عثمانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قد أُعْطِيتُ أكثرَ، قالوا: العشرةُ أربعةَ عشرَ، قالَ: قد أُعْطِيتُ أكثرَ، قالوا: العشرةُ بخمسةَ عشرَ، قالَ عثمانُ: قد أُعْطِيتُ أكثرَ، قالَ التُّجَّارُ: مَا بَقِيَ فِي الْمَدِينَةِ تَجَّارٌ غَيْرِنَا، فَمِنِ الَّذِي أَعْطَاكَ أَكْثَرَ مِنَّا؟ قالَ: اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِكُلِّ دَرْهَمٍ عَشْرَةً، أَعْنَدُكُمْ زِيَادَةٌ؟ فقالوا: لَا، قالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُ اللهُ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ هَذَا الطَّعامَ صَدَقَةً عَلَى فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ»^(١).

قالَ الإمامُ ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللهُ: «إِنَّ لِلصَّدَقَةِ تَأْثِيرًا عَجِيبًا فِي دَفْعِ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ وَلَوْ كَانَتْ مِنْ فَاجِرٍ أَوْ مِنْ ظَالِمٍ بَلٍ مِنْ كَافِرٍ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَدْفَعُ بِهَا عَنْهُ أَنْوَاعًا مِنَ الْبَلَاءِ، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ عِنْدَ النَّاسِ خَاصَّتِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ، وَأَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ مَقْرُونٌ بِهِ لِأَنَّهُمْ جَرَّبُوهُ»^(٢).

(١) أخرجه الأجرى في الشريعة برقم: (١٤٨٦).

(٢) الوابل الصيب (ص: ٣١).

والإنسانُ يكونُ تحتَ ظلِّ صدقتهِ يومَ القيامةِ، كانَ مرثدُ
ابنِ عبدِ اللهِ اليزنيُّ **رَحْمَةُ اللهِ**، لا يمرُّ به يومٌ إلا وقد تصدَّقَ فيه بشيءٍ،
وذاةَ يومٍ لم يجدْ شيئاً في بيتهِ إلا بصلاً، فحملَهُ على رأسِهِ، فراهُ أحدُ
النَّاسِ، وقالَ له: إِنَّ اللهَ لم يوجبْ عليكِ هذا، قالَ: أما واللهِ إنِّي لم أجِدْ
في بيتي شيئاً أتصدَّقُ به غيرَهُ، وإنِّي أردتُ ألا يمرَّ عليَّ يومٌ إلا تصدَّقتُ
فيه بصدقةٍ، إِنَّهُ حدَّثني رجلٌ من أصحابِ النَّبيِّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، أن رسولَ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**
قالَ: «كُلُّ امرئٍ في ظلِّ صدقتهِ حتَّى يفصلَ بينَ الناسِ»^(١).

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِلجودِ وَالإحسانِ فِي شهرِ رمضانَ، وَتَقَبَّلْ مِنَّا يَا
كَرِيمُ يَا مَنَّانُ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلوالِدِينَا وَلجميعِ المُسلمينَ، وَصَلِّ اللهُ
وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصحبِهِ أَجمعينَ.



(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه برقم: (٢٤٣١)، وابن حبان في صحيحه برقم: (٣٣١٠)
من حديث عقبة بن عامر **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

• الدَّرْسُ الثَّلَاثُ عَشَرَ •

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ

الحمدُ لله الَّذِي لَمْ تَزَلْ سَحَابٌ جَوْدِهِ تَسُحُّ الْخَيْرَاتِ كُلِّ وَقْتٍ وَأَوَانٍ، الْكَرِيمِ الَّذِي تَأْذَنَ بِالْمَزِيدِ لَذَوِي الشُّكْرَانِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي رَفَعَ اللَّهُ بِهِ الْحَقَّ حَتَّى اتَّضَحَ وَاسْتَبَانَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ خَيْرِ الْخِلَالِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾^(١)، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِهِ: «أَيُّ: لَنْ تَنَالُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ جَنَّةَ رَبِّكُمْ، حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ، أَيُّ: حَتَّى تَتَصَدَّقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ مِنْ نَفْسِ أَمْوَالِكُمْ»^(٢).

وَسُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَيِّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «أَغْلَاهَا ثَمَنًا، وَأَنْفَسَهَا عِنْدَ أَهْلِهَا»^(٣). أَيُّ: أَرْفَعُهَا وَأَجُودُهَا.

(١) سورة آل عمران (آية: ٩٢).

(٢) تفسير الطبري (٥/٥٧٣).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٢٥١٨)، ومسلم برقم: (٨٤) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فعلَى المسلمِ أَنْ يتخَيَّرَ عِنْدَ الْإِنْفَاقِ وَالْبَذْلِ فِي سُبُلِ الْخَيْرِ الطَّيِّبِ مِنَ الْمَالِ وَلَا يَتَصَدَّقَ بِمَا هُوَ رَدِيٌّ أَوْ الَّذِي لَا يَرْضَاهُ لِنَفْسِهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (١).

قال ابنُ جريرٍ في تفسيره: «يعني جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِ﴿الْخَبِيثِ﴾: الرَّدِيءُ غيرَ الجيِّدِ، يقولُ: لَا تَعَمَّدُوا الرَّدِيءَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ فِي صَدَقَاتِكُمْ فَتَصَدَّقُوا مِنْهُ، وَلَكِنْ تَصَدَّقُوا مِنَ الطَّيِّبِ الْجَيِّدِ» (٢).

وقد كان الصَّحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ أَحْرَصِ النَّاسِ عَلَى الْإِنْفَاقِ بِأَفْضَلِ أَمْوَالِهِمْ وَمَا عِنْدَهُمْ، فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُ حَاءٍ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، فَلَمَّا أَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا

(١) سورة البقرة (آية: ٢٦٧).

(٢) تفسير الطبري (٤/ ٦٩٨).

تُحِبُّونَ ﴿١﴾، قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تَنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ ﴿١﴾، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرِحَاءٌ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بَرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بِخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ ﴿١﴾.

وَفِي قَوْلِهِ ﷺ: «وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ» دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأَرْحَامَ الْمُحْتَاجِينَ أَوْلَىٰ بِالْمَعُونَةِ مِنْ غَيْرِهِمْ، بَلِ الصَّدَقَةُ عَلَيْهِمْ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الصَّدَقَةِ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَىٰ ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ» ﴿٢﴾.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ ﴿٣﴾ قَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ اللَّهَ

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٤٦١)، ومسلم برقم: (٩٩٨).

(٢) أخرجه الترمذي رقم: (٦٥٨)، وحسنه، وصححه ابن حبان رقم: (٢٣٧).

(٣) سورة البقرة (آية: ٢٤٥).

يريدُ منَّا القرضُ؟ قال: «نعمَ يا أبا الدَّحاحِ»، قال: فإنِّي قد أقرضتُ ربِّي حائطي، حائطًا فيه ستُّ مائةِ نخلةٍ، ثمَّ جاءَ يمشي حتى أتى الحائطَ وفيه أمُّ الدَّحاحِ في عيالها فناداها: يا أمَّ الدَّحاحِ، قالت: لبيك، قال: اخرجي، فإنِّي أقرضتُ ربِّي حائطي (١).

وكان ابنُ عمرَ رضي الله عنهما، إذا أعجبه شيءٌ من مالِهِ، وتعلَّقت به نفسه، تصدَّق به، يتأوَّل قولَ اللهِ تعالى: ﴿لَنْ نَنالُوا الْبِرَّ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ نَدُلَّ عَلَى الْبِرِّ﴾ أي: الجنةَ ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (٢).

فينبغي المبادرةُ بالبذلِ والإنفاقِ، وعدمُ التَّأخِيرِ والتَّسْوِيفِ، فإنَّ الإنسانَ لا يدري متى يفجؤه الموتُ، فعن عقبه بنِ الحارثِ رضي الله عنه قال: «صليتُ وراءَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بالمدينةِ العِصرَ، فسَلَّم ثمَّ قامَ مسرعًا، يتخطَّى رقابَ النَّاسِ إلى بعضِ حجرِ نِساءِهِ، ففزعَ النَّاسُ بسرعيتهِ، وخرجَ عليهم فرأى أنَّهم قد عجبوا من سرعيتهِ، قال: ذكرتُ شيئًا من تَبْرٍ، -أي: قطع من ذهبٍ أو فضَّة- عندنا من

(١) أخرجه البزار برقم: (٢٠٣٣). قال الهيثمي: «رواه البزار، ورجاله ثقات». مجمع الزوائد (٦/٣٢١).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٤/١٣٢).

الصَّدَقَةِ، فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبَسَنِي، فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ»^(١).

فاحرصْ أخي المسلم على البذل والإنفاق بالطيب في سبل الخير فإنَّ الصَّدَقَةَ أمرٌها عظيمٌ، وآثارُها حميدةٌ في الدنيا والآخرة، قال الإمامُ ابنُ القيم **رَحِمَهُ اللهُ**: «للصَّدَقَةِ والإِحْسَانِ تأثيرٌ عجيبٌ في دفعِ البلاءِ ودفعِ العينِ وشرِّ الحاسدِ ولو لم يكنْ في هذا إلاَّ تجارِبُ الأممِ قديمًا وحديثًا،... فالمحسنُ المتصدقُ في خفارةِ إحسانِهِ وصدقَتِهِ، عليه مِنَ اللهِ جُنَّةٌ واقيةٌ وحصنٌ حصينٌ»^(٢).

اللَّهُمَّ امْنُنْ عَلَيْنَا بِغَفْرَانِكَ، وَعَامِلْنَا بِفَضْلِكَ وَإِحْسَانِكَ، واجْعَلْنَا مِنْ وَرَثَةِ جَنَّتِكَ وَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِكَ وَنَقِمَتِكَ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمْ.



(١) أخرجه البخاري برقم: (١١٦٣).

(٢) بدائع الفوائد (٢/٢٤٢-٢٤٣).

• الدَّرْسُ الرَّابِعُ عَشَرَ •

الأَمْوَالُ الَّتِي تَجِبُ فِيهَا الزَّكَاةُ

الحمدُ لله الَّذِي يَمْحُو الزَّلَّلَ وَيَصْفَحُ، وَيَغْفِرُ الخَطَايَا، وَكُلُّ مَنْ لَازَبَهُ أَفْلَحَ، وَالصَّلَاةُ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي جَادَ اللَّهُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ وَأَبَانَ الحَقَّ وَأَوْضَحَ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَسَلِّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا. أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ اعْتَادُوا أَنْ يُخْرِجُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ طَلَبًا لِشَرَفِ فَضِيلَةِ الزَّمَانِ.

ويحسُنُ الحَدِيثُ فِي هَذِهِ الدُّرُوسِ عَنْ أَبْرَزِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَسَائِلِ الزَّكَاةِ، وَنَبْدُ الحَدِيثِ بِالْأَمْوَالِ الَّتِي تَجِبُ فِيهَا الزَّكَاةُ، وَهِيَ أَرْبَعَةٌ أَصْنَافٍ:

■ **الصَّنْفُ الْأَوَّلُ:** الخَارِجُ مِنَ الْأَرْضِ مِنَ الحَبُوبِ وَالثَّمَارِ.

■ **وَالصَّنْفُ الثَّانِي:** السَّائِمَةُ مِنَ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ.

■ **وَالصَّنْفُ الثَّلَاثُ:** النِّقْدَانِ.

■ والصَّنْفُ الرَّابِعُ: عَرُوضُ التِّجَارَةِ.

□ **أَمَّا الصَّنْفُ الْأَوَّلُ:** وَهُوَ الْخَارِجُ مِنَ الْأَرْضِ مِنَ الْحَبُوبِ وَالثَّمَارِ، فَتَجِبُ الزَّكَاةُ فِي كُلِّ حَبٍّ، وَفِيمَا يُكَالُ وَيُدَّخَرُ مِنَ الثَّمَارِ. وَالْمَقْدَارُ الْوَاجِبُ هُوَ الْعُشْرُ (أَيُّ ١٠٪) فِيمَا يُسْقَى بِغَيْرِ مَوْوَنَةٍ وَلَا كَلْفَةٍ؛ كَالَّذِي يُسْقَى بِمِيَاهِ الْأَمْطَارِ وَالْأَنْهَارِ وَالْعَيُونِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَأَمَّا مَا يُسْقَى بِمَوْوَنَةٍ وَكَلْفَةٍ فَفِيهِ نِصْفُ الْعُشْرِ (أَيُّ ٥٪)؛ كَالَّذِي يُسْقَى بِالْمَكَائِنِ الرَّافِعَةِ لِلْمَاءِ وَنَحْوِهَا.

□ **وَالصَّنْفُ الثَّانِي:** السَّائِمَةُ مِنَ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ، وَهِيَ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ.

وَالْمَرَادُ بِالسَّائِمَةِ: أَيُّ الَّتِي تَرَعَى الْعَشْبَ وَالْكَأَلَ أَكْثَرَ السَّنَةِ، وَعَلَى هَذَا فَالْمَعْلُوفَةُ لَا زَكَاةَ فِيهَا، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ إِبِلٌ أَوْ بَقَرٌ أَوْ غَنَمٌ يَشْتَرِي لَهَا الْعَلْفَ فَلَا زَكَاةَ فِيهَا، وَإِنَّمَا تَجِبُ الزَّكَاةُ فِيهَا إِذَا كَانَتْ تَرَعَى الْعَشْبَ وَالْكَأَلَ أَكْثَرَ السَّنَةِ.

وَيُسْتثنَى مِنْ ذَلِكَ مَا إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْمَوَاشِي مُعَدَّةً لِلتِّجَارَةِ
فَتُزَكَّى زَكَاةَ عَرُوضِ التِّجَارَةِ، وَتَفَاصِيلُ أَحْكَامِ زَكَاتِهَا مَذْكُورَةٌ فِي
كُتُبِ الْفِقْهِ.

□ وَالصَّنْفُ الثَّلَاثُ: النَّقْدَانِ، وَهَمَّا الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَفِي
مَعْنَاهُمَا فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ: الْأُورَاقُ النَّقْدِيَّةُ مِنَ الرِّيَالَاتِ
وَالدُّولَارَاتِ وَالْجِنِيهَاتِ وَسَائِرِ الْعَمَلَاتِ النَّقْدِيَّةِ، فَتَجِبُ فِيهَا
الزَّكَاةُ إِذَا حَالَ عَلَيْهَا الْحَوْلُ وَبَلَغَتْ نَصَابًا.

وَلَا تَجِبُ الزَّكَاةُ فِيمَا سِوَى الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ مِنَ الْمَعَادِنِ
كَالْأَلْمَاسِ مِثْلًا وَإِنْ كَانَ أَعْلَى مِنْهُمَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَعَدًّا لِلتِّجَارَةِ
فِيُزَكَّى زَكَاةَ تِجَارَةٍ.

وَنَصَابُ الْأُورَاقِ النَّقْدِيَّةِ: هُوَ أَدْنَى النَّصَابِينَ مِنَ الذَّهَبِ أَوْ الْفِضَّةِ،
وَهُوَ الَّذِي أَقَرَّهُ الْمَجْمَعُ الْفَقْهِيُّ بِرَابِطَةِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ^(١)، وَهَيْئَةُ
كِبَارِ الْعُلَمَاءِ^(٢)، وَالْفِضَّةُ فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ أَرْخَصُ مِنَ الذَّهَبِ بِكَثِيرٍ.

(١) قرار رقم: (٦)، الدورة رقم: (٥) في ٨-١٦ / ٤ / ١٤٠٢ هـ. ينظر: قرارات المجمع الفقهي
الإسلامي (ص: ١٠٣).

(٢) ينظر: أبحاث هيئة كبار العلماء (١/ ٩٣).

وعلى هذا فنصابُ الأوراقِ النقديَّةِ هو نصابُ الفضة، فننظرُ إلى سعرِ الجرامِ مِنَ الفضةِ ونضربُهُ في ٥٩٥ يخرجُ نصابُ الأوراقِ النقديَّةِ.

فمن بلغَ مالهُ نصابًا فأكثرَ وحالَ عليه الحولُ فيجبُ عليه أنْ يزكِّيَهُ، بغضِّ النظرِ عنِ الغرضِ الَّذي ادَّخَرَ هذا المبلغَ لأجلِهِ حتَّى لو ادَّخَرَهُ لنفقةٍ، أو لزواجٍ، أو لبناءِ مسكنٍ، أو لأيِّ غرضٍ مِنَ الأغراضِ.

ونذكرُ قاعدةً في كيفيةِ حسابِ زكاةِ الأوراقِ النقديَّةِ وهي أن: أيَّ مبلغٍ نقديٍّ اقسَّمَهُ على أربعينَ يخرجُ لك مقدارُ الزكاةِ، فمثلاً أربعةُ آلافٍ اقسَّمَهَا على أربعينَ الناتجُ: مئةٌ، وأربعونَ ألفاً اقسَّمَهَا على أربعينَ الناتجُ: ألفٌ وهكذا..

□ **والصَّنْفُ الرَّابِعُ:** عروضُ التَّجَارَةِ، والمقصودُ بِهَا: العروضُ الَّتِي أعدَّهَا الإنسانُ للتَّجَارَةِ، أي: يبيعُ ويشترِي فِيهَا بقصدِ التَّربُّحِ، فيجبُ عَلَيْهِ أنْ يقيِّمَهَا عندَ نهايةِ الحولِ، ويخرجُ ربعَ عشرِ قيمَتِهَا، وهو اثنانِ ونصفٌ في المائةِ (٥, ٢٪)، ومن ذلك: المحلَّاتُ التَّجَارِيَّةُ

بأنواعِهَا سِوَاءِ كَانَتْ مَحَلَّاتِ أَقْمَشَةٍ، أَوْ آلَاتٍ وَأَجْهَزَةٍ، أَوْ مَوَادِّ غِذَائِيَّةٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَيَجِبُ عَلَى أَصْحَابِهَا أَنْ يُقَيِّمُوا عِنْدَ تَمَامِ الْحَوْلِ، بِأَنْ يَجْرُدُوهَا، كَأَنَّهُمْ يَرِيدُونَ أَنْ يَبِيعُوا الْبَضَاعَةَ الَّتِي فِيهَا، ثُمَّ يَخْرُجُوا رُبْعَ عَشْرِ قِيَمَتِهَا.

وَالزَّكَاةُ إِنَّمَا تَجِبُ فِي السَّلْعِ الْمَعْدَّةِ وَالْمَعْرُوضَةِ لِلْبَيْعِ، وَأَمَّا الْأَصُولُ مِنَ الْبِنَاءِ وَالرُّفُوفِ وَالثَّلَاجَاتِ وَنَحْوِهَا فَلَا زَكَاةَ فِيهَا.

اللَّهُمَّ ارزُقْنَا الْفَقْهَ فِي الدِّينِ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ،
وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ.



• الدَّرْسُ الْخَامِسُ عَشَرَ •

أَصْنَافُ أَهْلِ الزُّكَاةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ مَعْطِي الْجَزِيلِ لِمَنْ أَطَاعَهُ، لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مَعْقَبَ
عَلَى حِكْمِهِ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى مَنْ اجْتَبَاهُ وَاصْطَفَاهُ مُحَمَّدِ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهَدَاهُ، أَمَّا بَعْدُ:

فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمَلِينَ
عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ
السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ﴾ (١).

فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى مَصَارِفَ الزُّكَاةِ وَأَهْلِهَا
الْمُسْتَحِقِّينَ لَهَا، وَحَصَرَهَا فِي هَؤُلَاءِ الْأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ وَصَدَّرَ الْآيَةَ
بِأَدَاةِ الْحَصْرِ (إِنَّمَا)، وَبَيَّنَّ أَنَّ صَرْفَهَا فِيهِمْ فَرِيضَةٌ لَّازِمَةٌ وَأَنَّ هَذِهِ
الْقِسْمَةُ صَادِرَةٌ عَنِ عِلْمِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ.

(١) سُورَةُ التَّوْبَةِ (آيَةُ ٦٠).

وهؤلاء الأصنافُ:

❖ الصِّنْفُ الأوَّلُ: الفقراءُ، والفقيرُ: هو المُعَدَمُ الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ شيءٌ، أو عِنْدَهُ دُونَ نِصْفِ الكَفَايَةِ.

❖ الصِّنْفُ الثَّانِي: المساكينُ، والمسكينُ: هو الَّذِي عِنْدَهُ نِصْفُ الكَفَايَةِ أو أَكْثَرُهَا، وَلَيْسَ عِنْدَهُ تَمَامُ الكَفَايَةِ.

فالفقراءُ والمساكينُ: هُمُ المحتاجونَ، لكنَّ الفقراءَ أَشَدُّ حَاجَةً مِنَ المساكينَ، وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى المساكينَ فِي قِصَّةِ مُوسَى مَعَ الخَضِرِ وَأَنَّ لَهُمُ سَفِينَةً يَعْمَلُونَ عَلَيْهَا، ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ (١).

مثالُ ذلك: رجلٌ لَيْسَ عِنْدَهُ شيءٌ، هَذَا فقيرٌ، وَمَنْ عِنْدَهُ دَخْلٌ يَكْفِيهِ إِلَى عَشْرَةٍ مِنَ الشَّهْرِ هَذَا فقيرٌ أَيْضًا، وَمَنْ عِنْدَهُ دَخْلٌ يَكْفِيهِ إِلَى مُتَتَصِفِ الشَّهْرِ هَذَا مسكينٌ، وَمَنْ عِنْدَهُ دَخْلٌ يَكْفِيهِ إِلَى عَشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ لَكِنْ لَا يَكْفِيهِ إِلَى آخِرِ الشَّهْرِ هَذَا مسكينٌ، وَمَنْ عِنْدَهُ دَخْلٌ يَكْفِيهِ إِلَى آخِرِ الشَّهْرِ فَهَذَا مكفِيٌّ وَلَيْسَ بفقيرٍ وَلَا مسكينٍ، وَلَا تَحِلُّ لَهُ الزَّكَاةُ، وَمِنْ بَابِ أَوْلَى إِذَا كَانَ يَدَّخِرُ شَيْئًا مِنْ دَخْلِهِ فَلَا تَحِلُّ لَهُ الزَّكَاةُ.

وَلَا يَلْزَمُ الْيَقِينُ بِحَالَةِ الْفَقِيرِ أَوْ الْمَسْكِينِ، وَإِنَّمَا بِمَا غَلَبَ عَلَى الظَّنِّ مِنْ حَالِهِ، وَلَكِنْ مَنْ سَأَلَ الزَّكَاةَ وَلَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ غِنَى فَيَجُوزُ إِعْطَاؤُهُ مِنَ الزَّكَاةِ، وَيَنْبَغِي إِخْبَارُهُ بِأَنَّهَا زَكَاةٌ وَأَنَّهَا لَا تَحُلُّ لَغْنِيٍّ وَلَا لِقَوِيٍّ مُكْتَسِبٍ، وَقَدْ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلَانِ جَلْدَانِ يَسْأَلَانِهِ، فَصَعَّدَ النَّظَرَ فِيهِمَا، ثُمَّ قَالَ: «إِنْ شِئْتُمَا أُعْطِيْتُكُمَا، وَلَا حَظَّ فِيهَا لِغْنِيٍّ، وَلَا لِقَوِيٍّ مُكْتَسِبٍ»^(١).

❖ **الصِّنْفُ الثَّلَاثُ: الْعَامِلُونَ عَلَيْهِمَا:** وَهُمْ الَّذِينَ يَنْصَبُهُمْ وَلِيُّ الْأَمْرِ لِحَبَابَةِ الزَّكَاةِ مِنْ أَهْلِهَا وَحَفِظِهَا وَتَصْرِيفِهَا، فَيُعْطُونَ مِنْهَا بِقَدْرِ عَمَلِهِمْ وَإِنْ كَانُوا أَغْنِيَاءَ، وَأُمَّا وَكَلَاءُ الْأَفْرَادِ مِنَ النَّاسِ فِي تَوْزِيْعِ زَكَاتِهِمْ فَلَيْسُوا مِنَ الْعَامِلِينَ عَلَيْهَا فَلَا يَسْتَحِقُّونَ مِنْهَا شَيْئًا مِنْ أَجْلِ وَكَالَتِهِمْ فِيهَا، وَكَذَلِكَ الْقَائِمُونَ عَلَى الْجَمْعِيَّاتِ الْخَيْرِيَّةِ يُعْتَبَرُونَ وَكَلَاءَ وَلَيْسُوا مِنَ الْعَامِلِينَ عَلَيْهَا.

❖ **الصِّنْفُ الرَّابِعُ: الْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ وَهُمْ مَنْ يُرَجَى بِإِعْطَائِهِمْ** الزَّكَاةَ إِسْلَامُهُمْ أَوْ تَقْوِيَّةُ إِيْمَانِهِمْ، أَوْ كَفُّ شَرِّهِمْ عَنِ الْمُسْلِمِينَ،

(١) أخرجه أبو داود برقم: (١٦٣٣) وصححه ابن الملقن في البدر المنير (٧/٣٦١). قال أحمد بن حنبل: ما أجوده من حديث. التلخيص الحبير (٣/٢٣١).

وَيُشْتَرَطُ فَيَمَنْ يُخْشَى شُرَّهُ أَنْ يَكُونَ سَيِّدًا فِي قَوْمِهِ لَهُ أَتْبَاعٌ وَقُوَّةٌ
وَشَوْكَةٌ.

❖ **الصِّنْفُ الْخَامِسُ: الرَّقَابُ وَهُمْ:** الْأَرْقَاءُ الْمَكَاتِبُونَ الَّذِينَ
اشْتَرَوْا أَنْفُسَهُمْ لِيَحْرُرُوا، وَيَجُوزُ أَنْ يُفْتَدَى الْأَسِيرُ الْمَسْلُومُ مِنَ
الزَّكَاةِ؛ لِدُخُولِهِ فِي عَمُومِ الرَّقَابِ.

❖ **الصِّنْفُ السَّادِسُ: الْغَارِمُونَ:** وَهُمْ الَّذِينَ لِحَقَّتْهُمْ دِيُونٌ كَثِيرَةٌ
عَجَزُوا عَنْ سَدَادِهَا، وَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ الدَّيْنُ حَالًا وَعَجَزَ عَنْ سَدَادِهِ
بِحَيْثُ إِنَّ الدَّائِنَ لَوْ رَفَعَ فِيهِ شِكَايَةً لَرَبَّمَا سُجِنَ بِسَبَبِ ذَلِكَ الدَّيْنِ.
أَمَّا مَنْ عَلَيْهِ دِيُونٌ مُؤَجَّلَةٌ أَوْ مَقْسَطَةٌ أَوْ عَلَيْهِ دَيْنٌ حَالٌّ وَهُوَ قَادِرٌ
عَلَى سَدَادِهِ فَلَيْسَ مِنَ الْغَارِمِينَ الْمُسْتَحَقِّينَ لِلزَّكَاةِ.

وَيَنْبَغِي الْعِنَايَةُ بِهَذَا الصَّنْفِ، فَكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ مَسْجُونٍ مُنْقَطِعٍ
عَنْ أَسْرَتِهِ بِسَبَبِ دِيُونٍ ابْتُلِيَ بِهَا، فَمَا أَعْظَمَ أَجْرَ مَنْ تَلَمَّسَ حَاجَاتِ
هَؤُلَاءِ وَقَضَى دِيُونَهُمْ.

❖ **الصِّنْفُ السَّابِعُ: فِي سَبِيلِ اللَّهِ:** وَهُوَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
الَّذِي يُقْصَدُ بِهِ أَنْ تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَا.

ويدخلُ في ذلكُ جهادُ الدَّعوةِ على القولِ الرَّاجِحِ - وهو ما أقرَّه المجمعُ الفقهيُّ برابطةِ العالمِ الإسلاميِّ^(١) - فإنَّ جهادَ الدَّعوةِ هو الأصلُ بل لم يُشرَعْ جهادُ السِّلاحِ إلَّا لنشرِ الدَّعوةِ إلى الله تعالى، وعلى هذا فيجوزُ دفعُ الزَّكاةِ لمراكزِ الدَّعوةِ إلى الله تعالى، لكنَّ ينبغي أن يقصرَ صرفَ الزَّكاةِ فيما تمحَّضَ من أمورِ الدَّعوةِ كرواتبِ الدُّعاةِ ونحوِ ذلك، ولا تُصرفَ في الأمورِ غيرِ الأساسيَّةِ كالإعلاناتِ والمسابقاتِ ونحوها.

❖ الصَّنْفُ الثَّامِنُ: ابْنُ السَّبِيلِ: وهو المسافرُ الَّذِي انقطعَ به السَّفَرُ ونفدَ ما في يده؛ فيعطى من الزَّكاةِ ما يوصلُهُ إلى بلده وإن كان غنياً فيها ووجدَ مَنْ يُقرضُهُ.

فعلى المسلم أن يتحرَّى بزكاته المستحقينَ لها وهم هؤلاء الأصنافُ الثمانية، ولا تصرفَ لغيرهم، فلا تصرفَ في بناءِ المساجدِ، ولا في بناءِ المدارسِ، ولا في حفرِ الآبارِ ونحوِ ذلك.

(١) قرار رقم: (٥)، الدورة (٩) في ١٢-١٩/٧/١٤٠٦هـ. ينظر: قرارات المجمع الفقهي الإسلامي (ص: ١٩٦).

وينبغي للمسلم أن يتحرى بزكاته المستحقين، ولا يجمالُ
بإعطائها من لا يستحقُّها، فإنَّ بعضَ النَّاسِ يكونُ له أقاربُ أو
معارفُ اعتادَ أن يعطيَهُم من زكاته، وتغيَّرت أحوالُهُم بحيثُ
أصبحوا غيرَ مستحقِّينَ للزَّكاةِ، فلا تبرأُ الذِّمَّةُ بإعطائِهِم من الزَّكاةِ
مع عدمِ استحقاقِهِم لها.

ولا يجوزُ لمن كانَ غيرَ مستحقِّ للزَّكاةِ أن يأخذَ منها، وقد قالَ
النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكْثُرًا، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا فَلَيْسَتْ قِلَّةٌ
أَوْ لَيْسَتْ كَثْرَةٌ»^(١).

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا
لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ
نَعْلَمْ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى
عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



(١) أخرجه مسلم برقم: (١٠٤١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

• الدَّرْسُ السَّادِسُ عَشَرَ •

مَا يَكْثُرُ السُّؤَالُ عَنْهُ مِنْ مَسَائِلِ الزُّكَاةِ

الحمدُ لله الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ، وَجَعَلَ كُلَّ إِنْسَانٍ مَيَّسَرًا لِمَا خَلَقَ لَهُ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَيَّ مَنْ أَوْضَحَ اللَّهُ بِهِ سَبِيلَ الْهُدَى وَنَوَّرَهُ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ. وَبَعْدُ:

فَهَذِهِ أَبْرَزُ مَسَائِلِ الزُّكَاةِ الَّتِي يَكْثُرُ سُؤَالُ النَّاسِ عَنْهَا:

١- زَكَاةُ الدَّخْلِ الشَّهْرِيِّ:

المُرَادُ بِالدَّخْلِ الشَّهْرِيِّ: مَا يَدْخُلُ عَلَيَّ الْإِنْسَانِ كُلَّ شَهْرٍ مِنْ رَاتِبٍ، أَوْ تَقَاعِدٍ، أَوْ غَيْرِهِ، فَإِنْ كَانَ الْإِنْسَانُ لَا يَدَّخِرُ مِنْهُ شَيْئًا فَلَيْسَ عَلَيْهِ زَكَاةٌ، أَمَّا إِذَا كَانَ يَدَّخِرُ مِنْهُ وَبَلَغَ الْمُدَّخِرُ نَصَابًا فَأَكْثَرَ، وَحَالَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَزَكِّيَهُ.

وَهُنَاكَ عِدَّةُ طَرِيقٍ لِإِخْرَاجِ زَكَاتِهِ وَمِنْهَا: أَنْ يَطْلُبَ كَشْفَ حَسَابِ بَنْكِيٍّ، وَيَنْظُرَ إِلَى أَقْلِ رَصِيدٍ فِي السَّنَةِ فَيَزَكِّيَهُ، وَمِنْهَا: أَنَّهُ يَجْعَلُ لَهُ تَارِيخًا مُحَدَّدًا فِي السَّنَةِ كَمَتَّصِفِ شَهْرِ رَمَضَانَ مَثَلًا، وَيَزَكِّي فِيهِ جَمِيعَ رَصِيدِهِ، نَاوِيًا تَعْجِيلَ الزُّكَاةِ فِيمَا لَمْ يَحُلْ عَلَيْهِ الْحَوْلُ، وَبِذَلِكَ

لَا يَنْظُرُ إِلَى زَكَاةِ رَصِيدِهِ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً فِي السَّنَةِ، وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ أَسْهَلُ وَأَحْوَطُ وَأَضْبَطُ. وَإِذَا أَشْكَلَ عَلَى الْإِنْسَانِ شَيْءٌ فِي مِقْدَارِ الزَّكَاةِ فَإِنَّهُ يَحْتَاطُ، وَيَنْوِي أَنْ مَا زَادَ عَلَى الزَّكَاةِ يَكُونُ صَدَقَةً.

٢- زكاةُ الحلِيِّ:

الحلِيُّ المَتَّخِذُ لِلْبَسِّ وَالزَّيْنَةِ اِخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي حُكْمِ زَكَاتِهِ، فَأَكْثَرُ الْفُقَهَاءِ عَلَى أَنَّهُ لَا تَجِبُ فِيهِ الزَّكَاةُ وَهُوَ مَذْهَبُ الْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ^(١)، وَذَهَبَ الْحَنْفِيَّةُ إِلَى وَجوبِ الزَّكَاةِ فِيهِ^(٢)، وَالرَّاجِحُ قَوْلُ الْجُمْهُورِ وَهُوَ أَنَّهُ لَا تَجِبُ فِيهِ الزَّكَاةُ، لِأَنَّ الْأَحَادِيثَ الْمَرْوِيَّةَ فِي وَجوبِ الزَّكَاةِ فِيهِ كُلُّهَا ضَعِيفَةٌ كَمَا قَالَ التِّرْمِذِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا يَصِحُّ فِي هَذَا الْبَابِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ شَيْءٌ»^(٣).

وَلِأَنَّ قَاعِدَةَ الشَّرِيعَةِ أَنَّهُ لَا تَجِبُ الزَّكَاةُ فِيمَا أُعِدَّ لِلِاسْتِعْمَالِ وَالْقُنْيَةِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَ عَلَى الْمُسْلِمِ فِي عَبْدِهِ وَلَا فَرَسِهِ صَدَقَةٌ»^(٤)، فَبَيْتُ الْإِنْسَانِ، وَسَيَارَتُهُ، وَأَوَانِي الْبَيْتِ وَأَثَاثُهُ، وَكُلُّ مَا كَانَ مُعَدًّا لِلِاسْتِعْمَالِ لَا زَكَاةَ فِيهِ، وَهَكَذَا الْحَلِيُّ لَا زَكَاةَ فِيهِ، وَلِأَنَّ

(١) ينظر: الإشراف على نكت مسائل الخلاف (٤٠٠/١)، والمجموع (٦/٦)، والمغني (٤١/٣).

(٢) ينظر: المبسوط للسرخسي (١٩٢/٢)، والاختيار لتعليل المختار (١١٠/١).

(٣) سنن الترمذي (٢١/٣).

(٤) أخرجه البخاري برقم: (١٤٦٣)، ومسلم برقم: (٩٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

القول بعدم وجوب الزكاة في الحلّي المعدّ للبسّ والزينة هو المأثور عن أكثر الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**.

٣- زكاة الأسهم:

تختلف زكاة الأسهم باختلاف حال المساهم: إن كان المساهم مستثمراً أي: أنه لا يبيع ولا يشتري فيها، إنما اكتتب فيها وتركها، أو اشتراها وتركها، أو أنه كان يبيع ويشترى فيها ثم ترك ذلك، فإن كانت الشركة المساهم فيها في المملكة العربية السعودية فلا زكاة عليه باعتبار أن الشركات المساهمة في المملكة تخرج الزكوات عن المساهمين، والمال لا يُزكى مرتين. أمّا إن كانت الشركة خارج المملكة ولا تخرج الزكاة عن المساهمين فعلى المساهم إخراج زكاتها بضرب عدد الأسهم التي يمتلكها في مقدار الوعاء الزكويّ للسهم، أمّا إن كان المساهم متاجراً (مضارباً) أي: يبيع ويشترى فيها فيجب عليه زكاة جميع الأسهم التي عنده، وذلك بأن ينظر للقيمة السوقية للمحفظة وقت تمام الحول ويخرج ربع عشر قيمتها.

٤- زكاةُ الأراضي:

زكاةُ الأراضي تتأثرُ بنيةِ المالكِ؛ فإن كان المالكُ للأرضِ يريدُ بها التجارةَ، والتربُّحَ والتكسبَ إمَّا في الحالِ أو في المستقبلِ فهذه من عروضِ التجارةِ، فيجبُ عليه أن يُقيِّمَهَا عندَ تمامِ الحولِ ويخرجَ ربعَ عشرِ قيمتها (أي: ٥, ٢٪).

أمَّا إذا كانَ لا يريدُ بها التجارةَ، وإنَّما يريدُ أن يبييَ عليها مسكنًا، أو استراحةً، أو عقارًا لتأجيرِهِ ونحو ذلك، أو أن نيتُهُ غيرُ جازمةٍ فهوَ متردِّدٌ تارةً بين أن يبييَ عليها، أو أن يبيعَهَا فهذه الأرضُ لا زكاةَ فيها.

٥- زكاةُ الديونِ:

إذا كانَ على الإنسانِ ديونٌ فإن كانتِ الديونُ مؤجلةً فلا أثرَ لها على الزكاةِ، أمَّا إن كانتِ الديونُ حالةً فيخصمُ من المالِ الذي تجبُ فيه الزكاةُ ما يقابلُ هذه الديونَ.

مثال ذلك: رجلٌ عليه دينٌ حالٌ بمقدارِ عشرةِ آلافِ ريالٍ، والمالُ الذي حالَ عليه الحولُ عندهُ مائةُ ألفٍ، فيخصمُ العشرةَ آلافٍ من المئَةِ ألفِ، أي أنه يزكي تسعينَ ألفَ ريالٍ.

أَمَّا الدُّيُونُ الَّتِي لِلإِنْسَانِ فِي ذِمِّهِ الْآخَرِينَ فَإِذَا كَانَ الْمَدِينُ مَلِيئًا
بِأَذْلًا بَحِيثٌ إِذَا طُلِبَ مِنْهُ السَّدَادُ قَامَ بِذَلِكَ فَيَجِبُ عَلَى الدَّائِنِ زَكَاةُ
هَذَا الدَّيْنِ، أَمَّا إِذَا كَانَ الْمَدِينُ مَعْسِرًا أَوْ مِمَاطِلًا فَلَا تَجِبُ الزَّكَاةُ فِي
هَذَا الدَّيْنِ.

٦- دَفْعُ الزَّكَاةِ لِلْعَمَّالِ وَالْخَدَمِ:

دَفْعُ الزَّكَاةِ لِلْعَمَّالِ وَالْخَدَمِ وَنَحْوِهِمْ يَجُوزُ ذَلِكَ بِثَلَاثَةِ شُرُوطٍ:

■ الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونُوا مُسْتَحَقِّينَ لِلزَّكَاةِ؛ بِأَنْ يَكُونُوا مِنْ

الْفُقَرَاءِ أَوْ الْمَسَاكِينِ أَوْ الْغَارِمِينَ مِثْلًا.

■ الشَّرْطُ الثَّانِي: أَلَّا يُرْبَطَ بَيْنَ الزَّكَاةِ وَالْعَمَلِ؛ فَلَا يُعْطِيهِ مِنَ الزَّكَاةِ

لَأَجْلِ أَنْ يَجُودَ الْعَمَلُ، وَإِنَّمَا يُعْطِيهِ مِنَ الزَّكَاةِ كَمَا يُعْطِي غَيْرَهُ.

■ الشَّرْطُ الثَّلَاثُ: أَلَّا يُتَّبَعَ ذَلِكَ بِمِنَّةٍ وَلَا أَذَى؛ فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ

إِذَا أُعْطِيَ الْخَادِمَ أَوْ السَّائِقَ بَدَأَ يَمْتَنُّ عَلَيْهِ، وَالْمِنَّةُ تُبْطِلُ الْأَجْرَ كَمَا

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ (١).

٧- زكاةُ أموالِ اليتامى وذويِ الاحتياجاتِ الخاصّةِ :

أَيُّ مالٍ يبلغُ نصاباً وحالَ عليهِ الحولُ وجبَتْ فيهِ الزّكاةُ بغضِّ النّظرِ عنِ المالكِ، سواءً كانَ صاحبُ المالِ يتيماً، أو من ذويِ الاحتياجاتِ الخاصّةِ، أو غيرِهِم.

ووليُّ اليتيمِ ونحوهُ ينبغي لهُ أنْ يستثمرَ أموالَ اليتامى في مجالاتِ استثمارٍ قليلةِ المخاطرِ حتّى لا تأكلُها الزّكاةُ؛ لأنّه إذا بقيَ كلُّ سنةٍ يزكّي سوفَ تنقصُ أموالُهُم، ولذا كانَ عمرُ بنُ الخطّابِ **رضيَ اللهُ عنهُ** يقولُ: «تَجَرُّوا في أموالِ اليتامى لا تأكلُها الزّكاةُ»^(١).

اللّهُمَّ اغفرْ لنا ما قدّمنا وما أحرّنا، وما أسررنا وما أعلّنا، وما أنتَ أعلمُ بهِ منا، اللّهُمَّ اغفرْ لنا ولوالدينا ولجميعِ المسلمينَ، وصلى اللهُ على نبيِّنا محمّدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ وسلّم.



(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢٥١/١) برقم: (١٢).

• الدَّرْسُ السَّابِعُ عَشَرَ •

غَزْوَةُ بَدْرِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْقَوِيِّ الْمَتِينِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ
الْمَنْصُورِ بِبَدْرِ بِالمَلَائِكَةِ الْمُنَزَّلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ
لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَّا بَعْدُ:

فشهرُ رمضانَ شهرُ القرآنِ والفرقانِ، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ
فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ (١).

وفي شهرِ رمضانَ فرقانٌ من نوعٍ آخرَ، فرقانٌ بينَ الحقِّ
والباطلِ، إِنَّهُ فِرْقَانٌ بَدْرٍ، المعركةُ الكبرى، ﴿إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا
أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ النُّقَى الْجَمْعَانِ﴾ (٢).

هذه الغزوةُ الفاصلةُ في تاريخِ الإسلامِ والمسلمينَ، قد
تضمَّنتْ دروسًا وعبرًا كثيرةً للأُمَّةِ على مرِّ الأجيالِ، وقد وقعتْ هذه
الغزوةُ في السَّابعِ عَشَرَ مِنْ شهرِ رمضانَ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الهِجْرَةِ،
جمعَ اللهُ تعالى بينَ المسلمينَ وبينَ عدوِّهم مِنْ غيرِ ميعادٍ.

(١) سورة البقرة (آية: ١٨٥).

(٢) سورة الأنفال (آية: ٤١).

وذلك أن رسول الله ﷺ بلغه خبرُ العيرِ المُقبلةِ مِنَ الشَّامِ لقريشٍ، فندبَ النَّاسَ للخروجِ إليها، واستطاعَ قائدُ تلكَ العيرِ أبو سفيانَ النَّجاةَ بها، ولكنَّ قريشاً أصرتْ على الخروجِ لقتالِ رسولِ الله ﷺ، بطراً ورتاء النَّاسِ، وصدّاً عن سبيلِ الله، حتَّى قال أبو جهل: والله لا نرجعُ حتَّى نبلغَ بدرًا ونقيمَ فيه ثلاثًا، ننحرُ الجزورَ، ونطعمُ الطَّعامَ، ونسقي الخمرَ، وتسمعُ بنا العربُ فلا يزالون يهابوننا أبدًا. وأعلمَ النَّبيُّ ﷺ أصحابه أن الله وعدَهُ إحدَى الطَّائفتينِ، إمَّا العيرَ وإمَّا قريشاً، أي: إمَّا الغنيمَةَ والحصولَ على العيرِ من دون قتالٍ، وإمَّا النَّصرَ على قريشٍ.

واستشارَ النَّبيُّ ﷺ أصحابه، وكان كثيرًا ما يستشيرُهُم، امتثالاً لأمرِ ربِّه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(١)، مع أنه ﷺ أصوبُ النَّاسِ عقلاً، وأعظمُهُم بصيرةً، ولكنه يُريدُ أن تتأسى به الأُمَّةُ في الاستشارة، ولمَّا استشارَ النَّبيُّ ﷺ أصحابه، قامَ المقدادُ بنُ عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال: يا رسولَ الله، امضِ لِمَا أَمَرْتَ بِهِ فنحنُ معك، والله لا نقولُ لك كما قالتُ بنو إسرائيلَ لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا

(١) سورة آل عمران (آية: ١٥٩).

إِنَّا هَهُنَا قَعِدُونَ ﴿١﴾، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد ﴿٢﴾ لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه.

ثم قال ﷺ: أشيروا علي أيها الناس، وإنما يريد الأنصار، ففهمت الأنصار أنه يعينهم، وذلك لأنهم إنما بايعوه على أن يمنعوه وينصروه في ديارهم، فاستشارهم ليعلم ما عندهم، فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه، وقال: والله لكأنك يا رسول الله تريدنا. قال: أجل. فقال سعد: إني لأقول عن الأنصار: صل حبل من شئت واقطع حبل من شئت وخذ من أموالنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرتنا فيه من أمر فامرنا فيه تبع لأمرك، فامض يا رسول الله لِمَا أَرَدْتَ فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ما تخلف منا واحد، وما نكره أن نلقى عدونا غدا، إنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك ﴿٣﴾.

(١) سورة المائدة (آية: ٢٤).

(٢) موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر، وقيل: بلد باليمن.

ينظر: معجم البلدان (١/ ٣٩٩).

(٣) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٦١٥)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٣٤).

فَسَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ كَأَنَّهُ بَدْرٌ، وَقَالَ:
 «سِيرُوا وَأَبْشَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَاللَّهِ
 لَكَأَنِّي أَنْظَرُ الْآنَ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ»، وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَصْحَابِهِ
 إِلَى الْمَوْعِ، وَاخْتَارَ الْمَكَانَ الْأَصْلَحَ بَعْدَ الْاسْتِشَارَةِ، فَلَمَّا طَلَعَ
 الْمَشْرُكُونَ، وَتَرَاءَ الْجَمْعَانِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ هَذِهِ قُرَيْشٌ
 جَاءَتْ بِفَخْرِهَا وَخِيَلَاتِهَا وَخَيْلِهَا تُحَادِّدُكَ وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ، اللَّهُمَّ
 نَصْرَكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ انْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشِدُكَ
 عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِن شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ، اللَّهُمَّ إِن تُهْلِكَ هَذِهِ الْعِصَابَةَ
 الْيَوْمَ لَا تُعْبَدُ».

وَمَا زَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَغِيثُ وَيَتَضَرَّعُ طَوَالَ اللَّيْلِ، حَتَّى إِذَا
 الْجَمِيعَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ - لَيْلَةِ بَدْرِ - كَانَ نَائِمًا، إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ
 يَدْعُو رَبَّهُ، وَيَسْتَغِيثُ وَيَتَضَرَّعُ، وَيَلْحُقُ عَلَى اللَّهِ فِي الدُّعَاءِ، حَتَّى سَقَطَ
 رِدَاؤُهُ مِنْ عَلَى مَنْكِبِهِ، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ رِدَاءَهُ، وَوَضَعَهُ عَلَى مَنْكِبِهِ،
 وَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَفَاكَ مَنَاشِدَتَكَ لِرَبِّكَ، إِنَّ رَبَّكَ سَيَنْجِزُ لَكَ مَا
 وَعَدَكَ»، فَأَغْفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِغْفَاءً، ثُمَّ خَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيَهْرَمُ

الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبْرَ ﴿١﴾، وَأَخَذَ كَفَّةً مِنَ الحَصْبَاءِ، فَرَمَى بِهِ وَجوهَ الأعداءِ، وَقَالَ: «شَاهَتِ الوُجُوهُ»، فَلَمْ تتركْ رجلاً مِنْهُمْ إِلَّا مَلَأَتْ عَيْنِيهِ، وَشَغَلُوا فِي التُّرَابِ فِي أعْيُنِهِمْ، وَشَغَلُوا الْمُسْلِمُونَ بِقَتْلِهِمْ، ﴿سَيِّئُ الْمَجْمَعِ وَيُولُونَ الدُّبْرَ﴾ ﴿٢﴾، وَسَارَ إِبْلِيسُ بِرَأْيَتِهِ وَجُنُودِهِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، وَأَلْقَى فِي قُلُوبِ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُ لَنْ يَغْلِبَكُمْ أَحَدٌ، وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ، فَلَمَّا التَّقَوْا وَنَظَرَ الشَّيْطَانُ إِلَى إِمْدَادِ اللَّهِ بِالمَلَائِكَةِ نَكَصَ عَلَيَّ عَقْبِيهِ، وَقَالَ: إِنِّي بريءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أرى مَا لَا ترونَ.

ووعظَ النَّبِيُّ ﷺ أصحابَهُ، وَحَثَّهُمْ عَلَيَّ القِتَالِ بِكَلِمَاتٍ مَعْدُودَاتٍ، فَقَالَ: «قُومُوا إِلَيَّ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ»، فَقَامَ عَمِيرُ بْنُ حَمَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ فِي يَدِهِ تَمْرَاتٌ يَأْكُلُ مِنْهِنَّ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جَنَّةُ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ، إِنَّهَا لِحَيَاةٍ طَوِيلَةٌ، لَنْ بَقِيَتْ حَتَّى آكَلَ هَذِهِ التَّمْرَاتِ، فَأَلْقَى التَّمْرَاتِ الَّتِي فِي يَدِهِ، وَقَاتَلَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى قُتِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿٣﴾.

(١) سورة القمر (آية: ٤٥).

(٢) سورة الأنفال (آية: ١٧).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٩٠١) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ونصرَ اللهُ أوليائه، وهُزِمَ المشركونَ، فُقُتِلَ مِنْهُمُ سَبْعُونَ، وَأُسِرَ مِنْهُمُ سَبْعُونَ، وَقُتِلَ أBRُزُ صنادِيدِهِمْ.

ونصرَ اللهُ عبدهُ وأعزَّ جندهُ، وهزِمَ الأحزابَ وحدهُ، ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١).

ودخلَ رسولُ اللهِ ﷺ المدينةَ مؤيِّداً منصوراً، قد خافهُ كلُّ عدوٍّ، وأسلمَ بشرٌ كثيرٌ من أهلِ المدينةِ، فكانتَ تلكَ الغزوةُ فاتحةً خيرٍ، ونصراً عظيماً للإسلامِ والمسلمينَ.

اللَّهُمَّ انصِرِ الإسلامَ والمسلمينَ، واجعلنا من أنصارِ دينِكَ وثبتنا عليه إلى أن نلقاك يا ربَّ العالمينَ، واغفرْ لنا ولوالدينا ولجميعِ المسلمينَ، وصلى اللهُ على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.



• الدَّرْسُ الثَّامِنُ عَشَرَ •

لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةٌ لَا تُرَدُّ

الحمدُ لله الَّذِي وَعَدَ مَنْ أَطَاعَهُ بِنِعْمِ الْجَنَانِ، وَتَوَعَّدَ مَنْ عَصَاهُ
بِجَحِيمِ النَّيرانِ، وَالصَّلَاةَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الْمَبْعُوثِ إِلَى كَافَّةِ
الْإِنْسِ وَالْجَانِّ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعِرْفَانِ، وَسَلَّمْ
تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ
دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١).
هَذِهِ الْآيَةُ فِي الدُّعَاءِ، وَجَاءَ تَرْتِيبُهَا فِي الْمَصْحَفِ بَيْنَ آيَاتِ
الصَّيَامِ، فَالآيَةُ الَّتِي قَبْلَهَا: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ
الْقُرْآنُ﴾ (٢)، وَالآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا: ﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى
نِسَائِكُمْ﴾ (٣).

(١) سورة البقرة (آية: ١٨٦).

(٢) سورة البقرة (آية: ١٨٥).

(٣) سورة البقرة (آية: ١٨٧).

ووقوعُ آيةِ الدُّعاءِ بينَ آياتِ الصَّيامِ فيه إشارةٌ إلى أنَّ الدُّعاءَ في شهرِ رمضانَ حريٌّ بالإجابةِ، وأنَّه ينبغي للمسلم أن يكثُرَ مِنَ الدُّعاءِ في شهرِ رمضانَ، فالدُّعاءُ في شهرِ رمضانَ خاصَّةً عندَ الإفطارِ حريٌّ بالإجابةِ، يقولُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لَدَعْوَةً لَا تُرَدُّ» (١).

فينبغي للصَّائم أن يحرصَ على الدُّعاءِ عندَ الإفطارِ، فيدعُو اللهَ عَزَّوَجَلَّ بما يحضرُه من خيري الدُّنيا والآخرةِ. ولم يثبت دعاءٌ معينٌ يقالُ عندَ الإفطارِ، وإنَّما يتخيرُ الصَّائمُ مِنَ الدُّعاءِ ما أعجبهُ.

أما حديثُ: «اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» فحديثٌ ضعيفٌ (٢)، وقد ثبتَ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ إذا أفطَرَ قالَ: «ذَهَبَ الظَّمُّ وَأَبْتَلَّتِ العُرُوقُ، وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ

(١) أخرجه ابن ماجه برقم: (١٧٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. وصححه

البوصيري فقال: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات» مصباح الزجاجاة (٢/٨١).

(٢) قال ابن حجر: «رواه الطبراني في الكبير والدارقطني من حديث ابن عباس بسند

ضعيف» التلخيص الحبير (٢/٣٨٩). وقال الهيثمي: «فيه عبد الملك بن هارون،

وهو ضعيف» مجمع الزوائد (٣/١٥٦).



اللَّهُ»^(١)، ولكنَّ هَذَا إِنَّمَا يَقُولُهُ مَنْ ظَمِيَ بِالْفِعْلِ، أَمَا مَنْ لَمْ يَظْمَأْ فَإِنَّهُ لَا يَقُولُ: ذَهَبَ الظَّمُّ، وَإِنَّمَا يَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى بِمَا يَتَيَسَّرُ.

وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةً لَا تُرَدُّ»، قَوْلُهُ: «عِنْدَ» يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ هَذَا الدُّعَاءُ قَبِيلَ الْإِفْطَارِ؛ لِأَنَّ الْعِنْدِيَّةَ الْمَذْكُورَةَ فِي الْحَدِيثِ تَقْتَضِي الْقُرْبَ، وَلِذَا جَاءَ فِي بَعْضِ الرَّوَايَاتِ: «لِلصَّائِمِ حِينَ فِطْرِهِ»^(٢)، ثُمَّ إِنَّ اللَّحْظَاتِ الَّتِي تَسْبِقُ الْإِفْطَارَ يَجْتَمِعُ فِيهَا كَوْنُهُ صَائِمًا مَعَ انْكَسَارِ النَّفْسِ وَالذُّلِّ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَالدُّعَاءُ فِي هَذِهِ الْحَالِ حَرِيٌّ بِالْإِجَابَةِ. فَيَنْبَغِي لِلصَّائِمِ قَبِيلَ الْإِفْطَارِ بِدَقَائِقَ أَنْ يَسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، رَافِعًا يَدَيْهِ، يَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى بِمَا يَحْضُرُهُ مِنْ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَيَنْبَغِي أَنْ يَحْرَصَ فِي دَعَائِهِ عَلَى الْأَدْعِيَةِ الْمَأْثُورَةِ، وَمِنْهَا: أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ وَيَسْتَعِيدَ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، فَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ

(١) أخرجه أبو داود برقم: (٢٣٥٧) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وحسنه الدارقطني في السنن برقم: (٢٢٧٩)، وقال الحاكم: «حديث صحيح على شرط الشيخين». المستدرک برقم: (١٥٣٦).

(٢) أخرجه الترمذي برقم: (٢٥٢٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مَرَّاتٍ، قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ»^(١).

وهذا الدعاءُ ينبغي للمسلم أن يحرصَ عليه كلَّ يومٍ، وقد قال النبي ﷺ لرجل: «كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ؟» قَالَ: أَتَشْهَدُ ثُمَّ أَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، أَمَا إِنِّي لَا أَحْسَنُ دَنْدَنَكَ وَلَا دَنْدَنَةَ مَعَاذٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حَوْلَهَا نُدْنِدُنٌ»^(٢). أَي: أَنْ كُلَّ أَدْعِيئِنَا تَدْوِرُ حَوْلَ هَذَا الدُّعَاءِ الْعَظِيمِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



(١) أخرجه أحمد برقم: (١٣٧٥٥)، والنسائي برقم: (٥٥٢١)، وصححه ابن حبان في صحيحه برقم: (١٠١٤).

(٢) أخرجه أحمد برقم: (١٥٨٩٨)، وأبو داود برقم: (٧٩٢)، وابن ماجه برقم: (٩١٠)، وصححه النووي في خلاصة الأحكام برقم: (١٤٥٠).

• الدَّرْسُ التَّاسِعُ عَشَرَ •

فَتْحُ مَكَّةَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ أَعَزَّ جَنْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ،
وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى أَفْضَلِ رُسُلِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ،
أَمَّا بَعْدُ:

فَفِي التَّاسِعِ عَشَرَ فِي مِثْلِ هَذَا الشَّهْرِ مِنَ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهِجْرَةِ
كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ، الْبَلَدِ الْأَمِينِ، الْفَتْحُ الْأَعْظَمُ الَّذِي أَعَزَّ اللَّهُ بِهِ دِينَهُ
وَرَسُولَهُ وَجَنْدَهُ، وَهُوَ الْفَتْحُ الَّذِي دَخَلَ النَّاسُ بِهِ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا،
وَأَشْرَقَ بِهِ وَجْهُ الْأَرْضِ ضِيَاءً وَابْتِهَاجًا^(١).

وَسَبَبُ هَذَا الْفَتْحِ: أَنَّهُ لَمَّا تَمَّ الصُّلْحُ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ
فِي الْحَدِيثِيَّةِ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ كَانَ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخَلَ فِي عَهْدِ
النَّبِيِّ ﷺ فَعَلَّ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخَلَ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ فَعَلَّ، فَدَخَلَتْ
خِزَاعَةُ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَدَخَلَتْ بَنُو بَكْرِ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ، وَكَانَ بَيْنَ

(١) ينظر: زاد المعاد (٣/ ٣٤٧).

القبيلتينِ دماءٌ في الجاهليَّةِ فانتَهزتْ بنو بكرٍ هذه الهدنةَ فأغارَتْ
على خِزاعةَ وهم آمنونَ، وأعانتْ قريشٌ حلفاءَها بني بكرٍ بالرجالِ
والسِّلاحِ سرًّا على خِزاعةَ حلفاءِ النَّبيِّ ﷺ، فقدمَ جماعةٌ منهمُ إلى
النَّبيِّ ﷺ فأخبروهُ بما صنعتْ بنو بكرٍ وإعانةَ قريشٍ لها.

أمَّا قريشٌ فسقطَ في أيديهمُ ورأوا أنَّهمُ بفعلِهِمُ هذا نقضوا
عهدَهُمُ، فأرسلوا زعيمَهُمُ أبا سفيانَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ ليشدَّ العقدَ
ويزيدَ في المدَّةِ، فكلمَ النَّبيُّ ﷺ في ذلكَ، فلمَ يردَّ عليه، ثمَّ كلمَ أبا
بكرٍ وعمرَ ليشفعا لهُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فلمَ يفلحُ، ثمَّ كلمَ عليَّ بنَ
أبي طالبٍ فلمَ يفلحُ أيضًا.

وأما النَّبيُّ ﷺ فقدَ أمرَ أصحابَهُ بالتَّجهُّزِ للقتالِ، وأخبرَهُمُ بما
يريدُ واستنفرَ مَنْ حولهُ مِنَ القبائلِ وقالَ: «اللَّهُمَّ خُذِ الْأَخْبَارَ وَالْعُيُونَ
عَنْ قُرَيْشٍ حَتَّى نَبَغْتَهَا فِي بِلَادِهَا»، ثمَّ خرجَ مِنَ المدينةِ بنحوِ عشرةِ
آلافٍ مقاتلٍ.

وأمر النبي ﷺ العباس أن يوقف أبا سفيان بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى يمر به المسلمون، فمرت به القبائل على رياتها ما تمر به قبيلة إلا سألت عنها العباس فيخبره فيقول: مالي ولها حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها فقال: من هذه؟ قال العباس: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الرؤية فلما حاذاه سعد قال: أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة. فلما مر رسول الله ﷺ بأبي سفيان أخبره بما قال سعد فقال النبي ﷺ: «كذب سعد، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة»^(١). ثم أمر رسول الله ﷺ أن تؤخذ الرؤية من سعد وتُدفع إلى ابنه قيس ورأى أنها لم تخرج عن سعد خروجا كاملا إذ صارت إلى ابنه.

ثم مضى النبي ﷺ وأمر أن تركز رايته بالحجون ثم دخل مكة فاتحا مؤزرا منصورا، قد طأطأ رأسه تواضعا لله عز وجل، حتى إن جبهته لتكاد تمس رحله، وهو يقرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(٢)، ويرجعها.

(١) ينظر: دلائل النبوة للبيهقي (٣٨ / ٥)، والسيرة النبوية لابن كثير (٣ / ٥٥١).

(٢) سورة الفتح (آية: ١).

ثم مضى رسولُ الله ﷺ حتى دخلَ المسجدَ الحرامَ، وكانَ حوْلَ الكعبةِ ثلاثمائةٍ وستونَ صنماً، فجعلَ يطعنُها بقوسٍ معه، وهو يقولُ: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (١)، ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ (٢)، والأصنامُ تتساقطُ على وجوهها.

ثم دخلَ الكعبةَ فإذا بها صورٌ، فأمرَ بها فمُحيت، ثم صلى فيها، فلما فرغَ دارَ فيها وكبرَ في نواحيها، ووحدَ الله عزَّ وجلَّ، ثم وقفَ على بابِ الكعبةِ، وقريشٌ تحتهُ ينتظرونَ ماذا يفعلُ! فأخذَ بعضادتي البابِ، وقال: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ صَدَقَ وَعْدُهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»، ثم قال: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تَظُنُّونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ»، قالوا: خيراً، أخُ كريمٌ وابنُ أخٍ كريمٍ، قال: «فإني

(١) سورة الإسراء (آية: ٨١).

(٢) سورة سبأ (آية: ٤٩).

أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ، ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومٌ يَغْفِرُ
اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (١)، اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ﴾ (٢).

لَمْ يَسْتَغَلِّ لِحِظَةِ النَّصْرِ هَذِهِ فِي الْإِنْتِقَامِ مَمَّنْ آذَاهُ أَشَدَّ الْأَذَى
سَنِينَ طَوِيلَةً، وَإِنَّمَا أَعْلَنَ الْعَفْوَ وَالصَّفْحَ عَنْهُمْ. هَذِهِ هِيَ أَخْلَاقُ
الْأَنْبِيَاءِ، هَذِهِ هِيَ أَخْلَاقُ الْعِظَمَاءِ، فَصَلُّوا تُ اللَّهُ وَسَلِّمُوا عَلَيْهِ.

وَبِهَذَا الْفَتْحِ الْمَبِينِ تَمَّ نَصْرُ اللَّهِ، وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ
أَفْوَاجًا، وَأَصْبَحَتْ مَكَّةُ بِلَدًا إِسْلَامِيًّا، حَلَّ فِيهَا التَّوْحِيدُ عَنِ الشَّرْكِ،
وَالْإِيمَانُ عَنِ الْكُفْرِ، وَصَارَتِ الدَّوْلَةُ لِلْمُسْلِمِينَ، وَانْدَحَرَ الشَّرْكَ
وَأَهْلُهُ، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ
يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ
كَانَ تَوَّابًا﴾ (٣).

(١) سورة يوسف (آية: ٩٢).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى برقم: (١٨٢٧٥، ١٨٢٧٦).

(٣) سورة النصر (الآيات: ١-٣).

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَذِلَّ الشُّرَكَ وَالْمَشْرِكِينَ،
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ،
وَصَلِّ عَلَى اللَّهِ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



• الدَّرْسُ العَشْرُونَ •

فضلُ العَشرِ الأَواخرِ مِنْ رَمَضانَ

الحمدُ لله الَّذي جعلَ شهرَ رَمَضانَ موسمًا للتَّجارةِ معَ اللهِ
 بالأعمالِ الصَّالحاتِ، يقبلُ التَّوبَةَ مِنْ عِبادِهِ ويعفو عن السيِّئاتِ،
 والصَّلاةِ والسَّلامِ على رَسولِهِ خيرٍ مَنْ جدَّ وقامَ، وأزكى مَنْ صَلَّى
 وصامَ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ البررةِ الكرامِ، أمَّا بعدُ:
 فَها هوَ قد مَضَى مِنْ هَذا الشَّهرِ المَبارِكِ الثُّلثانِ، وما بَقِيَ إِلَّا
 الثُّلثُ، وما تَبَقَّى خَيْرٌ ممَّا مَضَى، ونستقبلُ موسمًا عَظيمًا موسمَ
 لياليِ العَشرِ الأَواخرِ مِنْ رَمَضانَ الَّتِي شَرَّفَها اللهُ بأنَّ جعلَ فيها ليلَةً
 خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهرٍ، هَذهِ اللَّياليِ الَّتِي هِيَ أَفضَلُ لياليِ السَّنَةِ على
 الإطلاقِ.

فالأعمالُ الصَّالِحَةُ في هَذهِ العَشرِ أجورُها مِضاعِفَةٌ وثوابُها
 جَزيلٌ، فَهِيَ وَاللهِ غَنيمَةٌ عَظِيمَةٌ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ، فالغنائمُ الغنائمُ قَبْلَ
 الفَوَاتِ، والعزائمُ العزائمُ قَبْلَ النَّدَمِ والحسراتِ.

هذه العشرُ المباركةُ قد أُطلتْ علينا تستحثُّ هممَ المتقينَ
وتستنهضُ عزمَ العابدينَ، هذه العشرُ المباركةُ اختصَّها اللهُ تعالى
بالفضائلِ والأجورِ الكثيرةِ، والخيراتِ الوفيرةِ، ومنها:

■ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ يجتهدُ بالعملِ فيها أكثرَ مِنْ غيرها، فعنُ
عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرَ شَدَّ مِئْزَرَهُ،
وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيَّقَظَ أَهْلَهُ»^(١). وقولُها: «شَدَّ مِئْزَرَهُ» المرادُ بذلك:
الاجتهادُ في العباداتِ زيادةً على عادتهِ ﷺ، وقيلَ: هو كنايةٌ عن
اعتزالِ النساءِ للاشتغالِ بالعباداتِ^(٢).

وقالتُ أيضًا: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّخِرِ، مَا
لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ»^(٣).

وعنها قالتُ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْلِطُ الْعِشْرِينَ بِصَلَاةٍ وَنَوْمٍ، فَإِذَا
دَخَلَتِ الْعَشْرُ شَمَّرَ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ»^(٤).

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٠٢٤)، ومسلم برقم: (١١٧٤).

(٢) ينظر: شرح صحيح مسلم للنووي (٧١/٨).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١١٧٥).

(٤) أخرجه أحمد برقم: (٢٥١٣٦).

■ وَمِنْ خِصَائِصِهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا دَخَلَتِ العَشرُ اعْتَكَفَ فِي مَسْجِدِهِ مَجْتَهِدًا فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ مَتَحْرِيًّا لَيْلَةَ القَدْرِ، أَي أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِذَا دَخَلَتِ العَشرُ انْقَطَعَ عَنِ الدُّنْيَا، وَعَنِ النَّاسِ، وَتَفَرَّغَ لِلْعِبَادَةِ تَفَرُّغًا تَامًّا مَعَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَائِدُ دَوْلَةِ الإِسْلامِ وَمِفْتَاحِ الأَنامِ وَهُوَ النَّبِيُّ وَالْمُرْشِدُ وَالْمَوْجِبُ لِلأُمَّةِ، وَمَعَ ذَلِكَ إِذَا دَخَلَتِ هَذِهِ العَشرُ المَبَارَكَةُ اعْتَزَلَ النَّاسَ وَاعْتَكَفَ فِي المَسْجِدِ مُنْقَطِعًا لِعِبَادَةِ رَبِّهِ.

وَإِنَّمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْتَكِفُ فِي هَذِهِ العَشرِ؛ طَلَبًا لِللَّيْلَةِ العَظِيمَةِ وَهِيَ لَيْلَةُ القَدْرِ الَّتِي العَمَلُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ العَمَلِ فِي أَلْفِ شَهْرٍ. فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَقْتَدِيَ بِرِسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنْ نَتَفَرَّغَ لِلْعِبَادَةِ فِي هَذِهِ العَشرِ المَبَارَكَةِ، وَفِي هَذَا المَوْسَمِ العَظِيمِ، أَوْ عَلَيَّ الأَقْلُ نَتَخَفَّفُ مِنْ مَشَاغِلِ الدُّنْيَا الَّتِي لَا تَنْقِضِي.

■ وَمِنْ خِصَائِصِهَا: أَنَّ فِيهَا لَيْلَةَ القَدْرِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، فَاعْرِفُوا رَحْمَتَ اللَّهِ لِهَذِهِ العَشرِ فَضْلَهَا وَلَا تَضِيعُوهَا، فَوَقْتُهَا ثَمِينٌ^١ وَخَيْرُهَا ظَاهِرٌ مَبِينٌ^٢ (١).

(١) مجالس شهر رمضان لابن عثيمين (ص ١٥٨).

ومما يدلُّ على فضيلةِ هذهِ العشرِ: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ يوقظُ فيها أهلهُ للصَّلاةِ والذِّكرِ حرصًا على اغتنامِ هذهِ اللَّياليِ المباركةِ بما هي جديرةٌ بهِ مِنَ العبادَةِ، فإنَّها فرصةُ العمرِ وغنيمةٌ لمن وفقهُ اللهُ عزَّ وجلَّ، فلا يليقُ بالعاقلِ أن يفوتَ هذهِ الفرصةَ الثمينةَ على نفسهِ.

فينبغي للمسلمِ أن يجتهدَ في هذهِ اللَّياليِ المباركةِ حتَّى يدركَ ليلةَ القدرِ، وينبغي أن يقومَ مع الإمامِ جميعَ هذهِ اللَّياليِ حتَّى يُكْتَبَ له قيامُ ليلةٍ، وإذا كُتِبَ له قيامُ ليلةٍ فيكونُ قد وافقَ قيامَ ليلةِ القدرِ، وقد قال النَّبِيُّ ﷺ: «وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (١).

وإنَّ ممَّا يُؤسَفُ لهُ غفلةُ بعضِ المسلمينَ عن مثلِ هذهِ المواسمِ الفاضلةِ وانشغالهمُ بأمرٍ يمكنُ تأجيلها أو قضاؤها في وقتٍ آخرَ، وإذا أردتَ البرهانَ لذلكِ فانظرُ إلى ازدحامِ الأسواقِ وكثرةِ النَّاسِ فيها في هذهِ اللَّياليِ الفاضلةِ المباركةِ.

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٥)، ومسلم برقم: (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فَينبِغِي لِلْمُسلِمِ أَنْ يَغْتَنِمَ هَذِهِ اللَّيَالِي المَبَارَكَةَ لَعَلَّهُ أَنْ يَدْرِكَ لَيْلَةَ القَدْرِ، وَلَعَلَّهُ أَنْ يَدْرِكَ نَفْحَةً مِنْ نَفْحَاتِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ فَيَكْتُبَ اللهُ تَعَالَى لَهُ بِسَبَبِهَا سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَأَفْضَلُ الأَعْمَالِ الَّتِي تَفْعَلُ فِي هَذِهِ اللَّيَالِي المَبَارَكَةِ: الصَّلَاةُ؛ فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْيِي هَذِهِ اللَّيَالِي المَبَارَكَةَ أَوْ أَكْثَرَهَا بِالصَّلَاةِ. وَمِنَ الأَعْمَالِ الَّتِي يَنْبَغِي الحِرْصُ عَلَيْهَا فِي هَذِهِ العَشْرِ المَبَارَكَةِ: الإِكْثَارُ مِنَ الدُّعَاءِ، فَإِنَّ الدُّعَاءَ حَرِيٌّ بِالإِجَابَةِ، وَلِهَذَا جَاءَتْ آيَةُ الدُّعَاءِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾^(١)، بَيْنَ آيَاتِ الصَّيَامِ، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلصَّائِمِ أَنْ يَكْثَرَ مِنَ الدُّعَاءِ فِي شَهْرِ الصَّيَامِ وَلَا سِيَّمَا فِي هَذِهِ العَشْرِ المَبَارَكَةِ.

وَمِمَّا يُشْرَعُ فِي هَذِهِ العَشْرِ: الإِعْتِكَافُ فَإِذَا تَيَسَّرَ لِلْمُسلِمِ أَنْ يَعْتَكِفَ هَذِهِ العَشْرَ المَبَارَكَةَ فَهَذِهِ هِيَ السُّنَّةُ، وَهَذَا هُوَ هَدْيُ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِذَا لَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُ ذَلِكَ فَلَا أَقْلَ مِنْ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي اللَّيَالِي الَّتِي تُرْجَى فِيهَا لَيْلَةُ القَدْرِ.

(١) سورة البقرة (آية: ١٨٦).

أَيُّهَا الإِخْوَةُ: لِيَالِي العِشْرِ لِيَالٍ مَبَارَكَةٌ فَهِيَ أَنَسُ المَجْتَهِدِينَ،
وَرِيَاضُ المَتَهَجِّدِينَ، وَقُرَّةُ عَيُونِ المَتَعَبِّدِينَ، يُشَمَّرُ فِيهَا لِلعِبَادَةِ
المَتَّقُونَ، وَيتَنَافَسُ فِي فِضَائِلِهَا المَتَنَافِسُونَ، وَيتَعَرَّضُونَ فِيهَا
لِنَفَحَاتِ الرَّبِّ الكَرِيمِ، أَحْيُوا هَذِهِ اللَّيَالِي بِقُلُوبٍ خَاشِعَةٍ، وَاطْلُبُوا
سَلْعَةَ اللَّهِ الغَالِيَةَ.

اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي هَذِهِ اللَّيَالِي العِشْرِ، وَوَفِّقْنَا فِيهَا لِليلةِ القَدْرِ،
وَاجْعَلْنَا مَمَّنْ يَفُوزُ فِيهَا بِجَزِيلِ الثَّوَابِ وَعَظِيمِ الأَجْرِ، وَصَلَّى اللهُ
عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



• الدُّرُسُ الحَادِي والعَشْرُونَ •

الاعتكافُ وأحكامُه

الحمدُ لله المتفرِّدِ بالجلالِ والبقاءِ، والعظمةِ والكبرياءِ،
والصَّلَاةُ والسَّلَامُ عَلَى رَسولِهِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَصْحَابِهِ النَّبَلَاءِ، وَبَعْدُ:
فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْتَكِفُ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ إِلَى أَنْ
تَوَفَّاهُ اللهُ، فِي الصَّحِيحِينَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «أَنَّ النَّبِيَّ
ﷺ، كَانَ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ، ثُمَّ
اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ» (١).

والاعتكافُ مِنَ الشَّرَائِعِ القَدِيمَةِ المَوْجُودَةِ عِنْدَ الأُمَّمِ السَّابِقَةِ،
وَيَدُلُّ لَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى لِإِبْرَاهِيمَ: ﴿وَعَهْدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ
طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (٢)، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ
الاعتكافَ مَوْجُودٌ مِنْذُ زَمَنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَفِي

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٠٢٦)، ومسلم برقم: (١١٧٢).

(٢) سورة البقرة (آية: ١٢٥).

الصَّحِيحِينَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي نَذَرْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ أَعْتَكِفَ لَيْلَةً فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، قَالَ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ»^(١)، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِعْتِكَافَ كَانَ مَعْرُوفًا قَبْلَ بَعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَفِيمَا يَأْتِي نُبْذَةً مُوجِزَةً عَنْ أَبْرِزِ أَحْكَامِ الْإِعْتِكَافِ.

الْإِعْتِكَافُ لُغَةً: لَزُومُ الشَّيْءِ.

وَاصْطِلَاحًا: لَزُومُ الْمَسْجِدِ لَطَاعَةِ اللهِ تَعَالَى. وَيُسَمَّى جَوَارًا كَمَا

جَاءَ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ^(٢).

وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى مَشْرُوعِيَّتِهِ، وَهُوَ مَشْرُوعٌ فِي حَقِّ الرِّجَالِ،

وَكَذَلِكَ فِي حَقِّ النِّسَاءِ عِنْدَ أَمْنِ الْفِتْنَةِ، فَقَدْ كَانَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ

يَعْتَكِفْنَ مَعَهُ فِي مَسْجِدِهِ.

وَأَفْضَلُ أَوْقَاتِ الْإِعْتِكَافِ: الْعَشْرُ الْأَوَاخِرُ مِنْ رَمَضَانَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ

تَعَالَى ذَكَرَ الْإِعْتِكَافَ فِي آخِرِ آيَاتِ الصِّيَامِ، وَهَذَا فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ بِرَقْمِ: (٦٦٩٧)، وَمُسْلِمٌ بِرَقْمِ: (١٦٥٦).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ بِرَقْمِ: (٢٠٢٨)، وَمُسْلِمٌ بِرَقْمِ: (٢٩٧) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا،

قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْغِي إِلَيَّ رَأْسَهُ وَهُوَ مُجَاوِرٌ فِي الْمَسْجِدِ».

ينبغي أن يكونَ الاعتكافُ في آخرِ شهرِ الصَّيَامِ؛ ولأنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ يعتكفُ العشرَ الأواخِرَ مِنْ رمضانَ.

والحكمةُ مِنَ الاعتكافِ: الانقطاعُ عن الدُّنْيَا، والتَّفَرُّغُ للعبادةِ طلبًا ليليةِ القدرِ؛ لأنَّ الإنسانَ وهوَ في مشاغلِ الحياةِ قد يقسو قلبه ويغفلُ ويذهلُ، فهوَ بحاجةٍ إلى وقتٍ ينقطعُ فيه عن أشغالِ الدُّنْيَا الَّتِي لَا تنقضي وأن يتفرَّغَ فيه للعبادةِ ويلتمسَ فيه ليلةَ القدرِ.

قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللهُ: «وشرعَ لَهُمُ الاعتكافَ الَّذِي مقصودهُ وروحهُ عكوفُ القلبِ على اللهِ تعالى، وجمعيتهُ عليه، والخلوَةُ بِهِ، والانقطاعُ عن الاشتغالِ بالخلقِ، والاشتغالُ بِهِ وحدهُ سبحانه»^(١).

ولَا حدًّا لأقلِّ الاعتكافِ، بل يصحُّ كلُّ ما يُسمَّى اعتكافًا عرفًا ولو لساعاتٍ، وبناءً على ذلك إذا لم يتيسَّرْ لك أن تعتكفَ في جميعِ العشرِ الأواخِرِ مِنْ رمضانَ فيمكنُ أن تعتكفَ في بعضِ اللَّيَالِي الَّتِي تُرجى فيها ليلةُ القدرِ.

(١) زاد المعاد (٢/ ٨٣).

ويشترطُ لصحَّةِ الاعتكافِ:

١- أن يكونَ في مسجدٍ، فلا يصحُّ أن يكونَ في غيرِ المسجدِ،
ويصحُّ في جميعِ المساجدِ حتَّى في غيرِ الجوامعِ، فيصحُّ في
المسجدِ الَّذي لا تقامُ فيه الجمعةُ وإذا أتى وقتُ الجمعةِ يخرجُ
المعتكفُ إلى المسجدِ الجامعِ ثمَّ يعودُ إلى معتكفِهِ.

وبناءً على ذلك لا يصحُّ أن تعتكفَ المرأةُ في بيتِها، فإذا أرادتِ
المرأةُ أن تعتكفَ لا بدَّ أن تعتكفَ في مسجدٍ منَ المساجدِ.

وأما ساحةُ المسجدِ: فقد ذكرَ الفقهاءُ أن رحبتهُ المحوطةُ بسوره
تأخذُ حكمَهُ، فيجوزُ الاعتكافُ فيها، أمَّا رحبتهُ غيرُ المحوطةِ بسوره
فليستَ منهُ ولا يصحُّ الاعتكافُ فيها.

٢- المكثُ واللُّبثُ في المسجدِ، وينافيه الخروجُ منهُ.

والخروجُ منهُ بالنِّسبةِ للمعتكفِ له ثلاثةُ أحوالٍ:

❖ الحالُ الأولى: أن يكونَ خروجًا لِمَا لا بدَّ منهُ، كقضاءِ الحاجةِ،

أو إحضارِ الطَّعامِ، فهذا جائزٌ ولا يقطعُ الاعتكافَ باتِّفاقِ العلماءِ.

❖ **الحالُ الثَّانِيَةُ:** أَنْ يَكُونَ خُرُوجًا لِمَا لَهُ مِنْهُ بُدٌّ، كَعِيَادَةِ

المَرِيضِ، وَشَهُودِ الجَنَازَةِ، فَلَيْسَ لَهُ ذَلِكَ.

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ: إِلَّا إِذَا اشْتَرَطَ، وَلَكِنَّ القَوْلَ بِالِاشْتِرَاطِ مَحَلُّ نَظَرٍ، لِأَنَّهُ لَيْسَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ وَلَمْ يُؤَثِّرْ عَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ المَالِكِيَّةِ وَقَوْلُ عِنْدَ الحَنَابِلَةِ، وَالأَقْرَبُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - : أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ لَعِيَادَةِ المَرِيضِ وَحُضُورِ الجَنَازَةِ فَإِذَا كَانَ هَذَا المَرِيضُ أَوْ المَيِّتُ لَهُ عَلَيْهِ حَقٌّ مُتَأَكِّدٌ كَأَبِيهِ، أَوْ أُمَّهُ، وَنَحْوِهِمَا، فَلَهُ الخُرُوجُ، أَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهِ حَقٌّ مُتَأَكِّدٌ فَلَيْسَ لَهُ الخُرُوجُ.

❖ **الحالُ الثَّالِثَةُ:** أَنْ يَكُونَ الخُرُوجُ لِمَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَلَيْسَ

مَطْلُوبًا شَرْعًا كَالْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ، فَهَذَا يَبْطُلُ العِتْكَافُ، وَعَلَى هَذَا مَنْ كَانَ مَوْظَفًا فَخُرُوجُهُ لَوْظِيفَتِهِ يَقْطَعُ العِتْكَافَ، لَكِنْ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يَعْتَكِفَ بَعْضَ اللَّيَالِي، أَيُّ: أَنَّهُ يَعْتَكِفُ فِي اللَّيْلِ أَمَّا فِي النَّهَارِ فَيَخْرُجُ لَوْظِيفَتِهِ وَبِهَذَا يَنْتَهِي عِتْكَافُهُ، وَفِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ يَعْتَكِفُ مَرَّةً أُخْرَى مِنْ جَدِيدٍ وَهَكَذَا.

ويبطلُ الاعتكافُ بأمرين:

١- الخروجُ مِنَ المسجدِ.

٢- الجماعُ ومقدماته؛ لقولِ اللهِ سبحانه: ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ

وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾^(١)، فهذا فيه إشارةٌ إلى أن الجماعَ ومقدماته يُبطلُ الاعتكافَ.

وينبغي للمعتكف أن يشتغل بما هو طاعةٌ لله **عَزَّوَجَلَّ**، وأعظمُ ما يُشتغلُ به في ليالي العشرِ الأواخرِ مِنْ رمضانَ: الصَّلَاةُ، وقد كان النبي **ﷺ** يقومُ هذه الليالي.

وعلى المعتكف أن يبتعدَ عمَّا يشغله عن العبادَةِ، ومن ذلك الانشغالُ بوسائلِ التَّواصلِ الاجتماعيِّ، أو المكالماتِ الهاتفيةِ، أو كثرةُ السَّوَالِيفِ مع مَنْ يكونُ معه في المسجدِ ونحو ذلك.

ومن المسائلِ التي يكثرُ السُّؤالُ عنها: حكمُ طلبِ المعتكفِ الطَّعامَ مِنَ المطعمِ عن طريقِ الهاتفِ أو التَّطْبِيقِ داخلَ المسجدِ، والجوابُ: أن هذا لا يعتبرُ بيعًا ولا شراءً ولا بأسَ به داخلَ المسجدِ؛

(١) سورة البقرة (آية: ١٨٧).

لأنَّ هذا مجردُ طلبٍ، فهو يطلبُ طعامًا منَ المطعمِ ولمْ يعقدْ عقدَ الشُّراءِ بعدُ، بدليلِ أنَّ هذا الطَّلَبَ غيرُ لازمٍ، ولو أرادَ الغاهُ، ولو أرادَ صاحبُ المطعمِ الغاهُ كذلكَ، ولو كانَ عقدًا لازمًا لمْ يكنْ له الحقُّ في الغائه؛ لأنَّ البيعَ عقدٌ لازمٌ، وكلُّ هذه وعودٌ، ولا يترتبُ عليها آثارُ عقدِ البيعِ، ثمَّ إذا وصلَ مندوبُ المطعمِ إلى المسجدِ يخرجُ له المعتكفُ، ويرمى العقدَ بالإيجابِ والقبولِ، ويكونُ ذلكَ خارجَ المسجدِ عندما يريدُ أن يستلمَ الطَّلَبَ ويُسلمَ له المبلغَ.

لكنْ يوجدُ تطبيقاتٌ يكونُ الدَّفْعُ فيها مقدَّمًا معَ عدمِ إمكانيَّةِ استردادِ المبلغِ فهذا يكونُ بيعًا وعندَ الطَّلَبِ عبرَ التَّطبيقِ يكونُ خارجَ المسجدِ.

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِمَا تَحَبُّ وَتَرْضَى مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



• الدَّرْسُ الثَّانِي والعشرون •

لَيْلَةُ الْقَدْرِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِمَوَاسِمِ الْخَيْرَاتِ وَمَا تَفَضَّلَ بِهِ مِنْ جَزِيلِ الْعَطَايَا وَالْهَبَاتِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ أَفْضَلِ الْبَرِيَّاتِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا دَامَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ وَسَلِّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فَفِي هَذِهِ الْعَشْرِ الْمُبَارَكَةِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ الَّتِي شَرَّفَهَا اللَّهُ عَلَى غَيْرِهَا، وَمَنْ بَهَا عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَخَصَّهَا بِالذِّكْرِ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، فَقَالَ:

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١﴾، فَوَصَفَهَا بِأَنَّهَا مُبَارَكَةٌ لِكثرةِ خَيْرِهَا وَبِرِكَتِهَا وَفَضْلِهَا.

وَمَنْ بَرَكَتِهَا: أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الْمُبَارَكَ أُنزِلَ فِيهَا، وَوَصَفَهَا بِأَنَّهُ يُفْرَقُ فِيهَا كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ، أَيُّ: يُفَصَّلُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى الصُّحُفِ الَّتِي

بأيدي الملائكةِ الكتبةِ ما هو كائنٌ من أمرِ الله **عَزَّوَجَلَّ** في تلكِ السنَّةِ مِنَ الأرزاقِ والآجالِ والخيرِ والشرِّ وغيرِ ذلكِ مِنْ كُلِّ أمرٍ حكيمٍ مِنْ أوامرِ اللهِ تعالىِ المحكِّمةِ المتقنةِ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا خَلٌّ وَلَا نَقْصٌ وَلَا باطلٌ.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمُ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴿١﴾.

فبَيَّنَّ سبحانه أَن هَذَا القرآنَ نَزَلَ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ، ونزولُ القرآنِ المرادُ بِهِ ابتداءُ نزولِهِ، فقد كانَ ابتداءُ نزولِهِ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ، وإلاَّ فَإِنَّ القرآنَ نَزَلَ مُنْجَمًا عَلَى نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ فِي ثَلَاثِ وَعِشْرِينَ سَنَةً، وقِيلَ: إِنَّ المرادَ نَزولُهُ مِنَ اللُّوحِ المحفوظِ إِلَى بَيْتِ العِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، والأوَّلُ أَظْهَرُ.

والقدرُ بمعنَى الشَّرْفِ والتَّعْظِيمِ أوْ بمعنَى التَّقْدِيرِ والقضاءِ؛ لأنَّ لَيْلَةَ القَدْرِ لَيْلَةٌ شَرِيفَةٌ يَقْدُرُ اللهُ تَعَالَى فِيهَا مَا يَكُونُ فِي السَّنَةِ وَيَقْضِيهِ مِنْ أُمُورِهِ الحَكِيمَةِ المحكِّمةِ.

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ استفهامٌ للتَّعْظِيمِ والتَّعْظِيمِ، هِيَ لَيْلَةٌ عَظِيمَةٌ شَرِيفَةٌ مَهِيْبَةٌ.

وقوله سبحانه: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أي: فِي الْفَضْلِ وَالشَّرَفِ وَكَثْرَةِ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ، وَلِهَذَا مَنْ قَامَهَا إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.

وقوله سبحانه: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُتُ﴾ أي: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزَلُ إِلَى الْأَرْضِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الشَّرِيفَةِ بِالْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ، ﴿وَالرُّوحُ﴾ وَهُوَ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَخَصَّهُ بِالذِّكْرِ لِشَرَفِهِ وَفَضْلِهِ، تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ لِتَرَى عِبَادَةَ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿سَلَّمَ هِيَ﴾ أي: أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ سَلَامٌ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ كُلِّ مَخَوْفٍ لِكَثْرَةِ مَنْ يُعْتَقُ فِيهَا مِنَ النَّارِ وَيَسْلَمُ مِنْ عَذَابِهَا، ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ أي: أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ تَبْدَأُ مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ وَتَنْتَهِي بِطُلُوعِ الْفَجْرِ لِانْتِهَاءِ عَمَلِ اللَّيْلِ بِهِ.

ففي هذه السُّورةِ فضائلٌ متعددةٌ ليليةِ القدرِ:

❖ الفضيلةُ الأولى: أَنَّ اللهَ تعالى أنزلَ فيها القرآنَ الَّذي به هدايةُ

البشرِ وسعادتهمُ في الدُّنيا والآخرةِ.

❖ الفضيلةُ الثانيةُ: مَا يدلُّ عليه الاستفهامُ مِنَ التَّفخيمِ

والتَّعظيمِ في قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾.

❖ الفضيلةُ الثالثةُ: أَنَّهَا خيرٌ مِنْ ألفِ شهرٍ.

❖ الفضيلةُ الرابعةُ: أَنَّ الملائكةَ تنزلُ فيها وهم لا يتنزلون إلاَّ

بالخيرِ والبركةِ والرَّحمةِ.

❖ الفضيلةُ الخامسةُ: أَنَّهَا سلامٌ لكثرةِ السَّلامةِ فِيهَا مِنَ العقابِ

والعذابِ بِمَا يقومُ بهِ العبدُ مِنْ طاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

❖ الفضيلةُ السادسةُ: أَنَّ اللهَ أنزلَ فِي فضلِها سورةً كاملةً تُتلى

إلى يومِ قيامِ السَّاعةِ.

ومن فضائلِ ليلةِ القدرِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ

إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» (١).

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٥)، ومسلم برقم: (٧٦٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فقوله: (إيمانًا) أي: إيمانًا باللهِ وبمَّا أعدَّ مِنَ الثَّوَابِ للقائمينَ

فيها.

وقوله: (احتسابًا) أي: طلبًا للأجرِ والثَّوَابِ.

وليلةُ القدرِ في العشرِ الأواخِرِ مِنْ رمضانَ، وعلى المسلمِ أنْ يجتهدَ في جميعِ لياليِ العشرِ، فإنَّهُ إذا اجتهدَ في جميعِ اللياليِ أدركَ ليلةَ القدرِ لا محالةَ.

ومن المسائلِ التي يكثرُ السُّؤالُ عنها: هل ليلةُ القدرِ ثابتةٌ في ليلةٍ معيَّنةٍ أم أنها تتنقلُ؟ فمن أهلِ العلمِ مَنْ قال: إنها تتنقلُ فتكونُ في سنةٍ ليلةٍ إحدى وعشرينَ، وفي سنةٍ ليلةٍ سبعٍ وعشرينَ، وفي سنةٍ ليلةٍ تسعٍ وعشرينَ، وذهبَ أكثرُ العلماءِ إلى أنَّ ليلةَ القدرِ ثابتةٌ في ليلةٍ معيَّنةٍ، وأنها لا تتنقلُ، وهذا هو الرَّاجحُ؛ لأنَّ ليلةَ القدرِ إنما اكتسبتْ شرفها وفضلها بنزولِ القرآنِ فيها ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ﴾، والقولُ بالتنقلِ ينافي هذا المعنى. رأيتَ يومَ عاشوراءِ اكتسبَ شرفه؛ لأنَّهُ يوافقُ اليومَ العاشرَ

مِنْ شَهْرٍ مُحَرَّمٍ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي نَجَّى اللهُ فِيهِ مُوسَى، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَنْتَقَلَ، وَهَكَذَا بِالنُّسْبَةِ أَيْضًا لِلَّيْلَةِ الْقَدْرِ اِكْتَسَبَتْ شَرَفَهَا بِنَزُولِ الْقُرْآنِ فِيهَا فَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَنْتَقَلَ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَمِمَّا يَدُلُّ لِهَذَا الْقَوْلِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُرِيَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ثُمَّ أُنْسِيَهَا^(١)، وَلَوْ كَانَتْ تَنْتَقِلُ لَكَانَ لَمَّا أُنْسِيَهَا فِي ذَلِكَ الْعَامِ أُخْبِرَ بِهَا فِي الْعَامِ الَّذِي بَعْدَهُ وَفِي الْأَعْوَامِ الْمُقْبِلَةِ، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا لَا تَنْتَقِلُ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ: إِنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ فِي أَلْفِ شَهْرٍ، وَأَلْفُ شَهْرٍ تَعَادُلُ ثَلَاثًا وَثَمَانِينَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، فَمَنْ وُفِّقَ لِلْعَمَلِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ فَقَدْ وُفِّقَ لْخَيْرٍ عَظِيمٍ، عَمَلٌ فِي لَيْلَةٍ هِيَ سُوِيَعَاتٌ خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ فِي أَلْفِ شَهْرٍ، فَمَنْ وُفِّقَ لِلَّيْلَةِ الْقَدْرِ فَكَأَنَّمَا أَضَافَ لِعَمْرِهِ عَمْرًا مَدِيدًا.

وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُرِيَ أَعْمَارَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ فَوَجَدَ أَنَّهَا طَوِيلَةٌ، وَأَنَّهَا يَعِيشُونَ مِائَاتَ السِّنِينَ، وَنُوحٌ لَبَثَ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٠١٦)، ومسلم برقم: (١١٦٧) من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بلفظ: «وقد رأيت هذه الليلة فأنسيتها، فالتمسوها في العشر الأواخر، في كل وتر».

إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، وَأَمَّا أَعْمَارُ أُمَّتِهِ فَمَتَوَسَّطُ أَعْمَارِهِمْ مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ، فَكَأَنَّهُ تَقَاصَرَ أَعْمَارُ أُمَّتِهِ، فَأُعْطِيَ وَأُمَّتَهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ... سَوِيْعَاتٌ يَعْمَلُونَ فِيهَا أَعْمَالًا صَالِحَةً يَكُونُ الْعَمَلُ فِيهَا خَيْرًا مِنْ الْعَمَلِ فِي أَلْفِ شَهْرٍ.

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِلَّيْلَةِ الْقَدْرِ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَفُوزُ فِيهَا بِجَزِيلِ الثَّوَابِ وَعَظِيمِ الْأَجْرِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَقُومُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



• الدَّرْسُ الثَّلَاثُ وَالْعَشْرُونَ •

الدُّعَاءُ فَضْلُهُ وَآدَابُهُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ سَمِيعِ الدُّعَاءِ مَجْزِلِ الثَّوَابِ لِمَنْ أَطَاعَهُ وَالْعَطَاءِ،
وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى أَفْضَلِ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
الْكَرَامِ الشُّرَفَاءِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ الدُّعَاءَ مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَادَاتِ، بَلْ قَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(١). وَوَرَدَ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ
عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ»^(٢)، وَقَدْ أَخْبَرَ رَبُّنَا بِأَنَّهُ قَرِيبٌ لِمَنْ دَعَاهُ فَقَالَ: ﴿وَإِذَا
سَأَلْتَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا
لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(٣)، وَقَدْ وَقَعَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بَيْنَ آيَاتِ

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بَرَقْمَ: (١٤٧٨)، وَالتِّرْمِذِيُّ بَرَقْمَ: (٢٩٦٩)، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ
صَحِيحٌ، وَابْنُ مَاجَةَ بَرَقْمَ: (٣٨٢٨)، وَابْنُ حَبَانَ بَرَقْمَ: (٥١٣)، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ
بَرَقْمَ: (١٨٠٢)، وَقَالَ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمَفْرُودِ بَرَقْمَ: (٧١٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ بَرَقْمَ: (٣٣٧٠)، وَابْنُ مَاجَةَ
بَرَقْمَ: (٣٨٢٩)، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حَبَانَ فِي صَحِيحِهِ بَرَقْمَ: (٨٧٠).

(٣) سُورَةُ الْبَقَرَةِ (الْآيَةُ: ١٨٦).

الصَّيَامِ، وَلَعَلَّ السَّرَّ فِي ذَلِكَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنْ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الدُّعَاءَ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارِكِ حَرِيٌّ بِالْإِجَابَةِ.

وهذه الآيةُ نزلتْ لَمَّا أتى أناسٌ وسألوا النَّبِيَّ ﷺ، فقالوا له: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَبُنَا قَرِيبٌ فَنُجَايِهِ، أَمْ بَعِيدٌ فَنُنَادِيهِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ هذه الآيةَ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ (١).

وتأمل قولَ اللهِ تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، ولم يقل: فقل لهم إنِّي قريبٌ، مع أنَّ عامَّةَ الآياتِ التي فيها السُّؤالُ يأتي الجوابُ بـ: قل، إشارةً إلى قربِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ مِنَ الدَّاعِي.

وقوله: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، أي أنَّ الله تعالى يجيبُ دعاءَ العبدِ إذا دعاهُ، وتحققتِ الشُّروطُ، وانتفتِ الموانعُ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (٢).

وممَّا يدلُّ على فضلِ الدعاءِ قولُ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِيْمٌ، وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يُدْخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يُصْرَفَ

(١) ينظر: تفسير الطبري (٣/ ٢٢٣).

(٢) سورة غافر (الآية: ٦٠).

عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا» قَالُوا: إِذَا نَكَّرُ، قَالَ: «اللَّهُ أَكْثَرُ»^(١)، فَقَدْ قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ رَحْمَةُ اللَّهِ: «كُلُّ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ، لَكِنْ تَتَنَوَّعُ الْإِجَابَةُ، فَتَارَةٌ تَقَعُ بَعَيْنِ مَا دَعَا بِهِ، وَتَارَةٌ بَعَوَضِهِ»^(٢)، وَعَلَى هَذَا فِإِجَابَةُ الدُّعَاءِ أَعَمُّ مِنْ قِضَاءِ الْحَاجَاتِ.

وَلِلدُّعَاءِ آدَابٌ مِنْ أَبْرَزِهَا:

١- الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾^(٣)، فَهَذَا الْإِخْلَاصُ الَّذِي صَحَبَ دَعْوَةَ الْمَضْطَّرِّ كَانَ سَبَبًا لِإِجَابَةِ الدُّعَاءِ مَعَ وَجُودِ الْمَانِعِ وَهُوَ الشُّرْكُ، فَهَؤُلَاءِ مُشْرِكُونَ وَمَعَ ذَلِكَ أَخْلَصُوا لِلَّهِ فِي دَعَائِهِمْ بِسَبَبِ الْإِضْطِرَارِ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُمْ. وَالْمَظْلُومُ تَسْتَجَابُ دَعْوَتُهُ؛ لِأَنَّهُ يَدْعُو اللَّهَ بِإِخْلَاصٍ وَحَرَارَةٍ بِسَبَبِ الظُّلْمِ الَّذِي وَقَعَ عَلَيْهِ؛ كَمَا قَالَ ﷺ: «أَتَقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»^(٤).

(١) أخرجه أحمد برقم: (١١١٣٣) بسند صحيح.

(٢) فتح الباري (١١/٩٥).

(٣) سورة العنكبوت (الآية: ٦٥).

(٤) أخرجه البخاري برقم: (١٤٢٥)، ومسلم برقم: (١٩) من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢- تقديمُ الدَّاعي بينَ يديْ دعائهِ الشَّناءِ على اللهِ **عَزَّوَجَلَّ**، ثمَّ الصَّلَاةَ على رسولِهِ **ﷺ**، وقد عَلَّمَنَا وَأَدَّبَنَا رَبُّنَا سُبْحَانَهُ بِهَذَا الْأَدَبِ فِي سُورَةِ الْفَاتِحَةِ، فَإِنَّ سُورَةَ الْفَاتِحَةِ ابْتَدَأَتْ بِالشَّناءِ على اللهِ سُبْحَانَهُ، ثمَّ بعدَ ذلكَ يَأْتِي الدُّعاءُ الْعَظِيمُ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١).

ولمَّا سَمِعَ النَّبِيُّ **ﷺ** رجلاً يَدْعُو ولمْ يَحْمَدِ اللهُ ولمْ يُصَلِّ على رسولِهِ، قالَ: «عَجَلْ هَذَا» (٢).

٣- التَّضَرُّعُ، قالَ تعالى: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ (٣)، فاللهُ تعالى يُحِبُّ مِنْ عِبْدِهِ حِينَ يَدْعُوهُ أَنْ يَدْعُوهُ بِتَضَرُّعٍ، قالَ تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (٤)، أَي: كَثِيرُ التَّأَوُّهِ وَالتَّضَرُّعِ.

٤- إِخْفَاءُ الصَّوْتِ بِالدُّعاءِ، قالَ تعالى: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ فَرَفْعُ الصَّوْتِ يَنَافِي التَّضَرُّعَ وَيَنَافِي الْخُشُوعَ الْمَطْلُوبَ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْإِعْتِدَاءِ فِي الدُّعاءِ؛ وَلِهَذَا قالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّكَ اللهُ لَا

(١) سورة الفاتحة (الآية: ٦).

(٢) أخرجه أبو داود برقم: (١٤٨١)، والترمذي برقم: (٣٤٧٧)، وقال: حسن صحيح. من

حديث فضالة بن عبيد **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**.

(٣) سورة الأعراف (الآية: ٥٥).

(٤) سورة التوبة (الآية: ١١٤).

يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١﴾، وَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ عَلَى زَكَرِيَّا بِقَوْلِهِ: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ (١).

ويُلاحِظُ في دعاءِ القنوتِ مِنْ بعضِ أئمَّةِ المساجدِ، رَفْعُ أصواتِهِمْ بالدُّعَاءِ، وَالَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَخْفِضَ الإِمَامُ الصَّوْتَ بِقَدْرِ مَا يُسْمَعُ مَنْ خَلْفَهُ فَقَطْ، وَيَكُونُ بِصَوْتٍ خَاشِعٍ.

٥- مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ (٢)، أَي: الطَّمَعُ فِي الإِجَابَةِ، فَإِذَا دَعَوْتَ اللَّهُ تَعَالَى يَنْبَغِي أَنْ يَقْوَى عِنْدَكَ الرَّجَاءُ، مَعَ الخَوْفِ مِنَ اللَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وَخَشْيَتِهِ، وَالخَوْفِ أَلَّا يَقْبَلَ مِنْكَ هَذَا العَمَلُ، فَيَكُونُ هَذَا الشُّعُورُ - الخَوْفُ وَ الطَّمَعُ - مَصَاحِبًا لِلدُّعَاءِ، وَهَذَا مِنْ أَسْبَابِ الإِجَابَةِ.

٦- أَلَّا يَسْتَعْجَلُ إِجَابَةَ الدُّعَاءِ، فَإِنَّ اسْتَعْجَالَ الإِجَابَةِ مِنْ مَوَاقِعِ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي» (٣)، وَقَدْ بَيَّنَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ صِفَةَ

(١) سورة مريم (الآية: ٣).

(٢) سورة الأعراف (الآية: ٥٦).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٦٣٤٠)، ومسلم برقم: (٢٧٣٥) من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه**.

هَذَا الاستعجالِ: «يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»، أَي: يَتَحَسَّرُ
ويتركُ الدُّعاءَ، هَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَوَانِعِ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ.

٧- أَنْ يَحْرُصَ الدَّاعِي عَلَى أَنْ يَدْعُوَ بِجَوَامِعِ الدُّعَاءِ، وَالدُّعَاءِ
بِالْمَأْثُورِ، فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْتَارُ مِنَ الدُّعَاءِ جَوَامِعَهُ، وَيَدْعُو مَا
سَوَى ذَلِكَ.

٨- الْحَرُصُ عَلَى طَيِّبِ الْمَكْسَبِ، فَإِنَّ الْمَكْسَبَ الْخَبِيثَ مِنْ
مَوَانِعِ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ، وَقَدْ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ الرَّجُلَ يَطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ
أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ! يَا رَبِّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ
حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ. فَأَنَّى يَسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟ (١).

اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا الصَّيَامَ وَالْقِيَامَ، وَوَفَّقْنَا لِمَا تَحِبُّ وَتَرْضَى مِنْ
الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ، وَصَلِّ عَلَى اللَّهِ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) أخرجه مسلم برقم: (١٠١٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

• الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالْعَشْرُونَ •

جَوَامِعُ الدُّعَاءِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَعْلَى الْكَبِيرِ، الْوَاحِدِ الْأَحَدِ السَّمِيعِ الْبَصِيرِ، وَالصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِهِ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَهْلِ الْجَدِّ
والتَّشْمِيرِ، وَبَعْدُ:

فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَادَاتِ: عِبَادَةُ الدُّعَاءِ، وَهُوَ مِنْ صِفَاتِ عِبَادِ
اللَّهِ الْمُتَّقِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَغَيْرِهِمْ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**
عَنْ أَنْبِيَائِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي
الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (١).

وَالدُّعَاءُ سَبَبٌ لِكُلِّ خَيْرٍ، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْرَصَ عَلَيْهِ
وَيَسْتَكْثِرَ مِنْهُ، وَأَنْ يَحْرَصَ عَلَى جَوَامِعِ الدُّعَاءِ اقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ**
الَّذِي كَانَ يَخْتَارُ جَوَامِعَ الدُّعَاءِ وَيَدْعُ مَا سِوَى ذَلِكَ، وَمِنْ جَوَامِعِ
الدُّعَاءِ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ** يَدْعُو بِهَا:

(١) سورة الأنبياء (الآية: ٩٠).

١- عن أنسِ بنِ مالكٍ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ **ﷺ**: «مَنْ سَأَلَ اللهُ الْجَنَّةَ ثَلَاثًا، قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ ثَلَاثًا، قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنَ النَّارِ» (١).

٢- عن أنسِ بنِ مالكٍ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قَالَ: «كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ **ﷺ**: اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» (٢).
وهذه الدَّعوةُ ذَكَرَهَا رَبُّنَا سَبْحَانَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٢٠١) **أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴿٣﴾.

هذه الدَّعوةُ إِذَا اسْتَجِيبَتْ لَكَ؛ حَصَلَتْ سَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْحَسَنَةُ فِي الدُّنْيَا فَسَّرَهَا بَعْضُ السَّلَفِ، فَقَالُوا: الزَّوْجَةُ الصَّالِحَةُ، وَبَعْضُهُمْ قَالَ: الْمَرْكَبُ الْهَيْئِيُّ، وَالدَّارُ الْوَاسِعُ، وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَهِيَ بِاخْتِصَارِ السَّعَادَةِ، كَأَنَّكَ تَقُولُ: يَا رَبِّ، اجْعَلْنِي أَعِيشُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا سَعِيدًا، وَهَذَا يَجْمَعُ الْأَمْثَلَةَ الَّتِي ذَكَرَهَا السَّلَفُ، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ

(١) أخرجه أحمد برقم: (١٣١٧٣)، والترمذي برقم: (٢٥٧٢)، والحاكم في المستدرک برقم: (١٩٦٠)، وقال: «صحيح الإسناد».

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦٣٨٩)، ومسلم برقم: (٢٦٩٠).

(٣) سورة البقرة (الآيتان: ٢٠١-٢٠٢).

حَسَنَةً ﴿ وَهِيَ: الْجَنَّةُ، ﴿ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾، أَي: يَسِّرْ لِي مِنْ
الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مَا أَتَّقِي بِهِ دُخُولَ النَّارِ.

٣- عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ،
وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ، فَقَالَ: أُوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي
دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ
عِبَادَتِكَ» (١).

وَدَبُرُ كُلِّ صَلَاةٍ، أَي: آخِرُ كُلِّ صَلَاةٍ... فِي التَّشْهِيدِ الْآخِرِ قُبَيْلَ
السَّلَامِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ **رَحِمَهُ اللَّهُ**:
تَأَمَّلْتُ أَنْفَعَ الدُّعَاءِ فَإِذَا هُوَ سُؤَالُ الْعَوْنِ عَلَى مَرْضَاتِهِ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ فِي
الْفَاتِحَةِ فِي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾» (٢).

٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
«اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِرَقْمٍ: (٢٢١١٩)، وَأَبُو دَاوُدَ بِرَقْمٍ: (١٥٢٣)، وَابْنُ خَزِيمَةَ فِي صَحِيحِهِ
بِرَقْمٍ: (٧٥١).

(٢) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ (١/١٢٢).

فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ» (١).

قال القرطبي رَحْمَةُ اللَّهِ: «هذا دعاءٌ عظيمٌ جمعَ خيرَ الدُّنيا والآخرةِ، والدِّينِ والدُّنيا، فحقَّ على كلِّ سامعٍ له أنْ يحفظَهُ، ويدعوَ بهِ آناءَ اللَّيْلِ وآناءَ النَّهارِ، لعلَّ الإنسانَ يوافقُ ساعةَ إجابةٍ فيحصلُ على خيرِ الدُّنيا والآخرةِ» (٢).

٥- عن ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُ هَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ يَصْبِحُ وَحِينَ يَمْسِي: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعِظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي» (٣).

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٧٢٠).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧ / ٤٩).

(٣) أخرجه أحمد برقم: (٤٧٨٥) وأبو داود برقم: (٥٠٧٤)، وابن ماجه برقم: (٣٨٧١)،

وابن حبان في صحيحه برقم: (٩٦١)، والحاكم في المستدرک برقم: (١٩٠٢)، وصححه،

ووافقه الذهبي.

٦- عن ابنِ عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفَجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ» (١).

٧- عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ» (٢).

٨- عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ وَدَرَكِ الشَّقَاءِ وَسُوءِ الْقَضَاءِ وَشِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ» (٣).

٩- عن أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ أَخْدِمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ يَكْثُرُ مِنْ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٧٣٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٥٤).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٦٣٤٧).

الرِّجَالِ»^(١)، وَضَلَعُ الدِّينِ: ثِقْلُهُ وَشِدَّتُهُ.

١٠- عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا كَنَزَ النَّاسُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، فَاكْتَنَزُوا هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرَّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ حُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ»^(٢).

١١- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى»^(٣).
اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِدَعَائِكَ بِمَا تَحِبُّ وَتَرْضَى، وَتَقَبَّلْ دَعَوَاتِنَا وَاقْضِ حَوَائِجَنَا، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، وَصَلِّ عَلَى اللَّهِ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ.



(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٤٢٥).

(٢) أخرجه أحمد برقم: (١٧١١٤)، وابن حبان في صحيحه برقم: (١٨٠٠).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٧٢١).

• الدَّرْسُ الْخَامِسُ وَالْعَشْرُونَ •

الثُّلُثُ الْأَخِيرُ مِنَ اللَّيْلِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الرَّحِيمِ الْغَفَّارِ، مَقْلَبِ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ، وَالصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ،
وَبَعْدُ:

فَمِنَ الْأَوْقَاتِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَنْزَلُ فِيهَا الْمَغْفِرَةُ وَالرَّحْمَةُ وَإِجَابَةُ
الدَّعَوَاتِ الثُّلُثُ الْأَخِيرُ مِنَ اللَّيْلِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا
حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ
يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» (١).

سُبْحَانَ اللَّهِ! الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ.. الْعَظِيمُ.. الْخَالِقُ لِهَذَا الْكَوْنِ..
الْغَنِيُّ عَنِ عِبَادِهِ، الَّذِي لَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ الطَّائِعِينَ، وَلَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ
الْعَاصِينَ، يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، كُلَّ
لَيْلَةٍ، نَزْوًا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، لَيْسَ كَنَزْوِلِ الْمَخْلُوقِينَ، فَإِنَّ اللَّهَ

(١) أخرجه البخاري برقم: (١١٤٥)، ومسلم برقم: (١٣٦٦).

ليسَ كمثلِه شيءٌ وهو السَّميعُ البصيرُ، وينادي عبادهُ بهذا النداءِ:
«هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ
فَأَغْفِرَ لَهُ»، سبحانَكَ رَبَّنَا مَا أَعْظَمَكَ، وَمَا أَرْحَمَكَ بعبادِكَ، وَمَا
أَعْظَمَ لطفَكَ، وَمَا أَعْظَمَ إحسانَكَ لعبادِكَ.

ومنْ أفضلِ ما ينشغلُ به الإنسانُ في هذا الوقتِ الفاضلِ:
الصَّلاةُ، وقد حثَّ النَّبِيُّ ﷺ على قيامِ اللَّيْلِ عامَّةً وعلى آخرِه خاصَّةً،
فعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ خَافَ أَلَّا يَقُومَ مِنْ
أَخْرِ اللَّيْلِ، فَلْيُوتِرْ مِنْ أَوَّلِهِ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ، فَلْيُوتِرْ آخِرَ
اللَّيْلِ، فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ» (١).

وَسُئِلَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنْ صَلَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ
فَقَالَتْ: «كَانَ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَيُحْيِي آخِرَهُ» (٢)، وَعَنْهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا
قَالَتْ: «كُلَّ اللَّيْلِ أَوْتَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَنْتَهَى وَتَرَهُ إِلَى السَّحْرِ» (٣).
وهذا يدلُّ على فضلِ الثُّلثِ الأخيرِ مِنَ اللَّيْلِ وفضلِ قيامِه، وَلَا
سِيَّما في العشرِ الأواخرِ مِنْ رمضانَ.

(١) أخرجه مسلم برقم: (٧٥٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (١٣٦٥).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٩٩٦) ومسلم برقم: (٧٤٥).

خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ» (١).

وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ» (٢).

والاستغفارُ له صيغٌ متعدِّدةٌ مِنْ أBRزها أن يقول: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وَالْأَكْمَلُ أَنْ يُقْرَنَ الاستغفارُ مع التَّوْبَةِ فيقول: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فِيهِ صَحيحِ مسلمٍ عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُكثِرُ مِنْ قَوْلِ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ» (٣)، يَمْتَثِلُ أَمْرَ رَبِّهِ ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ (٤).

■ وَمِنْهَا: مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍ رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا نَعْدُو لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ

(١) أخرجه مسلم برقم: (٧٥٧).

(٢) أخرجه الترمذي برقم: (٣٥٧٩)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي برقم:

(٥٧٢)، وصححه ابن خزيمة برقم: (٥٧٢)، والحاكم في المستدرک برقم: (١١٦٢)

وقال: «حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه».

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٤٨٤).

(٤) سورة النصر (الآية: ٣).

عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ» (١).

■ وممنها: أن يقول: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ
وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَقَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ
اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ
مِنَ الزَّحْفِ» (٢).

■ وممنها: سيّد الاستغفار، والذي قد جاء في حديثِ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: «سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ
رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا
اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ
لَكَ بِذُنُوبِي، فَاعْفُرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. مَنْ قَالَهَا مِنْ
النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قَالَهَا
حِينَ يُمْسِي مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ دَخَلَ الْجَنَّةَ» (٣)، وهذا

(١) أخرجه أبو داود برقم: (١٥١٦)، والترمذي برقم: (٣٤٣٤)، وقال: حسن صحيح غريب.

(٢) أخرجه أبو داود برقم: (١٥١٧)، والترمذي برقم: (٣٥٧٧)، وقال المنذري في الترغيب

والترهيب (٣١١/٢): «إسناده جيد».

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٦٣٠٦).

الذِّكْرُ مِنْ أَذْكَارِ الصُّبْحِ وَالْمَسَاءِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَحَافِظَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ.

■ ومِنْهَا: أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ تَعَالَى الْمَغْفِرَةَ فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، فَبِالصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»^(١)، وَهَذَا الذِّكْرُ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَهُ الْمُسْلِمُ فِي كُلِّ صَلَاةٍ يَصَلِّيَهَا مِنْ فَرْضٍ أَوْ نَفْلٍ بَعْدَمَا يَسْبُحُ فِي الرُّكُوعِ وَيَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَيَخْتُمُهُ بِأَنْ يَقُولَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي. وَهَكَذَا فِي السُّجُودِ بَعْدَمَا يَسْبُحُ وَيَقُولُ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى يَخْتُمُ ذَلِكَ التَّسْبِيحَ بِأَنْ يَقُولَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ، وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا يَا رَحِيمُ يَا غَفَّارُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



(١) أخرجه البخاري برقم: (٧٩٤)، ومسلم برقم: (٤٨٤).

• الدَّرْسُ السَّادِسُ وَالْعَشْرُونَ •

أسبابُ نيلِ محبَّةِ اللهِ

الحمدُ لله المتعالِي عن الأندادِ، الملكِ الرَّحِيمِ بالعبادِ، وأشهدُ
أنَّ مُحَمَّدًا عبْدُهُ ورسولُهُ المبعوثُ رحمةً للعبادِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمِنِ اهْتَدَى بِهِدِيهِ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ، وَبَعْدُ:

فقد جاءَ فِي الصَّحِيحِينَ عن أَبِي هريرةَ رضي الله عنه، قالَ: قالَ
رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أَحِبُّ
فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فيقولُ: إِنَّ اللهَ
يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يُوَضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي
الأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فيقولُ: إِنِّي أَبْغَضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ،
قَالَ: فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا
فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيَبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوَضَعُ لَهُ البَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ» (١).

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٠٤٠)، ومسلم برقم: (٢٦٣٧) واللفظ لمسلم.

فالأولُ: يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ أَوْ يَسْمَعُ بِهِ إِلَّا أَحَبَّهُ.

والثاني: توضعُ لَهُ البغضاءُ فِي الأَرْضِ فَلَا يَرَاهُ أَحَدٌ أَوْ يَسْمَعُ بِهِ إِلَّا أَبْغَضَهُ.

والقلوبُ بِيَدِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَهَذَا العَبْدُ الَّذِي أَحَبَّهُ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ حَازَ الشَّرْفَ العَظِيمَ أَنْ يَحِبَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَيُنَادِي جَبْرِيْلُ أَنَّ اللَّهَ يَحِبُّ فُلانَ ابْنِ فُلانٍ بِاسْمِهِ فَيَحِبُّهُ جَبْرِيْلُ، ثُمَّ تَحِبُّهُ الملائكةُ، ثُمَّ يوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ.

ولنيلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى أسبابٌ، وَمَنْ أَحْسَنَ مَنْ ذَكَرَهَا الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ^(١)، فَقَدْ ذَكَرَ عَشْرَةَ أسبابٍ جالِبَةٍ للمَحَبَّةِ وَهِيَ:

■ الأولُ: قِراءَةُ القُرْآنِ بِالتَّدْبِيرِ وَالتَّفْهِيمِ لِمَعَانِيهِ وَمَا أُرِيدَ بِهِ، فَالارتباطُ بِالقُرْآنِ العَظِيمِ تِلاوَةً وَاسْتِماعًا وَتَدْبِيرًا لِمَعَانِيهِ وَتَفْهِيمًا لَهَا مِنْ أَعْظَمِ الأسبابِ الَّتِي يَنالُ بِهَا العَبْدُ مَحَبَّةَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ؛ وَلِذَلِكَ

(١) ينظر: مدارج السالكين (٣/ ١٨-١٩).

يقول سبحانه: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (١)، فالمؤمنُ يزيدُ إيمانهُ بالاستماعِ للقرآنِ، ويزيدُ إيمانهُ بتلاوةِ القرآنِ مع التدبُّرِ.

فينبغي لك أخي المسلم: أن تجعلَ لك نصيبًا من تلاوةِ القرآنِ، تتلوا فيه كلامَ الله تعالى بتدبُّرٍ وألا يمرَّ عليك يومٌ إلا وقد قرأتَ فيه شيئًا من كلامِ الله عزَّ وجلَّ.

■ الثاني: التَّقَرُّبُ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِالنَّوَافِلِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقَدْسِيِّ: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ» (٢)، فالإكثارُ مِنَ النِّوَافِلِ - بعدَ المحافظةِ على الفرائضِ - مِنْ أسبابِ نيلِ محبَّةِ اللهِ.

(١) سورة الأنفال (الآية: ٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

■ الثالثُ: دوامُ ذكرِ اللهِ تعالى على كلِّ حالٍ، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾^(١)، يقولُ ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللهُ: «فنصيبُهُ مِنَ المحبَّةِ على قدرِ نصيبِهِ مِنْ هَذَا الذِّكْرِ»^(٢)، فالإكثارُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ سبحانه يُجعلُ المسلمُ مرتبطاً باللهِ عَزَّوَجَلَّ، ويقلُّ تعلقُهُ بالدُّنيا، وهذا مِنْ شأنِهِ أَنْ يرقِّقَ القلبَ وتزولَ معهُ القسوةُ، ومنْ شأنِهِ كذلك أَنْ يجلبَ المحبَّةَ للعبدِ، ولهذا جاءَ رجلٌ إلى الحسنِ البصريِّ رَحِمَهُ اللهُ فقال: يا أبا سعيدٍ أشكو إليك قسوةَ قلبي؟ فقال الحسنُ: «أذنبَ قسوةَ قلبك بكثرةِ ذِكْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ»^(٣)، ثمَّ إنَّ الإكثارَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ سبحانه يُورثُ العبدَ الطُّمأنينةَ كما قالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٤)، هذه الطُّمأنينةُ هِيَ سعادةٌ قلبيةٌ يعجزُ اللِّسانُ عنْ وصفِها وتعجزُ الكلماتُ عنْ

(١) سورة الأحزاب (الآية: ٤١).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ١٨).

(٣) ذم الهوى (ص: ٦٩) وفيه: «أذنبه من الذكر»، وأخرجه أحمد في الزهد برقم: (١٥١٠)

بلفظ: «أذنبه من الذكرى، أي: ممن يذكر».

(٤) سورة الرعد (الآية: ٢٨).

التَّعبيرِ عَنْهَا، يصفُهَا أَحَدُ الصَّالِحِينَ فيقولُ: «إِنَّهُ ليمرُّ بالقلبِ أوقاتٌ، أقولُ: إنْ كانَ أهلُ الجَنَّةِ في مثلِ هذا، إنَّهم لفي عيشٍ طيبٍ»^(١).

■ الرَّابِعُ: إيثارُ محابِّ اللهِ تعالى على محابِّ الإنسانِ، فعندمَا تتعارضُ محبَّةُ اللهِ معَ محبَّةِ غيرهِ يقدِّمُ محبَّةَ اللهِ تعالى، فعلى سبيلِ المثالِ عندمَا تسمعُ المؤذِّنَ يؤذِّنُ لصلاةِ الفجرِ فإنَّكَ ستتنهضُ مِنْ فراشِكَ وتقومُ وتؤدِّي صلاةَ الفجرِ معَ الجماعةِ في المسجدِ إنْ كُنْتَ صادقًا في محبَّتِكَ، أمَّا مَنْ كانَ غيرَ صادقٍ فإنه سيقدمُ محبَّةَ النومِ والرَّاحةِ والكسلِ على محبَّةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، كذلكَ عندمَا تكونُ هناكَ معاملةً وفيها شبهةٌ، فإنَّ الصَّادقَ في محبَّةِ اللهِ سبحانه وتعالى ستركُ هذه المعاملةَ حتَّى وإنْ كانَ فيها أرباحٌ كبيرةٌ ما دامَ أنَّ فيها شبهةً، وهكذا إذا تعارضتُ محبَّةُ اللهِ معَ محبَّةِ غيرهِ تقدِّمُ محبَّةَ اللهِ على محبَّةِ غيرهِ.

■ **الخامسُ:** مطالعةُ القلبِ لأسماءِ اللهِ تعالى وصفاته، فمنَ عرفَ اللهَ تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبهُ لا محالة.

■ **السادسُ:** مشاهدةُ برِّه وإحسانِه وآلائِه، ونعمِه الباطنة والظاهرة، فإنَّها داعيةٌ إلى محبَّته، والنُّفوسُ مجبولةٌ على حبِّ مَنْ أحسنَ إليها، وأيُّ إحسانٍ للإنسانِ أعظمَ مِنْ إحسانِ اللهِ تعالى له، فجميعُ النِّعمِ منه **جَلَّ وَعَلَا** كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ (١)، وقال: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ (٢).

■ **السابعُ:** انكسارُ القلبِ بِكُلِّيَّتهِ بينَ يَدَيِ اللهِ تعالى، يقولُ ابنُ القيمِ **رَحْمَةُ اللَّهِ** عنْ هَذَا السَّبَبِ: «وهُوَ مِنْ أَعْجَبِهَا، وَلَيْسَ فِي التَّعْبِيرِ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى غَيْرُ الْأَسْمَاءِ وَالْعِبَارَاتِ» (٣)، خاصَّةً عِنْدَمَا يَكُونُ الْمُسْلِمُ خَالِيًا بِرَبِّهِ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ، فَيَنْطَرِحُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَيَنْكَسِرُ، وَيُنَاجِي رَبَّهُ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي يَرُقُّ بِهَا الْقَلْبُ وَتَنَالُ بِهَا الْمَحَبَّةَ لِلَّهِ.

(١) سورة النحل (الآية: ٥٣).

(٢) سورة النحل (الآية: ١٨).

(٣) مدارج السالكين (٣/ ١٩).

■ الثَّامِنُ: الخلوَّةُ بِهِ وقتَ النُّزولِ الإلهيِّ، لمناجاتِهِ وتلاوةِ كلامِهِ، والوقوفِ بالقلبِ والتَّأدُّبِ بأدبِ العبوديَّةِ بينَ يديه، ثمَّ ختمُ ذلكَ بالاستغفارِ والتَّوبَةِ.

فعندمَا يخلُو العبدُ برَبِّهِ سبحانَهُ فِي الثُّلثِ الأخيرِ مِنَ اللَّيْلِ ويصلي ما كتبَ اللهُ تعالى لَهُ أَنْ يصليَ ثُمَّ يَخْتَمُ ذلكَ بالاستغفارِ، فهذا مِنْ أسبابِ الثَّباتِ بَلْ زيادةِ الإيمانِ، ونيلِ محبَّةِ اللهُ سبحانَهُ.

■ التَّاسِعُ: مجالسةُ المحبِّينَ الصَّادِقِينَ، والتقاطُ أطيبِ ثمراتِ كلامِهِمْ كَمَا ينتقي أطيبَ الثَّمْرِ، فَإِنَّ المجالسةَ للصَّالحينَ لَهَا أثرٌ كبيرٌ على المسلمِ، ويجدُ الإنسانُ أثرَهَا على نَفْسِهِ، وعلى سلوكِهِ، فمجالسةُ الصَّالحينَ الَّتِي تكونُ مجالسُهُمْ عامرةً بذكرِ اللهُ تزيِدُ العبدَ إيمانًا، وَإِذَا زادتْ إيمانًا كانَ ذلكَ مِنْ أسبابِ نيلِهِ لمحبةِ اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

■ العاشِرُ: مباحدةُ كُلِّ سببٍ يحولُ بينَ القلبِ وبينَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وَمِنْ ذلكَ التَّعلُّقُ بالدُّنيا؛ فَإِنَّ التَّعلُّقَ بأُمورِ الدُّنيا لَهُ أثرٌ فِي الغفلةِ عَنِ الآخرةِ وقسوةِ القلبِ، فينبغي للمسلمِ أَنْ يحرصَ على الابتعادِ عَنِ كُلِّ سببٍ يشغلهُ عَنِ طاعةِ اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

اللَّهُمَّ أيقظنا لتداركِ ما تبقي من الأعمارِ، ووفقنا للتزودِ من
الخيرِ والاستكثارِ، واجعلنا ممن قبِلت صيامَهُ، وأسعدتَهُ بطاعتِكَ
فاستعدَّ لِمَا أمامُهُ، واغفرِ اللَّهُمَّ لنا ولوالدينا ولجميعِ المسلمينَ.
وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ.



• الدَّرْسُ السَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ •

الصَّبْرُ وَأَقْسَامُهُ

الحمدُ لله أهلِ الحمدِ والثَّناءِ، المتفرِّدِ بالعزِّ والكبرياءِ، والصَّلَاةُ
والسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْبِرَّةِ
الْأَتْقِيَاءِ، وَبَعْدُ:

فِيَنَّ الصَّبْرَ لَهُ فُضَائِلٌ عَظِيمَةٌ دَلَّتْ عَلَيْهَا نِصُوصُ الْكِتَابِ
وَالسُّنَّةِ، وَمَنْ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أَمَرَ بِهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَتَأَيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾^(١)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ
مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢)، وَالْمَقْصُودُ بِالْمَعِيَّةِ، الْمَعِيَّةُ الْخَاصَّةُ الَّتِي
تَقْتَضِي النَّصْرَ وَالتَّيِّدَ وَالْإِعَانَةَ وَالتَّوْفِيقَ.

وَأَخْبَرَ أَنَّهُ يُحِبُّ مَنْ اتَّصَفَ بِهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ

الصَّابِرِينَ﴾^(٣).

(١) سورة آل عمران (الآية: ٢٠٠).

(٢) سورة الأنفال (الآية: ٤٦).

(٣) سورة آل عمران (الآية: ١٤٦).

وَبَيْنَ أَنْ أَجْرَ الصَّابِرِينَ لَا حُدَّ لَهُ وَلَا عَدٌّ، فَقَالَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**:

﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١).

ويقول النبي ﷺ: «مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»^(٢)،

وهذا الحديث يدلُّ على أنَّ أعظمَ عطاءٍ يُعطاهُ العبدُ الصَّبرَ، فالصَّبرُ مِنَ النِّعمِ العظيمةِ والمنحِ الكبيرةِ الَّتِي يُعطاهَا المسلمُ، والإنسانُ فِي هذهِ الحياةِ لَا بدَّ أَنْ يواجهَ مصاعبَ ومتاعبَ ومصائبَ، فَلَا بدَّ لَهُ مِنْ الصَّبرِ، وبدونِ الصَّبرِ فَإِنَّ حَيَاتَهُ تُتحوَّلُ إِلَى بُؤْسٍ وتعبٍ وشقاءٍ.

وقال النبي ﷺ: «وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ»^(٣)، فالصَّبرُ ضياءٌ يستضيءُ بِهِ

المسلمُ، ومنهجٌ ومدرسةٌ للمسلمِ فِي الحياةِ، وبدونِ الصَّبرِ لَا يمكنُ أَنْ يعيشَ الإنسانُ ويحيى الحياةَ المطمئنةَ السَّعيدةَ.

والصَّبرُ فضائلُهُ كثيرةٌ وأجورُهُ عظيمةٌ؛ ولهذا قال بعضُ السَّلفِ: «لَا

نعلمُ خُلُقًا مِنَ الأخلاقِ أَثْنَى اللهُ عَلَيْهِ فِي القرآنِ وَحَثَّ عَلَيْهِ مِثْلَ الصَّبْرِ»،

فهو مِنَ الأخلاقِ الكريمةِ الَّتِي ينبغي أَنْ يحرصَ المسلمُ على تقويتِهَا.

(١) سورة الزمر (الآية: ١٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (١٤٦٩)، ومسلم برقم: (١٠٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وقد قَسَمَ أهلُ العلمِ الصَّبْرَ إلى ثلاثةِ أقسامٍ: الصَّبْرُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، والصَّبْرُ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، والصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ الْمُؤَلَّمَةِ.

أَمَّا الصَّبْرُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَمَعْنَاهُ: أَنْ الْمُسْلِمَ يَصْبِرَ نَفْسَهُ وَيَحْمِلُهَا عَلَى الْإِتْيَانِ بِالطَّاعَةِ، فَعَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ: الْقِيَامُ لَصَلَاةِ الْفَجْرِ، وَأَدَاءُ هَذِهِ الْعِبَادَةِ مَعَ الْجَمَاعَةِ فِي الْمَسْجِدِ مِنَ الْأُمُورِ الصَّعْبَةِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^(١)، فَهَذِهِ الْعِبَادَةُ تَحْتَاجُ مِنَ الْمُسْلِمِ أَنْ يَصْبِرَ نَفْسَهُ حَتَّى يَقُومَ وَيَسْتَيْقِظَ مِنْ فِرَاشِهِ وَيَذْهَبَ لِلْمَسْجِدِ، وَيَصَلِّيَ مَعَ الْجَمَاعَةِ فِي الْمَسْجِدِ، وَهَكَذَا بِالنِّسْبَةِ لِسَائِرِ الطَّاعَاتِ.

وَأَمَّا الصَّبْرُ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ: فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمَعْصِيَةِ تَوَافَقَ هَوَى النُّفُوسِ، وَقَدْ يَجِدُ الْإِنْسَانُ لَهَا لَذَّةً، فَهِيَ تَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَصْبِرَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ عَنْ هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ؛ كَالنَّظَرِ الْمَحْرَمِ أَوْ الْغَيْبَةِ، فَيَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَكْفَ نَظْرَهُ، وَيَكْفَ لِسَانَهُ، وَيَكْفَ سَائِرَ جَوَارِحِهِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ.

وَأَمَّا الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ الْمُؤَلَّمَةِ: فَإِنَّ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ أَنَّهُ يَبْتَلِي عِبَادَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ

(١) سورة البقرة (الآية: ٤٥).

وَالشَّمْرَاتِ، وَيخْتَبِرُهُمْ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَنَبَلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمْرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أَوْلَيْتِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَوْلَيْتِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١﴾.

ومعنى الصَّبْرِ عندَ المصيبةِ: أنَّ الإنسانَ يحبسُ نفسَهُ عنِ الجزعِ، ولسانَهُ عنِ التَّشكِّيِّ والأقوالِ المحرَّمةِ، وجوارحَهُ عنِ الأفعالِ المحرَّمةِ؛ كلطمِ الخدِّ وشقِّ الجيبِ ونحوِ ذلك.

وَالإِنْسَانُ عِنْدَمَا تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ لَهُ أَحْوَالٌ:

❖ الحالُ الأوَّلِي: الجزعُ، فيجزعُ عندما تأتيهِ المصيبةُ، وتصدرُ منه

أقوالٌ محرَّمةٌ كالأعتراضِ على القضاءِ والقدرِ، ومن ذلك أن يقولَ:

مَاذَا يَا رَبِّ فَعَلْتُ حَتَّى تُصِيبَنِي بِهَذِهِ الْمَصِيبَةِ؟، أو: لِمَاذَا أُصِبْتُ بِهَذِهِ

الْمَصِيبَةِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ النَّاسِ؟ ونحو ذلك.

أو تصدرُ منه أفعالٌ محرَّمةٌ كلطمِ الخدودِ، وشقِّ الجيوبِ،

ونحو ذلك، فهذا الجزعُ بالقولِ أو الفعلِ محرَّمٌ، ومن كِبائرِ

الذُّنُوبِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ» (١).

❖ **الحالُ الثَّانِيَةُ: الصَّبْرُ، أَي:** يَحْبِسُ نَفْسَهُ عَنِ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ الْمَحْرَمَةِ، فَهُوَ قَابِضٌ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ مُحْرَمٍ وَمِنْ أَنْ يَصْدَرَ مِنْهُ فِعْلٌ مُحْرَمٌ، وَهَذِهِ الْحَالُ حَكْمُهَا: الْوَجُوبُ، فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَصْبِرَ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ، وَلَا يَلْزُمُ مِنْ ذَلِكَ الرِّضَا فَقَدْ يَصْبِرُ وَهُوَ فِي نَفْسِهِ غَيْرُ رَاضٍ.

❖ **الحالُ الثَّلَاثَةُ: الرِّضَا، أَي:** أَنْ يَرْضَى بِالْمَصِيبَةِ، وَلَا يُؤَفِّقُ لِلرِّضَا إِلَّا مَنْ كَانَ قَوِيَّ الْإِيمَانِ، وَهَذِهِ الْحَالُ حَكْمُهَا: الْاسْتِحْبَابُ عَلَى الْقَوْلِ الرَّاجِحِ، وَلَيْسَتْ وَاجِبَةً؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِلَ إِلَى هَذِهِ الْحَالِ.

❖ **الحالُ الرَّابِعَةُ: الشُّكْرُ، فَعِنْدَمَا تَقَعُ لَهُ مَصِيبَةٌ يَحْمَدُ اللَّهَ وَيَشْكُرُهُ؛ لِأَنَّهُ يَرَى حَقَارَةَ هَذِهِ الدُّنْيَا، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا صَبَرَ عَلَى هَذِهِ الْمَصِيبَةِ وَحَمَدَ اللَّهَ وَشَكَرَهُ عَوَّضَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِصَلَوَاتٍ وَرَحْمَةٍ وَهَدَايَةٍ وَأَجُورٍ وَكَفَّارَاتٍ، فَهُوَ يَرْضَى وَيَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى وَيَشْكُرُهُ. وَإِذَا كَانَتْ**

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٢٩٤)، ومسلم برقم: (١٠٣) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مرتبةُ الرِّضا مستحبةٌ، فمرتبةُ الشُّكرِ مستحبةٌ مِنْ بابِ أوَّلَى.

وهناك جانبٌ آخرٌ مِنْ جوانبِ الصَّبرِ، وهو الصَّبرُ فِي معاملةِ النَّاسِ، فَإِنَّ الإنسانَ عِنْدَمَا يعاملُ النَّاسَ سِيواجهُ طبقةً غيرَ محترمةٍ تحبُّ إيذاءَ الآخرينَ، وتسلِّطُ عليهمُ وهي: طبقةُ الجاهلينَ، فينبغي الصَّبرُ على أذاهمُ، وعدمُ مقابلةِ السيِّئةِ بِمثلِها، والإعراضُ عن جهلهم.

فعلى المسلمِ أن يصبرَ نفسه على ما قد يلاقِيه مِنْ هذه الشَّرائحِ الصَّعبةِ فِي المجتمعِ، ومما قد يلاقِي الأذى فِي بيتهِ إمَّا مِنْ زوجةٍ أو والدٍ أو والدَةٍ أو أخٍ أو ذي رحمٍ، فعليه أن يصبرَ، وأن يعرضَ عن الجاهلِ، وإن تيسَّرَ أن يقابلَ السيِّئةَ بالحسنةِ فهوَ الأكملُ والأفضلُ.

اللَّهُمَّ اجعلنا مِنَ الصَّابرينَ الَّذِينَ تحبُّهمُ، ووفقنا لِمَا يرزقُك، وجنِّبنا معاصيكَ، واغفرْ لنا ولوالدينا ولجميعِ المسلمينَ، وصلِّ اللهُ وسلِّمَ على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ.



• الدَّرْسُ الثَّامِنُ وَالْعَشْرُونَ •

زَكَاةُ الْفَطْرِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَتَفَرِّدِ بِالْجَلَالِ وَالْبَقَاءِ، وَالْعِظْمَةِ وَالْكَبْرِيَاءِ،
وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ، وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ الْكِرَامِ النَّجْبَاءِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ شَهْرَكُمْ قَدْ عَزَمَ عَلَى الرَّحِيلِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا الْقَلِيلُ،
فاجتهدوا فيما تبقى من هذا الشهر، واهتمُّوا بما يقربُكم من الله
الجليل.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ: قَدْ شَرَعَ اللَّهُ تَعَالَى فِي آخِرِ هَذَا الشَّهْرِ عِبَادَاتٍ
تَقْرُبُكُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى رَحْمَةً مِنْهُ وَإِحْسَانًا، وَمِنْ ذَلِكَ: زَكَاةُ الْفَطْرِ
وَقَدْ فَرَضَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمُسْلِمِينَ عَلَى الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ،
وَالذَّكْرِ وَالْأُنْثَى، وَالْحُرِّ وَالْعَبْدِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

وَالْحِكْمَةُ مِنْ مَشْرُوعِيَّتِهَا: أَنَّ فِيهَا إِحْسَانًا لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ؛
لَكِنِّي يَشَارِكُوا الْأَغْنِيَاءَ فَرَحَهُمْ بِالْعِيدِ، فَيَكُونُ يَوْمُ الْعِيدِ يَوْمَ فَرَحٍ
وَسُرُورٍ لِلْجَمِيعِ.

كَمَا أَنَّ فِيهَا جَبْرًا لِمَا قَدْ يَكُونُ مِنَ النَّقْصِ وَالْخَلْلِ مِنَ الصَّائِمِ،
فَإِنَّ الصَّائِمَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ قَدْ يَعْتَرِي صَوْمُهُ مَا قَدْ يَعْتَرِيهِ مِنَ
النَّقْصِ وَالْخَلْلِ، وَكُلُّ مَعْصِيَةٍ تَقَعُ مِنَ الصَّائِمِ تَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ
صَوْمِهِ، فَشُرِعَتْ زَكَاةُ الْفِطْرِ جَبْرًا لِهَذَا النَّقْصِ وَالْخَلْلِ.

كَمَا أَنَّ فِيهَا شُكْرًا لِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الصَّائِمِ أَنْ بَلَغَهُ شَهْرَ
رَمَضَانَ وَوَفَّقَهُ لِفِعْلِ مَا تَيْسَّرَ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

وزكاةُ الفِطْرِ فَرَضَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَعَامًا، كَمَا جَاءَ عَنِ
ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ، صَاعًا مِنْ
تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ، وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى،
وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»^(١)، وَكَانَ الطَّعَامُ عِنْدَ الصَّحَابَةِ فِي
زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ هُوَ التَّمْرَ وَالْبُرَّ وَالشَّعِيرَ وَالزَّبِيبَ وَالْأَقِطَ، فَكَانَتْ هَذِهِ
الْأَصْنَافُ الْخَمْسَةُ هِيَ الطَّعَامَ السَّائِدَةَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: إِنَّ الْوَاجِبَ فِي إِخْرَاجِهَا أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الطَّعَامِ
الَّذِي يِقْتَاتُهُ النَّاسُ مِنْ غَالِبِ قُوَّةِ أَهْلِ الْبَلَدِ، وَلِذَا فَلَا بَأْسَ أَنْ

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٥٠٣)، ومسلم برقم: (٩٨٤).

تُخْرَجُ فِي وَقْتِنَا الْحَاضِرِ مِنَ الْأَرْزِ؛ لِأَنَّهُ قَوْتُ يِقَاتُهُ النَّاسُ، وَطَعَامٌ طَيِّبٌ.

وَلَا يَجْزِي إِخْرَاجُهَا نَقُودًا، وَإِنَّمَا يَجِبُ إِخْرَاجُهَا طَعَامًا فِي قَوْلِ جَمْهُورِ الْفُقَهَاءِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِنَّمَا أَمَرَ بِإِخْرَاجِهَا طَعَامًا مَعَ وَجُودِ النَّقْدِ فِي زَمَنِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَحَتَّى تَبْرَزَ هَذِهِ الشَّعِيرَةُ وَتَتَمَيَّزَ عَنْ زَكَاةِ الْمَالِ وَغَيْرِهَا، فَاخْرَاجُهَا طَعَامًا يَرَاهَا الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ وَعَامَّةُ النَّاسِ يَجْعَلُهَا شَعِيرَةً ظَاهِرَةً فِي الْمَجْتَمَعِ، بِخِلَافِ مَا إِذَا أُخْرِجَتْ نَقُودًا فَلَا يَصْبَحُ فَرْقٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَكَاةِ الْمَالِ.

وَمَقْدَارُهَا صَاعٌ بِصَاعِ النَّبِيِّ ﷺ، وَيَعَادِلُ كِيلَوَيْنِ وَرَبْعًا مِنَ الْأَرْزِ تَقْرِيبًا إِذَا كَانَتْ سَتُخْرَجُ مِنَ الْأَرْزِ، وَلَوْ احْتَاطَ الْمُسْلِمُ وَأَرَادَ أَنْ يَخْرُجَهَا ثَلَاثَةَ كِيلُوجَرَامَاتٍ خُرُوجًا مِنَ الْخِلَافِ فِي تَقْدِيرِهَا فَهَذَا هُوَ الْأَحْوَطُ، وَمَا قَدْ يَزِيدُ عَنِ الْوَاجِبِ يَنْوِيهِ صَدَقَةٌ.

وَأَمَّا وَقْتُ وَجُوبِهَا: فَتَجِبُ بِغُرُوبِ الشَّمْسِ لَيْلَةَ الْعِيدِ، وَيَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ مَاتَ إِنْسَانٌ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ لَيْلَةَ الْعِيدِ لَمْ يَجِبْ

إِخْرَاجُ زَكَاةِ الْفِطْرِ عَنْهُ، وَلَوْ مَاتَ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ لَيْلَةَ الْعِيدِ وَلَوْ
بِدَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ، فَيَجِبُ إِخْرَاجُ زَكَاةِ الْفِطْرِ عَنْهُ.

كَمَا أَنَّهُ لَوْ تَزَوَّجَ إِنْسَانٌ وَدَخَلَ بِامْرَأَتِهِ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ لَيْلَةَ
الْعِيدِ لَزِمَهُ أَنْ يَخْرُجَ زَكَاةَ الْفِطْرِ عَنْهَا، وَلَوْ كَانَ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ
لَيْلَةَ الْعِيدِ لَمْ يَلْزَمْهُ.

كَمَا أَنَّهُ لَوْ وُلِدَ لِإِنْسَانٍ مَوْلُودٌ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ لَيْلَةَ الْعِيدِ
وَجِبَ إِخْرَاجُ زَكَاةِ الْفِطْرِ عَنْهُ، وَلَوْ وُلِدَ لَهُ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ لَيْلَةَ
الْعِيدِ لَمْ يَجِبْ إِخْرَاجُ زَكَاةِ الْفِطْرِ عَنْهُ، لَكِنَّ الْعُلَمَاءَ اسْتَحَبُّوا إِخْرَاجَ
زَكَاةِ الْفِطْرِ عَنِ الْجَنِينِ الَّذِي فِي الْبَطْنِ إِذَا كَانَ عَمْرُهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ
فَأَكْثَرَ.

وَأَمَّا وَقْتُ الْجَوَازِ: فَيَجُوزُ إِخْرَاجُ زَكَاةِ الْفِطْرِ قَبْلَ الْعِيدِ يَوْمٍ أَوْ
يَوْمَيْنِ، وَعَلَى ذَلِكَ فَيَكُونُ أَوَّلُ وَقْتٍ لِإِخْرَاجِ زَكَاةِ الْفِطْرِ هُوَ غُرُوبُ
شَمْسِ الْيَوْمِ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ.

ويمتدُّ وقتُ زكاةِ الفِطْرِ إِلَى صلاةِ العيدِ، والأفضلُ أَنْ تخرجَ يومَ العيدِ قَبْلَ الصَّلَاةِ.

أَمَّا إِخْرَاجُهَا بَعْدَ صَلَاةِ الْعِيدِ فَلَا يَجْزِي؛ لِقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «فَمَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِّنَ الصَّدَقَاتِ»^(١).

والمستحقُّونَ لَهَا هُمُ الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ، وَيَجُوزُ إِعْطَاؤُهَا لِمَنْ يَقْبَلُهَا مِمَّنْ لَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ غِنًى وَكَانَ ابْنُ عَمْرٍو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** يَعْطِيهَا مَنْ قَبْلَهَا.

ويجوزُ دفعُ عددٍ مِنَ الْفِطْرِ لِمَسْكِينٍ وَاحِدٍ، وَيَجُوزُ دَفْعُ الْفِطْرَةِ الْوَاحِدَةِ لِأَكْثَرَ مِنْ مَسْكِينٍ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَدَّرَ الْمُخْرَجَ وَهُوَ صَاعٌ، وَلَمْ يَقْدِرْ عِدَدَ الْمَسَاكِينِ.

وَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْرَصَ عَلَى إِخْرَاجِهَا طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ، وَأَنْ يَخْتَارَ أَطْيَبَ الطَّعَامِ، وَلَا يَتَّبِعَهَا بِمَنَّةٍ وَلَا أَدْيٍ، فَإِنَّهَا صَاعٌ وَاحِدٌ فِي الْعَامِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَحْرَصَ عَلَى تَطْبِيقِ السُّنَّةِ فِي إِخْرَاجِهَا.

(١) أخرجه أبو داود برقم: (١٦١٠)، وابن ماجه برقم: (١٨٢٧)، والحاكم برقم: (١٤٨٨)، وقال: «وهذا حديث صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

اللَّهُمَّ اخْتَمْ لَنَا شَهْرَ رَمَضَانَ بِرِضْوَانِكَ، وَأَجِرْنَا مِنْ عِقَابِكَ
وَنِيرَانِكَ، وَجُدْ عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ وَامْتِنَانِكَ، وَصَلِّ عَلَى اللَّهِ وَسَلِّمْ
عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



• الدَّرْسُ التَّاسِعُ وَالْعَشْرُونَ •

فضائلُ التَّوْبَةِ

الحمدُ لله عَظَمَ حِلْمُهُ فَسْتَرَ، وَبَسَطَ يَدَهُ بِالْعَطَاءِ فَأَكْثَرَ، وَالصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْبَشَرِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْكِرَامِ
الْغُرَرِ، وَبَعْدُ:

فَالْكَمَالُ فِي الْبَشَرِ مُحَالٌ، فَهَمْ لَيْسُوا كَالْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ ﴿لَا
يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١)، وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى لَجَعَلَهُمْ
كَالْمَلَائِكَةِ لَكَنَّ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ خَلَقَهُمْ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ، يَقَعُ مِنْهُمْ الْخَطَأُ
وَالتَّقْصِيرُ وَيَسْتَغْفِرُونَ رَبًّا غَفُورًا رَحِيمًا فَيَغْفِرُ لَهُمْ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ:
«لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ
فَيَغْفِرُ لَهُمْ»^(٢).

وَاللَّهُ تَعَالَى يَدْعُو عِبَادَهُ إِلَى جَنَّتِهِ وَإِلَى مَغْفِرَتِهِ ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى
الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾^(٣)، ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ

(١) سورة التحريم (الآية: ٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) سورة البقرة (الآية: ٢٢١).

وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿١﴾، ويقولُ اللهُ تعالى في الحديثِ القدسيِّ: «يا عبادي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ» (٢). وينادي عبادهُ كلَّ ليلةٍ حينَ يبقى ثلثُ اللَّيْلِ الآخرُ: «مَنْ يَدْعُونِي فَاسْتَجِبْ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرْ لَهُ» (٣). طوبى لمن عرفَ أنَّ له ربًّا رحيمًا غفورًا كريمًا يقبلُ توبةَ التَّائِبِينَ ويقبلُ عثراتِ العاثرينَ إذا لجؤوا إليه مخلصينَ صادقينَ.

وقد أخبرنا اللهُ عزَّ وجلَّ بأنَّه يحبُّ التَّوَّابِينَ مِنْ عِبَادِهِ؛ فقالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٤)، واللهُ يحبُّ من عبدهُ أَنَّهُ كَلَّمَا وَقَعَ فِي الذَّنْبِ يَتُوبُ إِلَيْهِ، فِي الصَّحِيحِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ

(١) سورة إبراهيم (الآية: ١٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرج البخاري برقم: (٧٤٩٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) سورة البقرة (الآية: ٢٢٢).

بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ
 بِالذَّنْبِ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، فَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ»^(١).

فَإِذَا وَقَعَ الْعَبْدُ فِي الذَّنْبِ وَتَابَ إِلَى اللَّهِ مُحَقِّقًا شُرُوطَ التَّوْبَةِ
 فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ مَا دَامَ صَادِقًا فِي تَوْبَتِهِ، لَكِنْ لَوْ جَاءَتْهُ لِحِظَةٌ
 ضَعْفِ نَفْسٍ فَوْقَ فِئَةِ الذَّنْبِ مَرَّةً أُخْرَى ثُمَّ تَابَ صَادِقًا، فَإِنَّ اللَّهَ
 يَتُوبُ عَلَيْهِ، وَمَهْمَا تَكَرَّرَ الذَّنْبُ وَتَكَرَّرَتْ مَعَهُ التَّوْبَةُ مُسْتَكْمَلَةً
 شُرُوطَهَا فَإِنَّ اللَّهَ **عَزَّ وَجَلَّ** يَتُوبُ عَلَيْهِ. وَالْأَفْضَلُ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا وَقَعَ فِي
 الذَّنْبِ يَتَوَضَّأُ ثُمَّ يَصَلِّي رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَيَتُوبُ إِلَيْهِ؛ لِقَوْلِهِ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا، فَيُحْسِنُ الطَّهَّورَ، ثُمَّ يَقُومُ
 فَيَصَلِّي رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ»^(٢).

وَيَشْتَرِطُ لِحِظَةِ التَّوْبَةِ ثَلَاثَةَ شُرُوطٍ:

١- الإِقْلَاعُ عَنِ الذَّنْبِ، فَلَا تَصِحُّ تَوْبَةٌ مَنْ هُوَ مُسْتَمِرٌّ عَلَى الْوُقُوعِ

فِي الذَّنْبِ.

(١) أخرجه البخاري برقم: (٧٥٠٧)، ومسلم برقم: (٢٧٥٨) من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٢) أخرجه أبو داود برقم: (١٥٢١) والترمذي برقم: (٤٠٦)، وقال الحافظ الذهبي في تذكرة

الحفاظ (١/ ١٤): «إسناده حسن».

٢- النَّدْمُ عَلَى مَا وَقَعَ مِنْهُ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «النَّدْمُ تَوْبَةٌ»^(١)
ثُمَّ إِنَّ النَّدْمَ يَدُلُّ عَلَى الصِّدْقِ فِي التَّوْبَةِ.

٣- العِزْمُ عَلَى الْأَيْعُودِ لِلذَّنْبِ مَرَّةً أُخْرَى، فَإِذَا تَابَ وَهُوَ عَازِمٌ
عَلَى الْعُودَةِ لِلذَّنْبِ فَلَا تَصِحُّ تَوْبَتُهُ؛ لِكَوْنِهِ غَيْرَ صَادِقٍ فِي تَوْبَتِهِ.

وَإِذَا كَانَ الذَّنْبُ مُتَعَلِّقًا بِحَقِّ آدَمِيٍّ فَيُضَافُ شَرْطُ رَابِعٍ وَهُوَ رَدُّ
الْحَقِّ لِصَاحِبِهِ إِنْ أَمَكَّنَهُ أَوْ التَّحَلُّلُ مِنْهُ.

وَاللَّهُ تَعَالَى يَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ إِذَا تَابَ إِلَيْهِ فَرَحًا عَظِيمًا، يَصِفُ
النَّبِيُّ ﷺ هَذَا الْفَرَحَ بِقَوْلِهِ: «اللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يُتُوبُ إِلَيْهِ،
مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَاَنْفَلَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ
وَشَرَابُهُ، فَأَيْسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجْرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيْسَ مِنْ
رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةٌ عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ
مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»^(٢).

(١) أخرجه أحمد برقم: (٣٥٦٨)، وابن ماجه برقم: (٤٢٥٢) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
وصححه ابن حبان في صحيحه برقم: (٦١٢)، وحسنه ابن حجر في فتح الباري
(٤٧١/١٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٧٤٧) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَأَيُّ فَرِحَةٍ تَعْدُلُ فَرِحَةَ هَذَا؟ وَلَوْ كَانَ فِي الْوُجُودِ فَرِحٌ أَعْظَمُ مِنْ فَرِحِ هَذَا لَمَثَّلَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَمَعَ ذَلِكَ فَفَرِحَ اللَّهُ تَعَالَى بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ إِذَا تَابَ إِلَيْهِ أَعْظَمُ مِنْ فَرِحِ هَذَا الرَّجُلِ بِرَاحِلَتِهِ»^(١)، هَذَا هُوَ الْكَرَمُ الْإِلَهِيُّ مِنْ هَذَا الرَّبِّ الْكَرِيمِ الْجَوَادِ، هَذَا الْفَرِحُ الْعَظِيمُ مِنَ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ يَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ رَحْمَةِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ وَعَلَى مَحَبَّتِهِ لِلْعَفْوِ، وَعَلَى عَظِيمِ فَضْلِهِ وَجُودِهِ وَكَرَمِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَإِلَّا فَإِنَّهُ سَبْحَانَهُ غِنِيٌّ عَنْ عِبَادِهِ، وَلَكِنْ لِعَظِيمِ إِحْسَانِهِ لِعِبَادِهِ وَلِمَحَبَّتِهِ لِلْعَفْوِ يَفْرِحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ هَذَا الْفَرِحُ الْعَظِيمُ الَّذِي وَصَفَهُ النَّبِيُّ ﷺ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا مَا قَدَّمْنَا وَمَا أَخَّرْنَا، وَمَا أَسْرَرْنَا وَمَا أَعْلَنَّا وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٢٣٤).

• الدَّرْسُ الثَّلَاثُونَ • فِي خَتَامِ الشَّهْرِ وَودَاعِ رَمَضَانَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَضَىٰ بِالْفَنَاءِ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الدَّارِ، وَتَوَحَّدَ
بِالْبَقَاءِ فَلَا يَعْتَرِي مَلَكُهُ زَوَالٌ وَلَا إِدْبَارٌ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا
مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَكُنَّا بِالْأَمْسِ الْقَرِيبِ نَسْتَقْبِلُ هَذَا الشَّهْرَ الْمُبَارَكَ، وَهَذَا نَحْنُ
نُودِعُهُ، فَمَا أَسْرَعَ مَرُورَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَهَكَذَا يَمُرُّ الْعَمْرُ وَيَتَصَرَّمُ،
وَالسَّعِيدُ مَنْ اغْتَنَمَ وَقْتَهُ فِيمَا يَنْفَعُهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَفِيمَا يَقْرُبُهُ إِلَىٰ
رَبِّهِ **عَزَّوَجَلَّ**، فَإِنَّ الْحَيَاةَ الْحَقِيقِيَّةَ إِنَّمَا هِيَ الْحَيَاةُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ،
يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَنْذَكُرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ۗ﴾ (٢٣) يَقُولُ
يَلِيَّتَنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي ﴿١﴾، وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ
لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٢).

(١) سورة الفجر (الآيتين: ٢٣-٢٤).

(٢) سورة العنكبوت (الآية: ٦٤).

هَذَا الشَّهْرُ قَدْ قَارَبَ رَحِيلُهُ وَهُوَ شَاهِدٌ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا بِمَا أَوْدَعْنَاهُ
مِنَ الْأَعْمَالِ، فَمَنْ أَوْدَعَهُ عَمَلًا صَالِحًا فليحمدِ اللهَ وليبشرْ بحسنِ
الثَّوَابِ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا، وَمَنْ أَوْدَعَهُ عَمَلًا
سَيِّئًا فليتبَّ إِلَى رَبِّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَى مَنْ تَابَ.

وَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَسْتَمِرَّ عَلَى مَا كَانَ يَعْمَلُهُ مِنْ أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ
فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَجْتَهِدُ فِي الْعِبَادَةِ فِي شَهْرِ
رَمَضَانَ، فَإِذَا انْقَضَى شَهْرُ رَمَضَانَ تَرَكَ هَذَا الْاجْتِهَادَ، وَرَجَعَ إِلَى مَا
كَانَ عَلَيْهِ مِنَ التَّقْصِيرِ قَبْلَ رَمَضَانَ، سُئِلَ بَعْضُ السَّلَفِ عَنْ قَوْمٍ لَا
يَعْرِفُونَ اللهَ إِلَّا فِي رَمَضَانَ، قَالَ: «بئسَ القومُ قومٌ لَا يَعْرِفُونَ اللهَ إِلَّا
فِي رَمَضَانَ»، وَرُبُّ رَمَضَانَ هُوَ رَبُّ شَوَّالٍ وَرُبُّ سَائِرِ الشُّهُورِ، فَلَمَّا
انْقَضَى شَهْرُ رَمَضَانَ فَإِنَّ عَمَلَ الْمُؤْمِنِ لَا يَنْقُضِي قَبْلَ الْمَوْتِ، قَالَ
اللهُ **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^(١)، فَلَمَّا انْقَضَى صِيَامُ
رَمَضَانَ، فَصِيَامُ النَّافِلَةِ مَفْتُوحٌ طَوَالَ السَّنَةِ، مَا عَدَا يَوْمِي الْعِيدَيْنِ

وَأَيَّامِ التَّشْرِيقِ، وَمَنْ ذَلِكَ صِيَامُ السَّتِّ مِنْ شَوَّالٍ فَعَنْ أَبِي أَيُّوبِ
الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا
مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ»^(١)، وَمَنْ ذَلِكَ: صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ
شَهْرٍ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلَاثٍ» وَذَكَرَ
مِنْهَا «صِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ»^(٢).

وَمَنْ ذَلِكَ صِيَامُ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ فَقَدْ سُئِلَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «ذَلِكَ
يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ وَيَوْمٌ بُعِثْتُ فِيهِ أَوْ أُنزِلَ عَلَيَّ فِيهِ»^(٣)، وَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ
عَرَفَةَ فَقَالَ: «يُكْفَرُ السَّنَةُ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ»، وَسُئِلَ عَنْ صِيَامِ عَاشُورَاءَ
فَقَالَ: «يُكْفَرُ السَّنَةُ الْمَاضِيَةَ»^(٤)، وَسُئِلَ: أَيُّ الصِّيَامِ أَفْضَلُ بَعْدَ شَهْرِ
رَمَضَانَ؟ قَالَ: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ صِيَامُ شَهْرِ اللَّهِ
الْمُحَرَّمِ»^(٥).

(١) أخرجه مسلم برقم: (١١٦٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (١١٧٨)، ومسلم برقم: (٧٢١).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١١٦٢) من حديث أبي قتادة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) المصدر السابق.

(٥) أخرجه مسلم برقم: (١١٦٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولئن انقضَى قِيامُ رمضانَ، فقيامُ اللَّياليِ مشروعٌ في جميعِ لياليِ
السَّنةِ ففي الصَّحيحينِ عن أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: أَنَّ رَسُولَ اللهِ **ﷺ**
قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ
اللَّيْلِ الْآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ
يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» (١).

والرَّوَاتِبُ التَّابِعَةُ لِلْفَرَائِضِ اثْنَتَا عَشْرَةَ رَكْعَةً: أَرْبَعٌ قَبْلَ الظُّهْرِ
وَرَكْعَتَانِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَانِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَرَكْعَتَانِ بَعْدَ الْعِشَاءِ،
وَرَكْعَتَانِ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، فَعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهَا** قَالَتْ: سَمِعْتُ
النَّبِيَّ **ﷺ** يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّيَ لِلَّهِ تَعَالَى كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ
رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ إِلَّا بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ» (٢).

وهكذا بالنسبة لبقية الأعمال الصالحة التي اعتادها المسلم
في رمضان، على المسلم أن يستمر عليها بعد رمضان.
وعلى المسلم في ختام هذا الشهر أن يسأل الله تعالى القبول فإن
الصالحين من سلف هذه الأمة يعملون الأعمال الصالحة العظيمة

(١) أخرجه البخاري برقم: (١١٤٥)، ومسلم برقم: (٧٥٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٧٢٨).

ويخشونَ أَلَّا يُتَقَبَّلَ مِنْهُمُ، رُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ: «يَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ هَذَا الْمَقْبُولُ فَهَنِيئِهِ، وَمَنْ هَذَا الْمَحْرُومُ فَعَزِيئِهِ» (١).

وينبغي للصائم مع ختام الشهر أن يكثر من التوبة والاستغفار فبهما تُخْتَمُ الأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ، كتبَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ رَحِمَهُ اللهُ إِلَى الأَمْصَارِ يَأْمُرُهُمْ بِخَتْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ بِالِاسْتِغْفَارِ وَصَدَقَةِ الْفِطْرِ (٢).

ويبدأ وقت التَّكْبِيرِ المَطْلُوقِ مِنْ غُرُوبِ شَمْسِ لَيْلَةِ العِيدِ إِلَى صَلَاةِ العِيدِ، وَهُوَ أَكْثَرُ مِنَ التَّكْبِيرِ لَيْلَةَ عِيدِ الأَضْحَى وَعَشْرَ ذِي الحِجَّةِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ الكَرِيمِ فَقَالَ: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَيْتَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٣)، وَمِنَ الأَوْقَاتِ المُنَاسِبَةِ لِإِظْهَارِ هَذِهِ الشَّعِيرَةِ: مَا بَيْنَ الأَذَانِ وَالِإِقَامَةِ.

(١) لطائف المعارف (ص: ٢١٠).

(٢) لطائف المعارف (ص: ٢١٤).

(٣) سورة البقرة (الآية: ١٨٥).

وعلى المسلم أن يحرصَ على صلاةِ العيدِ: وهي فرضٌ كفايةً،
 وأن يأخذَ زينتَهُ فيها ويلبسَ أحسنَ ملابسِهِ، وقد كانَ النبيُّ ﷺ
 يحرصُ على التَّجَمُّلِ ولبسِ أحسنِ ملابسِهِ يومَي العيدينِ، والسُّنَّةُ أنْ
 يأكلَ تمراتٍ وترًا قبلَ ذهابِهِ لمصلَّى العيدِ، وأن يذهبَ لمصلَّى العيدِ
 مِنْ طريقٍ ويعودَ لبيتهِ مِنْ طريقٍ آخَرَ كَمَا وردَ ذلكَ عنِ النبيِّ ﷺ (١).

اللَّهُمَّ اخْتَمْ لَنَا شَهْرَ رَمَضَانَ بِرِضْوَانِكَ، وَاْمَنْ عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ
 وَاْمْتِنَانِكَ، وَأَعِدْهُ عَلَيْنَا أَعْوَامًا عَدِيدَةً وَنَحْنُ عَلَى طَاعَتِكَ، وَاجْعَلْنَا
 مِمَّنْ صَامَهُ وَقَامَهُ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا فَغَفَرْتَ ذَنْبَهُ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِتْقَائِكَ
 مِنَ النَّارِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ.



• الدَّرْسُ الحَادِي والثَّلَاثُونَ •

أهُمِيَّةُ العِنَايَةِ بِتَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ وَصَفَاءِ العَقِيدَةِ

الحمدُ لله ذي العطاءِ والمننِ والجودِ، وصلى اللهُ على رسوله
محمدٍ صاحبِ المقامِ المحمودِ والحوضِ المورودِ، وعلى آله
وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا، وبعدُ:

فإنَّ أوجبَ الواجباتِ وأهمَّ المهمَّاتِ إخلاصُ العبادَةِ لله تعالى
وحدهُ وتحقيقُ التَّوْحِيدِ الَّذِي لَأَجْلِهِ أَرْسَلَ اللهُ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ الكُتُبَ
وهو حقُّ اللهُ الأعظمُ على عباده؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ
إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا
نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(٢) وقد دلَّتْ هذه الآيةُ على أنَّ
الحكمةَ من إرسالِ الرُّسُلِ هي تحقيقُ التَّوْحِيدِ وإخلاصُ العبادَةِ لله
وأنَّ هذا الدِّينَ هو أصلُ دينِ الأنبياءِ وإنَّ اختلافَ شرائعهم.

(١) سورة الذاريات (الآية: ٥٦).

(٢) سورة الأنبياء (الآية: ٢٥).

عن معاذِ بنِ جبلٍ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُعَاذُ، قُلْتَ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ قَالَ مِثْلَهُ ثَلَاثًا: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، فَقَالَ: يَا مُعَاذُ، قُلْتَ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟ أَلَا يُعَذِّبُهُمْ»^(١).

وعندما نتأمل أحوال الأمم السابقة التي بعث الله إليهم الأنبياء والرسل، نجد أنهم كانوا يعرفون أن الله تعالى هو الخالق، الرازق، المدبر لهذا الكون، كما قال سبحانه: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَإِنِّي يُؤَفِّكُونَ﴾^(٢)، ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِوْنَ﴾^(٣).

ولكن كان عند هذه الأمم انحرافٌ في العقيدة فأرسل الله تعالى الرسل، وأنزل الكتب لتصحح عقائدهم، وتخليصها من شوائب الشرك.

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٢٦٧)، ومسلم برقم: (٣٠).

(٢) سورة الزخرف (الآية: ٨٧).

(٣) سورة يونس (الآية: ٣١).

وَمِنْ هَذِهِ الانْحِرَافَاتِ أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّمَ اتَّخَذَتْ أَصْنَامًا وَتَمَاثِيلَ
تَتَقَرَّبُ إِلَيْهَا بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعِبَادَةِ وَكَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ هَذِهِ الْوَسَائِطَ
تَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ تَعَالَى، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا
عِنْدَ اللَّهِ﴾ (١)، وَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ
إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (٢)، فَأَرْسَلَ اللَّهُ الرَّسُلَ وَبَيَّنَّا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ
اتِّخَاذُ هَؤُلَاءِ الْوَسَائِطِ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ وَسَائِطٌ.

وَفِي وَقْتِنَا الْحَاضِرِ يُرَى فِي بَعْضِ الْبُلْدَانِ مَظَاهِرُ الشَّرِكِ الْأَكْبَرِ
نَفْسِهِ لَكِنْ اسْتَبَدَّلُوا التَّقَرُّبَ لِلْأَصْنَامِ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعِبَادَةِ بِالتَّقَرُّبِ
لِأَصْحَابِ الْقُبُورِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَطُوفُ بِالْقُبُورِ وَيَسْأَلُ أَصْحَابَهَا الْمَدَدَ
وَقَضَاءَ الْحَاجَاتِ وَتَفْرِيجَ الْكُرْبَاتِ، وَيَجْعَلُونَ هَذِهِ الْقُبُورَ وَسَائِطَ
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَهَذَا هُوَ الشَّرِكُ الْأَكْبَرُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَذْهَبُ إِلَى
السَّحَرَةِ وَالْمَشْعُودِينَ، أَوْ يَأْتِي الْعَرَّافِينَ وَالْمَنْجِمِينَ

(١) سُورَةُ يُونُسَ (الآيَةُ: ١٨).

(٢) سُورَةُ الزُّمَرِ (الآيَةُ: ٣).

ويقعُ في الشُّركِ بالدَّبْحِ لغيرِ اللهِ ونحوِ ذلكِ مِنَ المخالفاتِ الَّتِي
تناقُضُ أصلَ التَّوحيدِ.

وقد حذَرنا اللهُ سبحانه مِنَ الشُّركِ وَبَيَّنَ لَنَا أَنَّهُ أَعْظَمُ الذُّنُوبِ،
فَقَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿إِنَّهُ، مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ
النَّارُ﴾ (١)، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ
يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (٢)، ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ، وَهُوَ يَعِظُهُ،
يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (٣).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم
يَقُولُ: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهِ يُشْرِكُ بِهِ
دَخَلَ النَّارَ» (٤).

وَمَنْ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ فَمَالُهُ لِلْجَنَّةِ، حَتَّى وَإِنْ دَخَلَ النَّارَ وَعُذِّبَ
فِيهَا، فَلَنْ يُخَلَّدَ فِيهَا بَلْ سَيُخْرَجُ مِنْهَا وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ أَرْحَمِ

(١) سورة المائدة (الآية: ٧٢).

(٢) سورة النساء (الآية: ٤٨).

(٣) سورة لقمان (الآية: ١٣).

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٩٣).

الرَّاحِمِينَ، وَهَذِهِ هِيَ عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ أَصْحَابَ الْكِبَائِرِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ لَا يُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ.

فَمَنْ كَانَ مُحَقِّقًا لِلتَّوْحِيدِ فَهُوَ عَلَى خَيْرٍ وَإِلَى خَيْرٍ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «مَنْ لَقِيَني بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَقِيتهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً» (١).

وَلَكِنَّ الْمَصِيبَةَ فِيمَنْ وَقَعَ فِي الشُّرْكِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ دُخُولَ الْجَنَّةِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ (٢).

اللَّهُمَّ جَنَّبْنَا الشُّرْكَ مَا كَانَ ظَاهِرًا مِنْهُ وَمَا يَخْفَى، وَوَفَّقْنَا لِتَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ كَمَا تَحَبُّ وَتَرْضَى، وَيَسِّرْنَا لِلْيَسْرَى وَجَنَّبْنَا الْعَسْرَى، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٨٧) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) سورة المائدة (الآية: ٧٢).

• الدَّرْسُ الثَّانِي والثَّلَاثُونَ •

ثَمَرَاتُ الْإِحْسَانِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَرِيمِ الْجَوَادِ، الْمَلِكِ الَّذِي تَفَرَّدَ بِالْخَلْقِ وَالْإِيجَادِ،
وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَيْرِ الْعِبَادِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ
اهْتَدَى بِهِ يَوْمَ الْمَعَادِ، وَبَعْدُ:

فَإِنَّ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِعِبَادَتِهِ، وَأَخْبَرَ بَأَنَّهُ يَحِبُّ مَنْ
اتَّصَفَ بِهِ: الْإِحْسَانَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ﴾ (١)، وَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢).

وَقَدْ تَكَرَّرَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣)، فِي الْقُرْآنِ
الْعَظِيمِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ الْإِحْسَانِ، وَعَلَى عَظِيمِ
مَوْقِعِهِ مِنَ الدِّينِ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَحْرَصَ الْمُسْلِمُ عَلَى الْإِتِّصَافِ بِهِ،
حَتَّى يَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بَأَنَّهُ يَحِبُّهُمْ.

(١) سورة النحل (الآية: ٩٠).

(٢) سورة البقرة (الآية: ١٩٥).

(٣) سورة آل عمران (الآية: ١٣٤).

والإحسانُ يكونُ في عبادةِ اللهِ، ويكونُ في التعاملِ معَ الخلقِ.
 أمَّا الإحسانُ في عبادةِ اللهِ: فقد جاءَ في حديثِ جبريلَ الطَّويلِ،
 وجاءَ فيه أنَّ جبريلَ قالَ: ما الإحسانُ؟ فقالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الإحسانُ أنْ
 تَعْبُدَ اللهُ كأنَّكَ تَراهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فَإِنَّهُ يَراكَ»^(١)، فذكرَ مرتبتينِ
 للإحسانِ في عبادةِ اللهِ:

❖ **المرتبة الأولى:** مرتبة الطَّلبِ والسُّؤالِ، أنْ تَعْبُدَ اللهُ كأنَّكَ
 تَراهُ، فيستحضرُ العبدُ مراقبةَ اللهِ تعالى له، وإطلاعهُ عليه، فإذا قامَ
 إلى الصَّلاةِ مثلاً اجتهدَ في الخشوعِ فيها وكأنَّهُ يَرى اللهُ تعالى أمامَهُ،
 فيستحضرُ عندَ الرُّكوعِ الخُضوعَ لله، ويستحضرُ عندَ السُّجودِ أَنَّهُ
 سجدَ تعظيماً وخُضوعاً وتذللاً للرَّبِّ **جَلَّ جَلالُهُ**.

❖ **المرتبة الثانية:** مرتبة الخوفِ والهَرَبِ، وهي دونَ المرتبةِ
 الأولى، أي إنْ عجزتَ عنْ أنْ تَعْبُدَ اللهُ كأنَّكَ تَراهُ فاعبدهُ عبادةَ
 الخائفِ منه، فتعبدُ اللهُ تعالى وأنتَ تستحضرُ أنَّ اللهُ تعالى يَراكِ
 ويطلُّعُ عليكِ، فتستحي منْ نظَرِ اللهِ إليكِ، فإذا هممتَ بمعصيةٍ

(١) أخرجه البخاري برقم: (٤٧٧٧)، ومسلم برقم: (٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

تَذَكَّرْتَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرَاكَ فَتَرَكْتَهَا خَوْفًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «لَا تَجْعَلِ اللَّهَ تَعَالَى أَهْوَنَ النَّظَرِينَ إِلَيْكَ».

وَمِنْ أَعْظَمِ سَبَابِ عَدَمِ الْخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ أَوْ ضَعْفِهِ: غِيَابُ هَذِهِ الْمَعَانِي عَنِ الْمَصَلِّيِّ، وَإِلَّا فَالْمَصَلِّيُّ الَّذِي يَصَلِّي كَأَنَّهُ يَرَى اللَّهَ تَعَالَى أَمَامَهُ، وَيَسْتَحْضِرُ عَظِيمَ مَقَامِ الْمُنَاجَاةِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ الْعَالَمِينَ سَيُخْشَعُ فِي صَلَاتِهِ.

وَأَمَّا الْإِحْسَانُ إِلَى الْخَلْقِ؛ فَيَنْبَغِي أَنْ يَعُوذَ الْمُسْلِمُ نَفْسَهُ عَلَى الْبَدْلِ وَالْعَطَاءِ بِكُلِّ مَا يَسْتَطِيعُ، بِعِلْمِهِ وَمَالِهِ وَجَاهِهِ وَبَدَنِهِ.

وَيَتَأَكَّدُ الْإِحْسَانَ إِلَى ذَوِي الْحَاجَاتِ مِنَ الْيَتَامَى وَالْفُقَرَاءِ وَالْأَرَامِلِ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمُسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَكَالْقَائِمِ لَا يُفْتَرُ، وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ»^(١)، وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ فِي شَأْنِ كِفَالَةِ الْيَتَامَى: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا» وَأَشَارَ بِإصْبَعِيهِ السَّبَّابَةِ وَالْوَسْطَى^(٢).

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٠٠٧)، ومسلم برقم: (٢٩٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦٠٠٥) من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءني مسكينةٌ تحملُ ابنتينِ لها، فأطعمتها ثلاثَ تمراتٍ، فأعطتُ كلَّ واحدةٍ منهماَ تمرَةً، ورفعتُ إلىَ فيهاَ تمرَةً لتأكلها، فاستطعمتها ابتأها، فشقتِ التمرةَ، التي كانتُ تريدُ أنْ تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرتُ الذي صنعَ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ» (١).

مَا أَعْظَمَ جُودَ اللَّهِ تَعَالَى وَإِحْسَانَهُ لِعِبَادِهِ، بِسَبَبِ تَمْرَةٍ جَادَتْ بِهَا هَذِهِ الْمَرْأَةُ الْمَسْكِينَةَ إِلَى ابْتِنِهَا أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ.

وَيَتَأَكَّدُ الْإِحْسَانَ كَذَلِكَ فِي حَقِّ الْغَارِمِينَ الْمَدِينِينَ الَّذِينَ ابْتَلُوا بِتَرَائِكُمِ الدُّيُونِ عَلَيْهِمْ، وَأُودِعُوا فِي السُّجُونِ وَانْقَطَعُوا عَنْ أَطْفَالِهِمْ وَأَسْرِهِمْ ضَاقَتْ بِهِمُ الْحَيْلُ وَضَاقَتْ بِهِمْ أَنْفُسُهُمْ، وَرَبَّمَا بَعْضُهُمْ يَبْقَى قَابَعًا فِي السُّجْنِ لِسِنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ، فَمَا أَعْظَمَ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ وَتَسَبَّبَ فِي قِضَاءِ دِيُونِهِمْ بِنَفْسِهِ أَوْ بِجَاهِهِ وَشَفَاعَتِهِ، وَأَعَادَ هَذَا الْأَبَ الْمَسْكِينِ إِلَى أَطْفَالِهِ وَأَسْرَتِهِ، وَأَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الدَّائِنَ نَفْسَهُ يَحْسُنُ إِلَى هَذَا الْمَعْسِرِ، فَيَتَجَاوَزُ عَنْهُ وَيَسْقُطُ عَنْهُ الدُّيُونُ الَّتِي لَهُ فِي ذِمَّتِهِ ابْتِغَاءَ الْأَجْرِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٣٠).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوْجَدْ لَهُ مِنْ الْخَيْرِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غُلَمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ» (١).

وَمِمَّا يَتَأَكَّدُ الْإِحْسَانُ فِيهِ مَنْ لِلْإِنْسَانِ عَلَيْهِ سُلْطَةٌ مِنَ الْخِدْمِ وَالْعَمَالِ وَالسَّائِقِينَ وَنَحْوِهِمْ، فَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَحْتَقِرُهُمْ، وَيَتَعَامَلُ مَعَهُمْ بِفِظَاطَةٍ وَغِلْظَةٍ وَسُوءِ خَلْقٍ، وَرَبَّمَا بَخَسَهُمْ حَقُوقَهُمْ، وَهَذَا الَّذِي يَسِيءُ إِلَى هَؤُلَاءِ رَبَّمَا يَسْلُطُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَصَائِبِ وَالْبَلَايَا بِسَبَبِ ظَلْمِهِ وَإِسَاءَتِهِ لَهُمْ، وَإِذَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ أَوْصَى بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْمَمَالِكِ وَهُمْ مَمَالِكُ يَبَاعُونَ وَيَشْتَرُونَ! فَكَيْفَ بِهِؤُلَاءِ الْأَحْرَارِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَلْجَأَهُمُ الْفَقْرُ وَالْحَاجَةُ لِلْعَمَلِ عِنْدَكَ! يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي شَأْنِ الْإِحْسَانِ لِلْمَمَالِكِ: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ (٢)، وَمَنْ بَخَسَ حَقًّا لِعَامِلٍ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَكُونُ خَصْمَهُ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ بِرَقْمِ: (١٥٦١).

(٢) سُورَةُ النِّسَاءِ (الآيَةُ: ٣٦).

يومَ القيامةِ، يقولُ النبيُّ ﷺ: «قَالَ اللهُ: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»
وذكرَ منهمُ: «وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ»^(١).

والإحسانُ لهُ مجالاتٌ عديدةٌ، ترجعُ هذهِ المجالاتُ إلى
الإحسانِ بالقولِ، وإلى الإحسانِ بالفعلِ، وإلى الإحسانِ بالمالِ.

فالإحسانُ بالقولِ: بأن يختارَ الإنسانُ أطيَبَ الكلامِ، قالَ تعالى:

﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ﴾^(٢)، فيعودُ

الإنسانُ لسانَهُ على ألا يتكلَّم إلا بالجميلِ مِنَ القولِ معَ جميعِ
النَّاسِ، ويتأكَّدُ ذلكَ في حقِّ مَنْ لهُ عليهِ حقٌّ كالوالدينِ، فإنَّ اللهَ

تعالى قالَ: ﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾^(٣).

وأما الإحسانُ بالفعلِ: فبأن يعاملَ الإنسانُ النَّاسَ بمثلِ ما يحبُّ

أن يعاملوهُ بهِ، فكَمَا يحبُّ أن يعاملوهُ بهِ بالإكرامِ والاحترامِ
فيعاملهمُ كذلكَ.

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٢٢٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) سورة الإسراء (الآية: ٥٣).

(٣) سورة الإسراء (الآية: ٢٣).

وَأَمَّا الْإِحْسَانُ بِالْمَالِ: فَيَكُونُ بِمُسَاعَدَةِ ذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْ
الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْأَرَامِلِ وَنَحْوِهِمْ.

وَمِنْ صُورِ الْإِحْسَانِ فِي رَمَضَانَ: تَفْطِيرُ الصَّائِمِينَ فَمَنْ يَدْفَعُ قِيَمَةَ
التَّفْطِيرِ فَهُوَ مُحْسِنٌ، وَمَنْ يَقُمْ بِالْخِدْمَةِ وَالْإِشْرَافِ عَلَى مَوَائِدِ
التَّفْطِيرِ فَهُوَ مُحْسِنٌ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ تَحِبُّهُمْ وَوَفَّقْنَا لِمَا تَحِبُّ
وَتَرْضَى مِنْ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ.



• الدَّرْسُ الثَّلَاثُ وَالثَّلَاثُونَ •

ثَمَرَاتُ التَّقْوَى

الحمدُ لله الَّذِي جعلَ التَّقْوَى سبيلَ نِجَاةِ الْعَالَمِينَ، ووصَّى بِهَا
الأوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وأخبرَ بِأَنَّهُ يَحِبُّ عِبَادَهُ الْمُتَّقِينَ، وَالصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ إِمَامِ الْمُتَّقِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْغُرِّ
الْمِيَامِينَ، أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ التَّقْوَى وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلأوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ (١).
وَهِيَ مِنْ أَوَّلِ مَا دَعَا بِهِ الْمُرْسَلُونَ أَقْوَامَهُمْ، كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى
ذَلِكَ عَنْ رَسَلِهِ:

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٢)، ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٣)،
﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٤)، ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٥).

(١) سورة النساء (الآية: ١٣١).

(٢) سورة الشعراء (الآية: ١٠٦).

(٣) سورة الشعراء (الآية: ١٢٤).

(٤) سورة الشعراء (الآية: ١٦١).

(٥) سورة الشعراء (الآية: ١٧٧).

وأمر الله بها نبيه ﷺ، فقال سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ
الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ (١).

وكان النبي ﷺ يوصي أصحابه في خطبه ومواعظه؛ بتقوى الله
عزَّ وجلَّ.

وقد تكرر الأمر بالتقوى في القرآن الكريم كثيراً، حتى قيل: إن
الله تعالى لم يكرر الأمر بشيءٍ كما كرر الأمر بالتقوى.

وأنت أخي في الله: لا يكاد يمرُّ عليك عددٌ من الأيامِ إلاَّ ويطرقُ
سمعَكَ الأمرُ بتقوى الله تعالى، في قراءتك للقرآن الكريم، أو في
قراءتك للسُّنة النبويَّة، أو في خطبة جمعةٍ أو غيرها. ولا شكَّ أنَّ
تكرَّرَ هذا الأمرِ وتردُّده، وعناية الله تعالى به، واتِّفاق الرُّسلِ في
دعوة أقوامهم إليه - يستدعي أن يقفَ عنده المسلمُ ويتأملهُ ويتعرَّفَ
على فضله، وعلى صفاتِ أهله عسى أن يكونَ من المتَّقينَ الفائزينَ.
ومعنى التقوى: أن يجعلَ بينه وبينَ ما يخشاهُ من غضبِ الله تعالى
وسخطه وعقابه وقايةً بفعلِ أوامره، واجتنابِ نواهيه رغبةً ورهبةً.

وتقوى الله يحتاجها العبدُ كلَّ حينٍ وفي أيِّ مكانٍ؛ ولهذا قال
النَّبِيُّ ﷺ لمعاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولكلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا
كُنْتَ» (١).

تقوى الله محلُّها القلبُ، كما قال النَّبِيُّ ﷺ: «التَّقْوَى هَاهُنَا»
ويشيرُ إلى صدره (٢)، ولكنَّ يظهرُ أثرها على الجوارح، وبهذا يتبيَّنُ
خطأَ الَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّ تقوى الله تعالى هي الشُّعورُ الكامنُ في القلبِ
الَّذِي لَا يتدخَّلُ في شؤونِ الجوارحِ، فتجدُ صاحبَ هذا الظنِّ يقصُرُ
في الطَّاعاتِ، ويقعُ في أنواعٍ مِنَ المنكراتِ، ثمَّ إذا قيلَ له: اتَّقِ اللهَ،
قالَ: التَّقْوَى هَاهُنَا، وأشارَ إلى صدره. وهذه كلمةٌ حقٌّ أريدَ بها
باطلٌ، فإنَّ ما في القلبِ لَا بدَّ أنْ يظهرَ أثره على الجوارحِ، وكما
قيلَ: «كُلُّ إناءٍ بما فيه ينضحُ»؛ فمنَّ كانتِ التَّقْوَى تعمُرُ قلبه لَا بدَّ أنْ
يظهرَ أثرها على الجوارحِ في تعبُّدهِ لله عزَّ وجلَّ، وفي سمِّته، وفي
سلوكه، وفي تعامله مع الآخرين.

(١) أخرجه الترمذي برقم: (١٩٨٧) وقال: «حديث حسن صحيح».

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وتقوى الله سبحانه إذا استقرت في القلوب، وارتسمت بها الأقوال والأعمال والأحوال؛ أثمرت وأعقبت من الفضائل والفوائد والثمار شيئاً كثيراً تصلح به الدنيا والآخرة، ومن أبرز ثمرات التقوى:

١- أن العبد ينال بها محبة الله سبحانه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ

يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (١).

٢- نيل مرضاة الله وجنته، كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ

الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ نُوَفِّهِمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢).

٣- أنها من أعظم أسباب مغفرة الذنوب وصلاح الأعمال، كما

قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣).

(١) سورة التوبة (الآية: ٤).

(٢) سورة النحل (الآيتين: ٣١-٣٢).

(٣) سورة الأحزاب (الآيتين: ٧٠-٧١).

٤- أَنْ أَهْلَ التَّقْوَى هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا
إِنَّكَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا
بَدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١﴾.

أخبر الله تعالى بأنَّ لهمُ البُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ:
أَمَّا الَّذِي فِي الْآخِرَةِ: فالمرادُ بها الْجَنَّةُ الَّتِي فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ
وَتَلذُّ الْأَعْيُنُ.

وَأَمَّا الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا: فتشملُ أمورًا كثيرةً منها: حَسَنُ
السُّمْعَةِ وَمَحَبَّةُ النَّاسِ؛ وَقَدْ قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ
الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ، قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى
الْمُؤْمِنِ»^(٢)، فَمِنْ عَاجِلِ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ: أَنْ يُلْقِيَ اللَّهَ تَعَالَى مُحَبَّةً
هَذَا الْإِنْسَانِ فِي قُلُوبِ النَّاسِ، وَيُنَالُ أَحْرَامَهُمْ وَتَوْقِيرَهُمْ.

وَمِنْ عَاجِلِ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ: الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُؤْمِنُ، أَوْ
تُرَى لَهُ.

(١) سورة يونس (الآيات: ٦٢-٦٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٤٢) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

وَمِنْ عَاجِلِ بَشْرَى الْمُؤْمِنِ: تيسيرُ أمورِهِ، وَسَوْقُ الرِّزْقِ لَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ.

٥- أَنَّهَا مِيزَانُ الْكِرَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقَكُمْ﴾^(١)؛ فليسَ مِيزَانُ الْكِرَامَةِ الْحَسَبَ وَلَا النَّسَبَ، وَلَا الْمَالَ، إِنَّمَا التَّقْوَى، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ»^(٢).

٦- السَّعَةُ فِي الرِّزْقِ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَرْزُقُ الْمُتَّقِيَ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَمِنْ رِزْقِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٣).

٧- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبَارِكُ لِلْمُتَّقِي فِي رِزْقِهِ، وَيَنْزِلُ عَلَيْهِ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(٤).

(١) سورة الحجرات (الآية: ١٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٣٣٥٣)، ومسلم برقم: (٢٣٧٨).

(٣) سورة الطلاق (الآيتين: ٢-٣).

(٤) سورة الأعراف (الآية: ٩٦).

٨- أَنَّهَا سَبَبٌ لَتَيْسِيرِ الْعَسِيرِ، وَتَفْرِيجِ الْكُرُوبِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾^(١)، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾^(٢).

والتَّقْوَى هُوَ الَّذِي لِأَجْلِهِ شُرِعَ الصَّيَامُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣)، فَبَيْنَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ فَرَضَ الصَّيَامَ لِأَجْلِ تَحْقِيقِ التَّقْوَى.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُتَّقِينَ وَاسْتَعْمَلْنَا فِي طَاعَتِكَ وَأَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحَسَنِ عِبَادَتِكَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) سورة الطلاق (الآية: ٢).

(٢) سورة الطلاق (الآية: ٤).

(٣) سورة البقرة (الآية: ١٨٣).

• الدَّرْسُ الرَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ •

أسبابُ الثَّباتِ عَلَى الاستقامةِ

الحمدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَعَلَى
آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، أَمَّا بَعْدُ:

فَنَسْمَعُ بِأَشْخَاصٍ كَانُوا عَلَى جَانِبٍ مِنَ الْخَيْرِ وَالصَّالِحِ
وَالاستقامةِ، إِذَا رَأَيْتَهُمْ أَعْجَبَكَ سَمْتُهُمْ وَأَعْجَبَتْكَ أَحْوَالُهُمْ
وَصَلَاحُهُمْ، ثُمَّ إِذَا بَكَ تُفَاجَأُ إِذَا رَأَيْتَهُمْ بَعْدَ مَدَّةٍ مِنَ الزَّمَنِ بِأَنَّ
أَحْوَالَهُمْ قَدْ تَغَيَّرَتْ، وَإِذَا بِهِمْ قَدْ انضَمُّوا إِلَى رُكْبِ الْمَتَسَاقِطِينَ عَنِ
طَرِيقِ الاستقامةِ، فَمَا السَّبَبُ فِي انْتِكَاسِهِ هَؤُلَاءِ، وَتَبَدُّلِ أَحْوَالِهِمْ؟
إِنَّهَا الْفِتْنَةُ، إِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يُفْتَنُ عَنِ طَرِيقِ الْخَيْرِ وَالاستقامةِ.

وإنَّا نعيشُ في زمانٍ قد كثرَتْ فيه الفتنُ بأنواعِهَا: فتنُ شهواتٍ، وفتنُ شبهاةٍ، وقد أخبرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في أحاديثٍ كثيرةٍ عنِ الفتنِ، وأخبرَ بأنَّ مِنْ أشرارِ السَّاعةِ ظهورَ الفتنِ، ولهذا فإنَّ هذا الموضوعَ في غايةِ الأهميَّةِ، فينبغي للمسلمِ أن يتعرَّفَ على حقيقةِ هذه الفتنِ وسبلِ الوقايةِ منها.

وأبرزُ أسبابِ الثَّباتِ على الاستقامةِ :

١- قراءةُ القرآنِ الكريمِ وتدبُّرُ معانيه، قال اللهُ عَزَّجَلَّ في وصفِ المؤمنينَ الصَّادقينَ: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾^(١)، قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللهُ: «فليسَ شيءٌ أنفعُ للعبدِ في معاشِهِ ومعادِهِ، وأقربَ إلى نجاتِهِ مِنْ تدبُّرِ القرآنِ وإطالةِ التَّأمُلِ وجمعِ الفكرِ على معاني آياتِهِ، فإنَّهَا تُطَلِّعُ العبدَ على معالمِ الخيرِ والشَّرِّ بحذافيرِهَا، وعلى طرقاتِهِمَا وأسبابِهِمَا وغاياتِهِمَا وثمراتِهِمَا ومآلِ أهْلِهِمَا»^(٢).

(١) سورة الأنفال (الآية: ٢).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٨٤).

٢- الارتباطُ بالصُّحْبَةِ الصَّالِحَةِ، فالإنسانُ بطبعِهِ يتأثَّرُ بجلِساتِهِ
 وبمنْ حوله، ولهذا لو اختارَ الإنسانُ جلساءَ صالحينَ فإنه لا بدَّ أنْ
 يتأثَّرَ بِصَلاحِهِمْ، وإنْ جلسَ معَ جلساءَ سيِّئينَ فلا بدَّ أنْ يتأثَّرَ بِهِمْ،
 ويقالُ: إنَّ أيَّ إنسانٍ يتأثَّرُ بأكثرِ خمسةِ جلساءٍ يجالسُهُمْ، وقد مثَّلَ
 النَّبِيُّ ﷺ للجلِيسِ الصَّالِحِ والجلِيسِ السَّيِّئِ بِقولِهِ: «إِنَّمَا مَثَلُ
 الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمَسْكِ، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ
 فَحَامِلُ الْمَسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ
 رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا
 خَبِيثَةً» (١).

٣- ما جاءَ فِي الحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَحْفَظِ اللَّهَ
 يَحْفَظُكَ» (٢)، وحفظُ اللَّهِ تعالى يَكونُ بطاعَتِهِ واجتنابِ معصِيَتِهِ أي
 أنْ يَكونَ صادقًا فِي تَدْيِينِهِ، فَمَنْ كانَ صادقًا معَ اللَّهِ فِي تَدْيِينِهِ فإنَّ اللَّهَ
 تعالى يَحْفَظُهُ فِي أمورِ دينِهِ ودنْيائِهِ، وحفظُ الدِّينِ أَشْرَفُ مِنْ حَفْظِ
 الدُّنْيَا، وحفظُ دينِهِ يعني أنَّ اللَّهَ تعالى يَثْبِتُهُ ويعصمُهُ مِنَ الفتنِ، ولهذا

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٥٣٤)، ومسلم برقم: (٢٦٢٨) من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي برقم: (٢٥١٦) وقال: «حديث حسن صحيح»، من حديث ابن عباس

فإنَّ معظمَ مَنْ يَقَعُ فِي الفِتْنَةِ عِنْدَهُ خَلْلٌ فِي تَدْيِينِهِ، وَإِلَّا لَوْ كَانَ صَادِقًا مَعَ رَبِّهِ لَحَفِظَ اللهُ عَلَيْهِ دِينَهُ وَعَصَمَهُ مِنَ الفِتَنِ.

٤- كثرةُ ذِكْرِ اللهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا

كَثِيرًا﴾^(١)، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»^(٢) وكثرةُ ذِكْرِ اللهِ تَجْعَلُ العَبْدَ يَرْتَبِطُ بِرَبِّهِ، وَيَقْلُ تَعَلُّقُهُ بِالحَيَاةِ المَادِيَّةِ، وَهَذَا مِمَّا يَعِينُهُ عَلَى الثَّبَاتِ عَلَى الاستِقَامَةِ.

٥- الدُّعَاءُ، فَيُنْبَغِي للمُسْلِمِ أَنْ يَسْأَلَ اللهُ كُلَّ يَوْمٍ الثَّبَاتَ عَلَى دِينِهِ،

وَأَنْ يَقُولَ: يَا مَقْلَبَ القُلُوبِ، ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، وَيَا مَصْرَفَ القُلُوبِ، صَرَّفْ قَلْبِي عَلَى طَاعَتِكَ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْنِي بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ، رَبِّ لَا تَزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ، وَأَنْ يَسْتَعِيدَ بِاللهِ مِنَ الفِتَنِ وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ»^(٣)، وَالإنْسَانُ

(١) سورة الأحزاب (الآية: ٤١).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦٤٠٧).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٨٦٧) من حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

يَبْقَى ضَعِيفًا وَقَدْ يَقَعُ فِي الْفِتْنَةِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ، وَقَدْ تَعْتَرِيهِ حَالَةٌ
ضَعْفٍ فَيَقَعُ فِي الْفِتْنَةِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَضْرَعَ إِلَى
اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَيَسْأَلَهُ الثَّبَاتَ وَأَنْ يَجَنِّبَهُ الْفِتْنَ.

٦- عَدَمُ التَّعَرُّضِ لِلْفِتَنِ، وَالِابْتِعَادُ عَنْهَا وَعَنْ أَسْبَابِهَا، قَالَ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «سَتَكُونُ فِتْنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ
فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا
تَسْتَشْرِفُهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيُعِذْ بِهِ»^(١)، أَي: مَنْ يَتَطَلَّعَ لَهَا
يَقَعُ فِيهَا. وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ سَمِعَ بِالِدَّجَالِ فَلْيُنَأْ عَنْهُ»^(٢) وَالْمَعْنَى مَنْ
سَمِعَ بِالِدَّجَالِ فَلْيَبْتَغِ عَنْهُ، وَهَذَا أَصْلُ فِي الْابْتِعَادِ عَنِ الْفِتَنِ فَلَا
يَتَعَرَّضُ الْمُسْلِمُ لِلْفِتَنِ، وَلَا يَسْتَشْرِفُ لَهَا.

٧- قِيَامُ اللَّيْلِ، فَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ بِمِثَابَةِ الْوَقُودِ الرَّوْحِيِّ لِلْمُسْلِمِ
يَخْلُو فِيهِ بَرَّبُّهُ وَيُنَاجِيهِ وَيَدْعُوهُ وَيَسْتَغْفِرُهُ، فَالْمَحَافِظَةُ عَلَيْهِ مِنْ أَعْظَمِ
أَسْبَابِ الثَّبَاتِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ بِرَقْمٍ: (٣٦٠١)، وَمُسْلِمٌ بِرَقْمٍ: (٢٨٨٦) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بِرَقْمٍ: (٤٣١٩)، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ: (٥١٣/٤) وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ
صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يَخْرُجْ جَاهٌ».

رَبَّنَا لَا تَزُغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ
أَنْتَ الْوَهَّابُ، وَثَبَّتْنَا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



• الدَّرْسُ الْخَامِسُ وَالثَّلَاثُونَ •

المرأة المسلمة في رمضان

الحمدُ لله الكبيرِ المتعالِ، جعلَ النساءِ شقائقَ الرِّجالِ، والصَّلَاةُ
والسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَفْضَلُ أَصْحَابِ وَآلٍ،
وبعد:

فإنَّ الإسلامَ قد أكرمَ المرأةَ، وصانَ لها حقوقَها، وقد كانت في
الجاهليَّةِ مبتذلةً محتقرةً، وكانوا يحرمونها من الميراثِ، فأعزَّها اللهُ
بدينِ الإسلامِ، فجعلها الأمَّ الواجبَ على أولادها برُّها والإحسانُ
إليها، والبنتَ والأختَ والعمةَ والخالةَ الواجبَ صلتها، والزَّوجةَ
الواجبَ معاشرتها بالمعروفِ، وكلَّما تقدَّم السنُّ بالمرأة زادَ احترامُ
المجتمعِ المسلمِ لها، وانظرْ إلى المرأةِ الكبيرةِ أيَّامَ الأعيادِ كيفَ
أنَّها تكونُ محلَّ حفاوةٍ كبيرةٍ من أولادها وأحفادها وأقاربها.

والنساءُ شقائقُ الرِّجالِ، والأصلُ أنهنَّ يجبُ عليهنَّ من
العباداتِ ما يجبُ على الرِّجالِ إلا ما خصَّه الدليلُ، فالصَّلَاةُ التي

فرضها اللهُ تعالى مُكَلَّفٌ بها الرِّجالُ والنِّساءُ، والزَّكاةُ والصَّيامُ
والحجُّ وغيرُها مِنَ العباداتِ.

والمرأةُ تشتركُ معَ الرَّجلِ في تفاصيلِ أحكامِ الصَّيامِ، وتنفرُ
عنِ الرَّجلِ بوجوبِ الفطرِ عندَ خروجِ دمِ الحيضِ أوِ النَّفاسِ، ومتى
رأتِ المرأةُ دمَ الحيضِ أوِ النَّفاسِ، فسَدَ صومُها، سواءً كانَ ذلكَ في
أولِ النَّهارِ أم في آخرِهِ، حتَّى ولو كانَ قبلَ غروبِ الشَّمسِ بلحظةٍ،
أمَّا إذا أَحَسَّتْ بانتقالِ الدَّمِ لکنَّهُ لم يبرزْ إلا بعدَ الغروبِ، فإنَّ
صومَها صحيحٌ.

والمرضعُ والحاملُ يجوزُ لهُما الفطرُ في نهارِ رمضانَ إذا
احتاجتا لذلكَ، وإذا أفطرتا فإنَّهما تقضيانِ ما أفطرتاهُ، ولا يلزمُهُما
الإطعامُ على القولِ الرَّاجحِ؛ لقولِ اللهِ تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا
أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(١)، وهذا اختيارُ الشَّيخِ عبدِ العزيزِ
ابنِ بازٍ^(٢)، والشَّيخِ محمَّدِ بنِ عثيمين^(٣) رحمَهُما اللهُ تعالى.

(١) سورة البقرة (الآية: ١٨٥).

(٢) ينظر: مجموع فتاوى ابن باز (١٥/٢٢٣، ٢٢٧).

(٣) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٩/١٥٩-١٦٠).

وصلاة التراويح مشروعة للمرأة كالرجل، وصلاتها في بيتها أفضل؛ لقول النبي ﷺ: «وَبَيْوتُهُنَّ خَيْرٌ لَّهُنَّ»^(١)، لكن إذا كانت المرأة تنشط في صلاتها في المسجد أكثر من صلاتها في البيت فصلاتها في المسجد أفضل، وقد يعرض للمفضول ما يجعله أفضل من الفاضل، وليس لزوجها أن يمنعها من الصلاة في المسجد لقول النبي ﷺ: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ»^(٢).

وعلى المرأة أن تحرص على اللباس المحتشم الساتر الذي لا يبيدي مفاتنها، وجمال المرأة في حجابها وسترها وعفتها، ولذلك عندما تمتدح المرأة يقال: فلانة امرأة حريصة على الحجاب، وعندما تذكر العيوب يقال: فلانة متساهلة في الحجاب.

وقد عيّنت الشريعة الإسلامية بقضية حجاب المرأة عناية كبيرة، ولما رخص الله للعجائز أن يضعن ثيابهن اشترط لذلك أن يكن غير متبرجات بزينة فقال: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا

(١) أخرجه أبو داود برقم: (٥٦٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وصححه ابن خزيمة في صحيحه برقم: (١٦٨٤)، والنووي في خلاصة الأحكام برقم: (٢٣٥١).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٩٠٠)، ومسلم برقم: (٤٤٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ ﴿١﴾.

فإذا كانَ هذا في شأنِ العجائزِ اللَّاتي بلغنَ إلى درجةِ أنهنَّ لا يرجونَ النِّكاحَ، ومعَ ذلكَ شرطَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لوضعِ ثيابهنَّ أنَ يكنَّ غيرَ متبرِّجاتٍ بزينةٍ، ومعَ ذلكَ قالَ ربُّنا: ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾.

وعلى المرأةِ المسلمةِ أنَ تستحضرَ بأنَّ الحجابَ عبادةٌ تتقربُ بهِ إلى ربِّها عَزَّوَجَلَّ، وليسَ مجردَ عادةٍ.

ومنَ المسائلِ المتعلِّقةِ بالمرأةِ في شهرِ رمضانَ: انشغالُ المرأةِ أغلبَ وقتها في إعدادِ الطَّعامِ، وهي معَ النِّيَّةِ الصَّالحةِ مأجورةٌ على ذلكَ، لكنْ معَ الانشغالِ بإعدادِ الطَّعامِ ينبغي أنَ تغتنمَ هذا الوقتَ في ذكرِ اللهِ سبحانه، فتُشغَلُ نفسُها بالتَّسبيحِ والتَّحميدِ والتَّهليلِ والتَّكبيرِ، وخاصَّةً في رمضانَ، فإذا فعلتَ ذلكَ فإنَّها يكونُ لها أجرُ الذِّكرِ، وأجرُ القيامِ بشؤونِ زوجِها وأولادِها.

ومن المسائل المتعلقة بالمرأة في رمضان: أن المرأة إذا أتتها الحيض أو النفاس فينبغي ألا تنقطع عن العبادة التي ليست ممنوعة منها، فالحائض في رمضان هي كغير الحائض إلا أنها لا تصلي ولا تصوم، فينبغي أن تشتغل بالذكر من التسيح والتحميد والتهليل والتكبير والصلاة على النبي ﷺ والدعاء، وكذلك قراءة القرآن. فإن الحائض ليست ممنوعة من قراءة القرآن على القول الراجح، لكن ليس لها أن تمس المصحف إلا من وراء حائل كالفازين.

اللهم بارك لنا في نساءنا، واجعلن من الصالحات القانتات، وبارك لنا في أولادنا وأعمارنا، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

وصلّى الله وسلّم وبارك على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه

أجمعين.



• الدُّرُسُ السَّادِسُ وَالثَّلَاثُونَ •

أَهْمِيَّةُ الصَّلَاةِ وَعَظِيمُ مَنْزِلَتِهَا فِي الدِّينِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الصَّلَاةَ عَمُودَ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَوَعَدَ
الْمُحَافِظِينَ عَلَيْهَا بِالثَّوَابِ الْعَظِيمِ وَالْأَجْرِ التَّامِّ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ
عَلَى خَيْرِ الْأَنْبَاءِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْكِرَامِ، وَبَعْدَ:

فَإِنَّ عَمُودَ دِينِ الْإِسْلَامِ وَأَكْدُ أَرْكَانِهِ - بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ - الصَّلَاةُ،
وَهِيَ أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ مِنْ أَعْمَالِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنْ صَلَحَتْ
صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ.

وَهِيَ أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَفِي الصَّحِيحِينَ عَنِ
ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟
قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَيَّ وَقَتِهَا»^(١).

وَهِيَ الصَّلَاةُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ، فَمَنْ قَطَعَ هَذِهِ الصَّلَاةَ وَلَمْ يَرْكَعْ لِلَّهِ
رُكْعَةً مِنْ جَمَاعَةٍ أَوْ جَمَاعَةٍ فَقَدْ خَرَجَ عَنْ دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ، يَقُولُ اللَّهُ

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٢٧)، ومسلم برقم: (٨٥).

تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ (٥٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴿١١﴾، فتأمل قول الله: ﴿وَأَمِنْ﴾
ففيه إشارةٌ إلى أن من أضاع الصلاة فليس بمؤمنٍ.

ويقول النبي ﷺ: «العهدُ الذي بيننا وبينهم الصلاةُ فمن تركها فقد كفر» (٢)، ويقول: «إنَّ بينَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ» (٣).

وقد نقلَ التابعيُّ الجليلُ عبدُ اللهِ بنُ شقيقٍ عن أصحابِ النبي ﷺ أنهم كانوا لا يرونَ شيئاً من الأعمالِ تركُهُ كفرٌ غيرَ الصلاةِ (٤)، ونقلَ إسحاقُ بنُ راهويه الإجماعَ من زمنِ الصحابةِ إلى زمنِهِ على كفرِ تاركِ الصلاةِ (٥).

(١) سورة مريم (الآيتين: ٥٩-٦٠).

(٢) أخرجه الترمذي برقم: (٢٦٢١)، والنسائي برقم: (٤٦٣)، وابن ماجه برقم: (١٠٧٩) من

حديث بريدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وصححه ابن حبان

في صحيحه برقم: (١٤٥٤)، والحاكم في المستدرک برقم: (١١).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٨٢) من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه الترمذي برقم: (٢٦٢٢).

(٥) ينظر: تعظيم قدر الصلاة (٢/٩٢٩).

وَإِنَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى عِنَايَةِ الشَّرِيعَةِ بِهَذِهِ الْعِبَادَةِ لَا يَعْجَبُ حِينَمَا يُقَالُ: إِنَّ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ بِالْكُلِّيَّةِ فَقَدْ كَفَرَ وَخَرَجَ عَنْ دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ. وَمَنْ كَانَ يَصَلِّي أحيانًا وَيَتْرُكُ الصَّلَاةَ أحيانًا، فَلَا يَكْفُرُ عَلَى الْقَوْلِ الرَّاجِحِ، لَكِنَّهُ يَكُونُ مِنَ السَّاهِينَ الَّذِينَ تَوَعَّدَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (١).

■ وَمِنْ عِنَايَةِ الشَّرِيعَةِ بِهَذِهِ الْعِبَادَةِ الْعَظِيمَةِ؛ أَنَّهَا أَوَّلُ مَا فُرِضَتْ فُرِضَتْ فِي السَّمَاءِ، فَأُسْرِيَ بِنَبِيِّنا ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى جَاوَزَ السَّبْعَ الطَّبَاقَ، وَحَتَّى وَصَلَ إِلَى سَدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَفَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أُمَّتِهِ هَذِهِ الْعِبَادَةَ الْعَظِيمَةَ، وَلَمَّا فَرَضَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى أُمَّتِهِ فَرَضَهَا خَمْسِينَ صَلَاةً فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، وَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ قَيَّضَ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَسَأَلَ نَبِيَّنا ﷺ مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ؟ قَالَ: «خَمْسِينَ صَلَاةً فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، قَالَ مُوسَى: إِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ

قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، وَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَطِيقُ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ»، فكانَ في هَذَا رَحْمَةً بِهَذِهِ الْأُمَّةِ، وَكَانَتْ مَشُورَةً عَظِيمَةً مِنْ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِنَبِيِّنَا ﷺ فَارْجِعْ نَبِينَا ﷺ إِلَى الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ فَسَأَلَهُ التَّخْفِيفَ عَنْ أُمَّتِهِ، فَحَطَّ عَنْهُ عَشْرًا، ثُمَّ مَا زَالَ يَرِاجِعُ رَبَّهُ حَتَّى أَصْبَحَتْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، فَقَالَ مُوسَى: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ، فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي، وَأَجْرِي الْحَسَنَةَ عَشْرًا»^(١)، فَهِيَ خَمْسٌ فِي الْفِعْلِ، خَمْسُونَ فِي الْمِيزَانِ، فَكَانَ التَّخْفِيفُ إِنَّمَا هُوَ تَخْفِيفٌ فِي الْفِعْلِ، وَأَمَّا فِي الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ فَإِنَّهَا لَمْ تُخَفَّفْ، فَأَجْرُ هَذِهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ الَّتِي نَصَلِّيْهَا أَجْرُ خَمْسِينَ صَلَاةً، ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ التَّضْعِيفُ، الْحَسَنَةُ بَعَشْرٍ أَمْثَالِهَا إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ.

فَانظُرُوا إِلَى الْعَنَايَةِ الْعَظِيمَةِ بِهَذِهِ الْعِبَادَةِ، وَيُظْهِرُ ذَلِكَ مِنْ وَجْهِهِ:

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٢٠٧، ٣٨٨٧) من حديث مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❖ **الوجه الأول:** أَنَّهَا لَمَّا فُرِضَتْ فُرِضَتْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّنَا

مُحَمَّدٍ ﷺ مَبَاشِرَةً، بَيْنَمَا بَقِيَّةُ فَرَائِضِ الْإِسْلَامِ تُفَرِّضُ مِنَ اللَّهِ عَلَى نَبِيِّنَا
بِوَسْطَةِ جَبْرِيَلٍ.

❖ **الوجه الثاني:** أَنَّهَا لَمَّا فُرِضَتْ فُرِضَتْ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي

الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، وَخَمْسُونَ صَلَاةً فِي أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً تَسْتَعْرِقُ مِنَ
الْإِنْسَانِ وَقْتًا كَبِيرًا، وَلَكِنَّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ لِهَذَا النَّوْعِ
مِنَ التَّعَبُّدِ.

❖ **الوجه الثالث:** أَنَّهَا فُرِضَتْ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ الرَّفِيعِ وَهُوَ

أَعْلَى مَكَانٍ وَصَلَهُ الْبَشَرُ.

❖ **الوجه الرابع:** أَنَّهَا لَمَّا خُفِّفَتْ كَانَ التَّخْفِيفُ فِي الْفِعْلِ،

وَلَمْ تُخَفَّفْ فِي الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ.

وَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ يُحْرِصُونَ عَلَى الصَّلَاةِ غَايَةَ الْحَرِصِ؛ لِعَلِمِهِمْ

بِعَظِيمِ شَأْنِهَا وَمَنْزِلَتِهَا فِي الْإِسْلَامِ، حَتَّى إِنَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ إِذَا مَرَضَ
وَهُوَ مَعْدُورٌ فِي تَرْكِهِ لَصَلَاةِ الْجَمَاعَةِ يُؤْتَى بِهِ يَهَادَى بَيْنَ الرَّجْلَيْنِ
حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ، كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا

-يعني الصَّحابةَ- وما يتخلفُ عنها إلا منافقٌ معلومُ النِّفاقِ، ولقد كان الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يَهَادَى بَيْنَ الرَّجْلَيْنِ حَتَّى يَقَامَ فِي الصَّفِّ»^(١)، سبحانَ اللهُ! رجُلٌ مريضٌ، لا يستطيعُ أن يمشيَ ويأتي للمسجدِ، ومع ذلك يصرُّ على أن يأتي للمسجدِ، ويَهَادَى بَيْنَ الرَّجْلَيْنِ، أي: يُعْضَدَ لَهُ عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ حَتَّى يَقَامَ فِي الصَّفِّ، لكي يدركَ الصَّلَاةَ مَعَ الْجَمَاعَةِ فِي الْمَسْجِدِ.

وَلَمَّا طَعِنَ عَمْرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمْ يَقْطَعْ الصَّحَابَةُ الصَّلَاةَ، وَإِنَّمَا أَخَذَ عَمْرُ بِيَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَدَّمَهُ، وَأَتَمَّ بِهِمْ صَلَاةً خَفِيفَةً^(٢).

وَقَالَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ»^(٣)، وَكَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَكْتُبُ إِلَى عُمَّالِهِ فَيَقُولُ: «إِنَّ أَهَمَّ أَمْرِكُمْ عِنْدِي الصَّلَاةُ، فَمَنْ حَفِظَهَا وَحَافِظَ عَلَيْهَا حَفِظَ دِينَهُ، وَمَنْ ضَيَّعَهَا فَهُوَ لِمَا سِوَاهَا أَضْيَعُ»^(٤).

(١) أخرجه مسلم برقم: (٦٥٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٣٧٠٠).

(٣) أخرجه مالك برقم: (٥١).

(٤) أخرجه مالك برقم: (٦).

وَالشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ بِالْمِرْصَادِ، فَهُوَ أَوْلَى: يَحْرُصُ عَلَيَّ أَنْ يَهْوَنَ عَلَيْهِ شَأْنُ الصَّلَاةِ حَتَّى يَتْرُكَهَا، فَإِنْ تَرَكَهَا فَقَدْ اسْتَرَاخَ مِنْهُ، ثُمَّ إِنْ لَمْ يَتْرُكَهَا فَإِنَّهُ يَحْرُصُ عَلَيَّ أَنْ يَهْوَنَ عَلَيْهِ صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ فِي الْمَسْجِدِ فَيَتَنَاقَلُ عَنْهَا أَوْ عَنْ بَعْضِ الصَّلَوَاتِ؛ كَصَلَاةِ الْفَجْرِ، فَإِنْ عَجَزَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَهْوَنُ عَلَيْهِ شَأْنُ التَّبَكِيرِ إِلَى الصَّلَاةِ حَتَّى يَتَأَخَّرَ عَنْهَا، ثُمَّ إِنْ عَجَزَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَقْبَلُ عَلَيْهِ بِالْوَسَاوِسِ حَتَّى يَشُوْشَ عَلَيْهِ صَلَاتُهُ فَلَا يَخْشَعُ فِيهَا.

وَالسَّبَبُ الرَّئِيسِيُّ لِلتَّسَاهُلِ بِالصَّلَاةِ وَالَّذِي تَتَفَرَّغُ عَنْهُ بَقِيَّةُ الْأَسْبَابِ هُوَ: قَلَّةُ الْإِهْتِمَامِ بِهَا، وَإِلَّا فَلَوْ كَانَتِ الصَّلَاةُ أَكْبَرَ إِهْتِمَامَاتِ الْإِنْسَانِ فَإِنَّهُ سَيَحَافِظُ عَلَيْهَا، أَمَّا عِنْدَمَا تَكُونُ الصَّلَاةُ لَيْسَ لَهَا كَبِيرُ أَهْمِيَّةٍ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ، وَيَجْعَلُهَا عَلَيَّ الْهَامِشِ، إِنْ اتَّسَعَ لَهُ الْوَقْتُ صَلَّيْتُ، وَإِلَّا لَمْ يَصَلِّ أَوْ صَلَّى بَعْدَ خُرُوجِ وَقْتِهَا، فَهَذَا لَنْ يَحَافِظَ عَلَيْهَا بَلْ سَيَجِدُ ثِقَالًا وَتَكَاسُلًا عَنْهَا، مَعَ أَنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ رَبَّمَا تَجَدُّهُ فِي أُمُورِ دُنْيَاهُ حَرِيصًا عَلَيْهَا، لَا يَتَأَخَّرُ عَنْ

وظيفته، حريصاً على الأخذِ بأسبابِ الرِّزقِ، ولكنْ عندما تتأملُ في واقعه بالنسبة للصلاة تجدُ أنَّ عندهُ تقصيراً وتساهلاً كبيراً بشأن الصلاة.

اللَّهُمَّ اجعلنا مقيمي الصلاة، ومن ذريَّاتنا، ربَّنَا تقبَّلْ دعاءنا، واغفرْ لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين.

وصلَّى اللهُ وسلَّم وباركْ على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.



• الدَّرْسُ السَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ •

قِصَّةُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الرَّحْمَنِ خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَصَلَّى اللَّهُ
وَسَلَّمَ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ حَمَلَةَ الْعِلْمِ وَالْقُرْآنِ،
وَبَعْدُ:

فَمِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي تَكَرَّرَ ذِكْرُهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: مَبْتَدَأُ خَلْقِ
الْإِنْسَانِ، فَقَدْ ذَكَرَهُ اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** مَبْسُوطًا وَمَجْمَلًا فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ
مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ **عَزَّ وَجَلَّ** لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ الْإِنْسَانَ
أَخْبَرَ مَلَائِكَتَهُ بِذَلِكَ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ
إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ
الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ﴾ (١).

ولمَّا خلقَ اللهُ أباناً آدمَ أرادَ أنْ يظهرَ شرفَهُ وفضلهُ للملائكةِ،

بأميرين:

❖ **الأمرُ الأوَّلُ:** أنَّ اللهُ تعالى علَّمَهُ أسماءَ كلِّ شيءٍ، ثمَّ عرضَهُم

على الملائكةِ: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ

فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ

لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾، فأظهرَ اللهُ تعالى شرفَ

أبينا آدمَ بأشرفِ صفةٍ في الإنسانِ، وهي العلمُ.

❖ **الأمرُ الثاني:** أنَّ اللهُ تعالى أمرَ الملائكةَ بالسُّجودِ لآدمَ

تكريماً له: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ﴿٢﴾، فسجدَ

الملائكةُ له، واستكبرَ إبليسُ وقال: ﴿ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ

طِينٍ ﴿٣﴾، فعصى ربَّهُ فلعنه اللهُ تعالى وطرده، كما قال سبحانه:

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾.

(١) سورة البقرة (الآيات: ٣١-٣٣).

(٢) سورة البقرة (الآية: ٣٤).

(٣) سورة الأعراف (الآية: ١٢).

(٤) سورة ص (الآية: ٧٨).

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ مِنْ آدَمَ زَوْجَهُ حَوَّاءَ، مِنْ ضَلَعٍ مِنْ
أَضْلَاعِهِ، وَأَمَرَهُمَا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِأَنْ يَسْكُنَا الْجَنَّةَ، وَأَنْ يَأْكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
حَيْثُ شَاءَا: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا
مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١).

وَأَخْبَرَهُمَا بِأَنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوٌّ لَهُمَا: ﴿إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ
فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ (٢)، وَمَعَ هَذَا التَّحْذِيرِ مِنَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ
لَهُمَا إِلَّا أَنَّ الشَّيْطَانَ أَتَى إِلَيْهِمَا بِأَسْلُوبٍ خَبِيثٍ وَمَاكِرٍ، وَهُوَ الَّذِي
يَسْتَعْدِمُهُ مَعَ بَنِي آدَمَ، فَآتَى نَقْطَةَ الضَّعْفِ عِنْدَ الْإِنْسَانِ، وَهِيَ الطَّمَعُ
وَالْحِرْصُ، فَقَالَ: ﴿مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكِينَ أَوْ
تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ (٣)، وَلَمْ يَكْتَفِ بِهَذَا بَلْ أَقْسَمَ لَهُمَا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ إِنَّهُ لَمَنْ
النَّاصِحِينَ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَاسَمُهُمَا إِيَّي لَكُمْ لِمَنِ النَّصِيحِينَ﴾ (٤).

(١) سورة البقرة (الآية: ٣٥).

(٢) سورة طه (الآية: ١١٧).

(٣) سورة الأعراف (الآية: ٢٠).

(٤) سورة الأعراف (الآية: ٢١).

﴿فَدَلَّتُهُمَا بِغُرُورٍ﴾^(١) أَي: غَرَّهُمَا وَخَدَعَهُمَا، فَأَكَلَا مِنَ الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا أَكَلَا مِنْهَا طَارَ عَنْهُمَا لِبَاسُ الْجَنَّةِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾^(٢)، وَقَوْلُهُ: (بَدَتْ)، أَي: ظَهَرَتْ، وَ(سَوْءَاتُهُمَا)، يَعْنِي: عَوْرَتُهُمَا، وَالْعَوْرَةُ تُسَمَّى سَوَاءً لِأَنَّهُ يَسُوءُ الْإِنْسَانَ كَشْفُهَا بِفَطْرَتِهِ.

فَلَمَّا انْكَشَفَتْ عَوْرَتُهُمَا فَرَعَا، ﴿وَوَظْفَقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾^(٣) أَي: جَعَلَا يَأْخِذَانِ مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَيَسْتِرَانِ عَوْرَتَهُمَا، وَعَرَفَا بِأَنَّ هَذَا اللَّعِينُ الْخَبِيثَ إِبْلِيسَ قَدْ غَرَّهُمَا، فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ نَادِمَيْنِ وَلَمْ يَعْرِفَا كَيْفَ يَتُوبَانِ، فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ يَقُولُهَا هُوَ وَحَوَّاءُ، فَتَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمَا، وَهَذِهِ الْكَلِمَاتُ هِيَ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٤)، وَجَعَلَا يَقُولَانِهَا وَيَكْرُرَانِهَا، فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا.

(١) سورة الأعراف (الآية: ٢٢).

(٢) سورة الأعراف (الآية: ٢٢).

(٣) سورة الأعراف (الآية: ٢٢).

(٤) سورة الأعراف (الآية: ٢٣).

ولذلك أفضلُ كلماتٍ يقولُها التَّائِبُ هِيَ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وتابَ اللهُ على آدَمَ وَحَوَّاءَ، وَأَمَّا إِبْلِيسُ فَقَدْ لَعَنَهُ وَطْرَدَهُ؛ لِأَنَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَطْلُبِ التَّوْبَةَ أَصْلًا، وَإِنَّمَا فَقَطَّ تَوَعَّدَ آدَمَ، وَسَأَلَ اللهُ أَنْ يَنْظُرَهُ لِأَجْلِ أَنْ يَغْوِيَ آدَمَ وَبَنِيهِ لِأَنَّهُ يَرَى أَنَّهُمْ هُمُ السَّبَبُ فِي لَعْنِهِ وَطْرَدِهِ.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ بِحِكْمَتِهِ الْبَالِغَةِ قَالَ: ﴿أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾^(١)، وَالخَطَابُ مَتَوَجِّهٌ لِآدَمَ وَحَوَّاءَ وَإِبْلِيسَ، وَقَدْ اخْتَارَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ هَذَا الْكَوْكَبَ: الْأَرْضَ، وَهِيَئَهُ قَبْلَ ذَلِكَ لِسَكْنَى بَنِي آدَمَ، فَأَهْبَطَ اللهُ تَعَالَى أَبَانَا آدَمَ وَأُمَّنَا حَوَّاءَ إِلَى الْأَرْضِ وَمَعَهُمْ إِبْلِيسُ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَنَاسَلَ الْبَشَرُ.

هَذِهِ هِيَ قِصَّةُ مَبْتَدِئِ الْخَلْقِ، بَيْنَهَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ لَنَا فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ أَوْضَحَ بَيَانٍ، فَيَنْبَغِي أَنْ نَأْخُذَ مِنْهَا الدُّرُوسَ وَالْعِبْرَ، وَمَنْ ذَلِكَ:

■ عداوةُ الشَّيْطَانِ القَدِيمَةُ لِلإِنْسَانِ، فَالشَّيْطَانُ عَدُوٌّ لِلإِنْسَانِ، لَا يَريْدُ لَهُ الخَيْرَ، بَلْ يَريْدُ لَهُ الغَوَايَةَ، وَأَنْ يَدْخَلَ مَعَهُ النَّارَ.

■ وَمِنْهَا: أَنَّ الشَّيْطَانَ لَهُ أَسَالِبُ مَاكِرَةٌ وَخَبِيثَةٌ عَلَيَّ ابْنِ آدَمَ، فَلَا يَأْتِي الإِنْسَانَ بِطَرِيقٍ مَبَاشِرٍ لِإِقَاعِهِ فِي المَعْصِيَةِ، لَكِنَّهُ يَأْتِيهِ بِطَرِيقٍ مَاكِرَةٍ، وَيَنْظُرُ إِلَى نِقَاطِ الضَّعْفِ عِنْدَهُ، وَيَغْوِيهِ عَن طَرِيقِهَا، وَلِهَذَا قَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (١).

■ وَمِنْهَا: أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مَنْ ادَّعَى النُّصْحَ يَكُونُ نَاصِحًا، فإِبْلِيسُ أَقْسَمَ بِاللَّهِ لِآدَمَ وَحَوَّاءَ بِأَنَّهُ لَهُمَا لَمَنْ النَّاصِحِينَ.

■ وَمِنْهَا: أَنَّهُ مَنْ أَقْبَلَ إِلَى اللَّهِ تَائِبًا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَهْمَا كَانَ الذَّنْبُ، فَآدَمُ وَحَوَّاءُ لَمَّا أَكَلَا مِنَ الشَّجَرَةِ تَابَا إِلَى اللَّهِ فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا.

■ وَمِنْهَا: شَوْمُ المَعْصِيَةِ، فَآدَمُ وَزَوْجُهُ كَانَا يَتَنَعَّمَانِ فِي الجَنَّةِ

بأنواع النَّعِيمِ، وبمجرّدِ الوقوعِ فِي المعصيةِ بالأكلِ مِنَ الشَّجَرَةِ طَارَ
عَنْهُمَا لِبَاسُ الْجَنَّةِ وَانكشفتْ عوراتُهُمَا، وجعلًا يسترانها بورقِ
الْجَنَّةِ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّنَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَأَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ
وَحَسَنِ عِبَادَتِكَ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



• الدَّرْسُ الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ •

وزن الأعمال يوم القيامة

الحمدُ لله فاطرِ الأرضِ والسَّمَاوَاتِ، عالمِ الأسرارِ والخفِيَّاتِ،
أحاطَ بكلِّ شيءٍ علمًا، يعلمُ ما بينَ أيديهِمْ وما خلفَهُمْ ولا يحيطُونَ
به علمًا، وصَلَّى اللهُ عَلَى رَسولِهِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم
تسليمًا كثيرًا. أمَّا بعدُ:

فيقولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ
شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا
حَسِيبِينَ﴾ (١).

يخبرنا ربُّنا عزَّ وجلَّ في هذه الآيةِ عن الميزانِ الَّذِي تُوزَنُ بِهِ
أعمالُ العبادِ يومَ القيامةِ، فيقولُ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾؛
أي: ونضعُ الموازينَ العدلَ ليومِ القيامةِ، وهو ميزانٌ دقيقٌ جدًّا يزنُ
كلَّ صغيرةٍ وكبيرةٍ.

وَإِذَا كَانَ النَّاسُ الْيَوْمَ يَعْرِفُونَ أَنَّ أَدَقَّ مَوَازِينِ الدُّنْيَا هُوَ مِيزَانُ
الذَّهَبِ، فَإِنَّ مِيزَانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَدَقُّ مِنْهُ، فَهُوَ يَزَنُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ
الْخَرْدَلِ، ﴿وَإِنْ كَانَتْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا
حَسِيبِينَ﴾، وَيَزَنُ مِثْقَالَ الذَّرَّةِ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ،
﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (١).

وَقَدْ دَلَّتِ السُّنَّةُ عَلَىٰ أَنَّ مِيزَانَ الْأَعْمَالِ لَهُ كِفَتَانِ حَسِيتَانِ، تَوْضِعُ
الْحَسَنَاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالسَّيِّئَاتُ فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى، ثُمَّ تَوَزَنُ، فَإِنْ ثَقَلَتْ
كِفَّةُ الْحَسَنَاتِ وَلَوْ بِحَسَنَةٍ وَاحِدَةٍ كَانَ مِنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رَجَحَتْ
كِفَّةُ السَّيِّئَاتِ وَلَوْ بِسَيِّئَةٍ وَاحِدَةٍ كَانَ مِنَ أَهْلِ النَّارِ إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ اللَّهُ عَنْهُ،
كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٨)
وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا
يَظْلِمُونَ﴾ (٢).

(١) سورة الزلزلة (الآيتين: ٧، ٨).

(٢) سورة الأعراف (الآية: ٨، ٩).

ويقول سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ (٦) ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ (٧) ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ (٨) ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ (٩) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ (١٠) ﴿نَارُ حَامِيَةٍ﴾ (١١).

فيا أخي المسلم، استحضر عند فعل أي طاعة أنك ترجو أن تكون في كفة ميزان الحسنات، وفي المقابل استحضر أن كل ما يقع منك من معصية يكون في كفة ميزان السيئات.

وهذا الاستحضر يشجع المسلم على فعل مزيد من الطاعات، فهو في كل يوم يحرص على أن يضع في كفة ميزان الحسنات مزيداً من الأعمال الصالحة حتى تثقل، ويجعل المسلم يكف عن فعل المعاصي، فهو يحرص على ألا يضع في كفة ميزان السيئات ذنباً وسيئات تثقل كفة ميزان السيئات.

ومن رجحت كفة حسناته فهو المفلح، ثم درجة هذا الفلاح تكون بحسب أعماله، فيكون في أعلى درجات الجنة أو في أدناها،

أَوْ فِيمَا بَيْنَهُمَا، وَإِنْ رَجَحَتْ كَفَّةُ السَّيِّئَاتِ فَهُوَ الْخَاسِرُ، وَهَذَا الْخَسِرَانُ يُكُونُ كَذَلِكَ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِ، فِيمَا أَنْ يَكُونَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ، أَوْ يَكُونَ مِنْ أَقْلٍ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَوْ فِيمَا بَيْنَهُمَا.

وَالنَّاسُ عِنْدَ الْمِيزَانِ يَنْقَسِمُونَ إِلَى أَقْسَامٍ:

■ فَمِنْهُمْ: أَنَاسٌ تَرَجَحُ كَفَّةُ حَسَنَاتِهِمْ فَيَكُونُونَ فِي الْجَنَّةِ.

■ وَمِنْهُمْ: أَنَاسٌ تَرَجَحُ كَفَّةُ سَيِّئَاتِهِمْ فَهُمْ مُسْتَحَقُّونَ عَذَابِ النَّارِ

إِلَّا أَنْ يَعْفُوَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ.

■ وَمِنْهُمْ: أَنَاسٌ تَسَاوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ، فَلَا تَزِيدُ كَفَّةُ

الْحَسَنَاتِ وَلَوْ بِحَسَنَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَا تَزِيدُ كَفَّةُ السَّيِّئَاتِ وَلَوْ بِسَيِّئَةٍ

وَاحِدَةٍ، هَؤُلَاءِ هُمْ أَهْلُ الْأَعْرَافِ يَكُونُونَ فِي مَكَانٍ عَالٍ مُرْتَفِعٍ يَرُونَ

النَّارَ وَيَرُونَ الْجَنَّةَ، يَبْقُونَ فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَفِي النَّهْيَةِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ

بِرَحْمَةِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ. وَهَذَا مِنْ تَمَامِ عَدْلِ اللَّهِ تَعَالَى: أَنَّهُمْ لَا

يَتَسَاوُونَ مَعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ الَّذِينَ ثَقَلَتْ كَفَّةُ حَسَنَاتِهِمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ،

بَلْ يَتَأَخَّرُونَ عَنْهُمْ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى شَأْنَهُمْ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ.

ووزنُ الأعمالِ بهذه الدِّقَّةِ المتناهية يدلُّ على عظيمِ عدلِ الله تعالى.

والإنسانُ في الآخرةِ يرى كلَّ شيءٍ مرتباً على ما عملَ في هذه الدنيا، ويرى تمامَ عدلِ الله سبحانه كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(١)، فالدارُ الآخرةُ هي دارُ الجزاءِ، وهي دارُ العدالةِ المطلقةِ، وأمَّا الدنيا فليستَ بدارِ عدالةٍ بل فيها ظالمٌ ومظلومٌ؛ لأنَّها ليستَ بدارِ جزاءٍ.

والأعمالُ الصَّالحةُ تتفاوتُ في تثقيلِ كفةِ ميزانِ الحسناتِ، ومن أعظمِ ما يثقلُ به ميزانُ العبدِ يومَ القيامةِ أمورٌ، منها:

■ التَّوْحِيدُ الْخَالِصُ، فعن عبدِ الله بنِ عمرو بنِ العاصِ رضي الله عنهما، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلُصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سَجِلاً كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئاً؟ أَظَلَمَكَ كِتَابِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ،

(١) سورة غافر (الآية: ١٧).

فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ وَثَقَلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»^(١).

فانظروا إلى عظيم شأن التوحيد وأنه من أعظم ما يثقل ميزان العبد يوم القيامة.

■ ومن ذلك: حسن الخلق، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أثقل شيء في الميزان، يوم القيامة الخلق الحسن»^(٢)، وإنما كان الخلق الحسن من أثقل ما يكون في الميزان؛ لأنه يصحبه أعمالٌ صالحةٌ كثيرةٌ من إلقاء السلام، وحسن المعاملة، وكف الأذى، والقيام بحقوق المسلمين وغير ذلك.

(١) أخرجه الترمذي برقم: (٢٦٣٩)، وابن ماجه برقم: (٤٣٠٠)، وأحمد برقم: (٦٩٩٤)، وقال الترمذي: «حديث حسن». وصححه ابن حبان في صحيحه برقم: (٢٢٥)، والحاكم في المستدرک برقم: (٩).

(٢) أخرجه أبو داود برقم: (٤٧٩٩)، والترمذي برقم: (٢٠٠٢)، وأحمد برقم: (٢٧٤٩٦) واللفظ له. وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

■ وَمِنْ ذَلِكَ: الذِّكْرُ، فَهُوَ مِمَّا يُثْقَلُ بِهِ الْمِيزَانُ، خَاصَّةً التَّسْبِيحَ
والتَّحْمِيدَ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلِمَتَانِ
حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ:
سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»^(١).

وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«الطَّهْوَرُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ تَمْلَأَانِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»^(٢).

اللَّهُمَّ ثَقِّلْ موازيننا بالأعمالِ الصَّالِحَةِ، وَبَيِّضْ وَجوهنا،
وَأَدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَأَعِزَّنَا مِنَ النَّارِ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ
المسلمينَ الأحياءِ مِنْهُمْ وَالميتينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ.



(١) أخرجه البخاري برقم: (٧٥٦٣)، ومسلم برقم: (٢٦٩٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٢٣).

• الدَّرْسُ التَّاسِعُ وَالثَّلَاثُونَ • وَصْفُ الْجَنَّةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْجَنَّةَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ نُزُلًا، وَنَوْعَ لَهُمُ
الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ لِيَتَّخِذُوا مِنْهَا إِلَى تِلْكَ الْجَنَّاتِ مَوْتَلًا، وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، وَبَعْدُ:
فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسَالِبِ الَّتِي سَلَكَهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ لِدَعْوَةِ
النَّاسِ إِلَى تَحْقِيقِ الْعِبَادِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى؛ أَسْلُوبَ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ
الَّذِي قَدْ رُبِّطَ بَدَارِينَ عَظِيمَتَيْنِ، هَمَّا: نِهَايَةُ الْمَطَافِ لِلْبَشَرِيَّةِ، وَهَمَّا:
الْجَنَّةُ وَالنَّارُ.

وَالْحَدِيثُ فِي هَذَا الدَّرْسِ عَنْ أَوْصَافِ الْجَنَّةِ، وَسَيَكُونُ
الْحَدِيثُ عَنْ أَوْصَافِ النَّارِ فِي دَرْسٍ قَادِمٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.
إِنَّ الْجَنَّةَ وَمَا فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ وَالسُّرُورِ، وَالْفَرَحِ وَالْحَبُورِ؛ لِيَعْبَزُ
عَنْ وَصْفِهَا الْوَاصِفُونَ، وَهِيَ وَاللَّهُ جَدِيدَةٌ لِأَنَّ يِعْمَلَ لَهَا الْعَامِلُونَ، وَأَنَّ

يتنافسَ فيها المتنافسونَ، وأنْ يفنيَ الإنسانُ عمرَهُ في طلبِها، ففيها منَ النِّعيمِ ما يعجزُ العقلُ البشريُّ عنْ تصوُّره وتخيُّله، يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ:

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١).

ويصفُ النبيُّ ﷺ هذا النِّعيمَ فيقولُ: «قالَ اللهُ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» (٢).

ويقولُ اللهُ سبحانه في وصفِ هذا النِّعيمِ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُوبٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّهُم عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٣).

ويقولُ سبحانه: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُنْفِقُونَ فِيهَا أَنهَرٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴿١﴾ لَمْ يَتَغَيَّرْ وَلَا يَنْتَبِهُ أَبَدًا ﴿٢﴾ وَأَنهَرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ﴾

(١) سورة السجدة (الآية: ١٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٣٢٤٤)، ومسلم برقم: (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) سورة الدخان (الآيات: ٥١-٥٧).

بَحْمُوضَةٍ وَلَا فُسَادٍ ﴿وَأَنْهَرُ مِنْ خَيْرِ لَذَّةِ الشَّرْبِ لَيْنًا﴾ لَا تَصَدَّعُ الرُّؤُوسَ،
وَلَا تَزِيلُ الْعُقُولَ ﴿وَأَنْهَرُ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ تَجْرِي هَذِهِ الْأَنْهَارُ مِنْ غَيْرِ
حَفْرٍ، وَلَا سَوَاقٍ، يَصْرَفُونَهَا كَمَا يَشَاءُونَ ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ (١).
وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَعْبَادِ لَا حَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾
﴿٦٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ
وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا
تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ
الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا
تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ (٢).

والآياتُ في وصفِ الجنةِ ونعيمِها كثيرةٌ.

وقد جاءَ في السُّنَّةِ بعضُ صفاتِ الجنةِ وما فيها مِنَ النِّعَمِ، ومن
ذلك:

■ عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ

(١) سورة محمد (الآية: ١٥).

(٢) سورة الزخرف (الآيات: ٦٨-٧٣).

كَوَكَبٌ دُرِّيٌّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَتْفُلُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ^(١)، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعَيْنُ، أَخْلَاقُهُمْ عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ^(٢)، وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»^(٣).

■ وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ»، قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: «جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشِحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفْسَ»^(٤).

■ وعن أنسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَضَاءَتِ مَا بَيْنَهُمَا،

(١) الألوّة: بفتح الهمزة ويجوز ضمها وبضم اللام وتشديد الواو، وهي: العود الذي يبخر به. فتح الباري (٦/ ٣٢٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٣٣٢٧)، ومسلم برقم: (٢٨٣٤).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٣٢٤٥)، ومسلم برقم: (٢٨٣٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه مسلم برقم: (٢٨٣٥).

وَلَمَلَاتُهُ رِيحًا، وَلَنْصِيفُهَا ^(١) عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ^(٢).

■ وعن صهيبٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تَبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ **عَزَّ وَجَلَّ**» ^(٣).

يقول ابنُ عباسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: «لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ شَيْءٌ مِمَّا فِي الدُّنْيَا إِلَّا الْأَسْمَاءُ» ^(٤)، فَالاسْمُ هُوَ الْأَسْمُ، وَلَكِنَّ الْمَسْمَى غَيْرُ الْمَسْمَى، ففِي الْجَنَّةِ مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ، فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ لَيْسَتْ مِثْلَ فَاكِهَةٍ وَنَخْلٍ وَرُمَّانِ الدُّنْيَا، هِيَ فَقَطْ تُشَبِّهُهَا فِي الْأَسْمِ وَلَكِنَّهَا مُخْتَلِفَةٌ عَنْهَا فِي الْحَقِيقَةِ، قَدْ ذُلِّلَتْ قَطُوفُهَا تَذْلِيلًا، إِنْ قَامَ تَنَاوَلَهَا بِسَهُولَةٍ، وَإِنْ قَعَدَ تَنَاوَلَهَا بِسَهُولَةٍ، وَإِنْ اضْطَجَعَ تَنَاوَلَهَا بِسَهُولَةٍ،

(١) أي: خمارها. ينظر: فتح الباري (٦/ ١٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٢٧٩٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٨١).

(٤) أخرجه هناد في الزهد برقم: (٨)، والبيهقي في البعث والنشور برقم: (٣٣٢)، وقال

المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٥٦٠): «رواه البيهقي موقوفًا بإسناد جيد».

كَلَّمَا قُطِعَ مِنْهَا شَيْءٌ خَلَفَهُ آخَرُ، ﴿كَلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِءَ مُتَشَبِهًا﴾^(١)، أَي: فِي اللَّوْنِ وَالهِئَةِ، وَلَكِنَّهُ مُخْتَلَفٌ فِي الطَّعْمِ، ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾^(٢).

أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا آمِنُونَ مِنَ الْمَوْتِ، آمِنُونَ مِنَ الْهَرَمِ، آمِنُونَ مِنَ الْمَرَضِ، آمِنُونَ مِنْ كُلِّ خَوْفٍ، وَمِنْ كُلِّ نَقْصٍ فِي نَعِيمِهِمْ أَوْ زَوَالِهِ، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُودٍ﴾^(٣).

إِنَّ نَعِيمَ الدُّنْيَا مَهْمًا كَانَ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مَعَ مَرُورِ الْوَقْتِ يَمَلُّ مِنْهُ وَيَسْأَمُ، وَأَمَّا نَعِيمُ الْجَنَّةِ فَلَا يَسْأَمُونَ مِنْهُ وَلَا يَمَلُّونَ مِنْهُ، وَلَا يَبْغُونَ عَنْهُ حَوْلًا، ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حَوْلًا﴾^(٤).

وَمِنْ كَمَالِ نَعِيمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجْمَعُ شَتَاتَ أَفْرَادِ الْعَائِلَةِ إِذَا كَانُوا جَمِيعًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَدَرَجَاتِهِمْ

(١) سورة البقرة (الآية: ٢٥).

(٢) سورة مريم (الآية: ٦٢).

(٣) سورة هود (الآية: ١٠٨).

(٤) سورة الكهف (الآية: ١٠٨).

متفاوتةً، فيجمعُهم ويرفعُهم إلى أرفعهم درجةً، كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وَيُلْحِقُ اللَّهُ تَعَالَى بَعْضَهُمْ بَعْضًا إِلَى الدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مَنْ فِي الدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ شَيْئًا، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَمَا أَلْنَتْهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ (١)، وَإِنَّمَا يَرْفَعُهُم اللَّهُ تَعَالَى تَفْضُّلاً مِنْهُ، وَكِرَمًا، وَإِحْسَانًا وَحَتَّى يَكْمَلَ أُنْسُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ فِي دَارِ النَّعِيمِ.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ تَأَمَّلَ بَعِينَ الْفِكْرِ دَوَامَ الْبَقَاءِ فِي الْجَنَّةِ، فِي صَفَاءِ بَلَا كَدَرٍ، وَلذَاتِ بَلَا انْقِطَاعٍ، وَبَلُوغِ كُلِّ مَطْلُوبٍ لِلنَّفْسِ، وَالزِّيَادَةِ مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، مِنْ غَيْرِ تَغْيِيرٍ وَلَا زَوَالٍ، إِذْ لَا يَقَالُ: أَلْفُ أَلْفِ سَنَةٍ، وَلَا مِائَةُ أَلْفِ أَلْفٍ، بَلْ وَلَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ عَدَّ الْأَلُوفَ أَلُوفَ السَّنِينَ لَانْقَضَى عَدْدُهُ، وَكَانَ لَهُ نِهَايَةٌ، وَبَقَاءُ الْآخِرَةِ لَا نَفَادَ لَهُ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَحْصُلُ ذَلِكَ إِلَّا بِنَقْدِ هَذَا الْعَمْرِ» (٢).

(١) سورة الطور (الآية: ٢١).

(٢) صيد الخاطر (ص ٣٥٥).

يا سلعةَ الرَّحمنِ لستِ رخيصةً
 بل أنتِ غاليةٌ على الكسلانِ
 يا سلعةَ الرَّحمنِ ليسَ ينالُها
 في الألفِ إلا واحدٌ لا اثنانِ
 يا سلعةَ الرَّحمنِ ماذا كفؤها
 إلا أولو التَّقوى مع الإيمانِ
 يا سلعةَ الرَّحمنِ أينَ المشتري
 فلقد عرضتِ بأيسرِ الأثمانِ
 يا سلعةَ الرَّحمنِ هل من خاطبِ
 فالمهرُ قبلَ الموتِ ذو إمكانِ^(١)

نعيمُ الجنَّةِ، نعيمٌ عظيمٌ، يتنعمُ فيه أبدَ الأبادِ، ليس فيه مرضٌ،
 ولا همٌّ، ولا غمٌّ، ولا تعبٌ، ولا نصبٌ، ولا موتٌ، بل لذاتٌ متتابعةٌ
 إلى ما لا نهايةً، ينعمُ ولا يئأسُ، فيها ما تشتهيهِ الأنفُسُ، وتلذُّ
 الأعينَ.

فعلى المسلم أن يتزوَّدَ بالأعمالِ الصَّالحةِ رجاءً أن يُدخلَهُ اللهُ
 تعالى هذه الجنَّةَ، وعليه أن يسألَ اللهُ تعالى كلَّ يومٍ أن يدخلَهُ الجنَّةَ

(١) نونية ابن القيم «الكافية الشافية» (ص: ٣٥٤-٣٥٥).

وَأَنْ يُعِيدَهُ مِنَ النَّارِ، فَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ
الْجَنَّةَ ثَلَاثًا، قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ
ثَلَاثًا، قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَعِدْهُ مِنَ النَّارِ»^(١).

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسَأُكَ الْجَنَّةَ وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسَأُكَ
الْجَنَّةَ وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسَأُكَ الْجَنَّةَ وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ
النَّارِ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.



(١) أخرجه أحمد برقم: (١٣١٧٣)، والترمذي برقم: (٢٥٧٢) بسند صحيح. واللفظ لأحمد،
من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

• الدَّرْسُ الأَرْبَعُونَ •

وَصْفُ النَّارِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ، خَلَقَ الْبَشَرَ وَأَبَانَ لَهُمْ طَرِيقَ الْخَيْرِ
وَالشَّرِّ، فَفَرَّقَ إِلَى دَارِ النَّعِيمِ وَفَرَّقَ إِلَى نَارِ السَّمُومِ، وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا هَطَلَتْ الْغُيُومُ، وَسَلَّمْ
تَسْلِيمًا كَثِيرًا. أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ حَدَّثَنَا رَبُّنَا تَعَالَى فِي كِتَابِهِ مِنَ النَّارِ، وَأَخْبَرَنَا عَنْ أَنْوَاعِ
عَذَابِهَا، بِمَا تَنْفَطَّرُ مِنْهُ الْأَكْبَادُ، وَتَنْفَجِّرُ مِنْهُ الْقُلُوبُ، وَتَحَارُّ فِيهِ
الْعُقُولُ، إِنَّهَا وَاللَّهِ دَارُ الدُّلِّ وَالْهَوَانِ، وَالْعَذَابِ وَالْخِذْلَانِ، دَارُ
الشَّهِيقِ وَالزَّفْرَاتِ، وَالْأَنِينِ وَالْعِبْرَاتِ، دَارُ أَهْلِهَا أَهْلُ الْبُؤْسِ
وَالشَّقَاءِ، وَالنَّدَامَةِ وَالْبِكَاءِ.

وَمِمَّا جَاءَ فِي وَصْفِهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

قَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ

الْغَيْظِ ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ
وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا
يُؤْمَرُونَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾
سَرَابِيلُهُمْ مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن
فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَقَمِعٌ
مِّن حديدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا
عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا
وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ

(١) سورة التحريم (الآية: ٦).

(٢) سورة المرسلات (الآيتين: ٣٢-٣٣).

(٣) سورة إبراهيم (الآيتين: ٤٩-٥٠).

(٤) سورة الحج (الآيات: ١٩-٢٢).

يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَمَا نُصَلِّتُ جُلُودَهُمْ بَدَلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (٢).

والآياتُ في وصفِ النَّارِ وأنواعِ عذابِها الأليمِ الدائمِ كثيرةٌ.

ومما جاء في وصفِ النَّارِ في السُّنَّةِ ما يلي:

■ عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه، أن النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «يُوتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ

لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ يَجْرُؤْنَهَا» (٣).

■ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كنا مع رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم، إذ

سمعَ وَجْبَةً (٤)، فقال النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: «تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ

(١) سورة فاطر (الآيتين: ٣٦-٣٧).

(٢) سورة النساء (الآية: ٥٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٨٤٢).

(٤) أي: سقطة. شرح صحيح مسلم للنووي (١٧ / ١٧٩).

وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا حَجْرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا» (١).

■ وعن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنْ الزَّقُّومِ قُطِرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامَهُ» (٢).

■ وعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ (٣) مِنْ نَارٍ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ كَمَا يَغْلِي الْمَرْجَلُ (٤)، مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدَّ مِنْهُ عَذَابًا وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا» (٥).

إنَّهَا وَاللَّهِ دَارُ الْبُؤْسِ وَالشَّقَاءِ، وَالْعَذَابِ الشَّدِيدِ، دَارٌ سَاكِنُهَا شَرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَأَتْبَاعِهِمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِإِبْلِيسَ:

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٨٤٤).

(٢) أخرجه الترمذي برقم: (٢٥٨٥) وقال: «حديث حسن صحيح»، وأحمد برقم: (٣١٣٦). وصححه ابن حبان في صحيحه برقم: (٧٤٧٠).

(٣) الشراك: أحد سيور النعل. شرح صحيح مسلم للنووي (٨٦/٣).

(٤) أي: القدر. شرح صحيح مسلم للنووي (٨٦/٣).

(٥) أخرجه مسلم برقم: (٢١٣).

﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١).

فإن سألتَ عن مكانها فإنها في أسفل سافلين.
 وإن سألتَ عن طعام أهلها فهو الزَّقُّومُ، وهو شجرٌ خبيثٌ، مرُّ الطَّعمِ، كريه المنظرِ، لا يُسمنُ ولا يغني من جوعٍ، هذا طعامهم إذا جاعوا، فإذا أكلوا منه التهبت أبادهم عطشا ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماءٍ كالمهل يشوي الوجوه﴾ (٢) وهو الرِّصاصُ المذابُ، يشوي وجوههم حتى تتساقط لحومها، فإذا شربوه على كرهٍ وضرورةٍ قطع أمعاءهم، ومزق جلودهم، هذا شرابهم كالمهل في حرارته، وكالصديد في نتنه وخبثه، يضطرُّ شاربُه إلى شربه اضطرارًا ﴿يتجرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ (٣).

(١) سورة ص (الآيتين: ٨٤-٨٥).

(٢) سورة الكهف (الآية: ٢٩).

(٣) سورة إبراهيم (الآية: ١٧).

أَمَّا إِنْ سَأَلْتَ عَنْ لِبَاسِهِمْ فَلِبَاسُهُمْ لِبَاسُ الشَّرِّ وَالْعَارِ، ﴿قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ﴾^(١)، ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ وَتَغَشَىٰ وُجُوهُهُمْ النَّارُ﴾^(٢) فَلَا يَقِيهِمْ هَذَا اللَّبَاسُ حَرَّ جَهَنَّمَ، وَإِنَّمَا يَزِيدُهَا اشْتِعَالًا وَحَرَارَةً، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَقْوَاهُ بِهِ وَهَجَ النَّارِ وَحَرَّهَا عَنْ وُجُوهِهِمْ.

عَذَابُهُمْ فِيهَا دَائِمٌ ﴿لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾^(٣)، ﴿وَنَادَا وَيَمْلِكُ﴾ وَهُوَ خَازِنُ النَّارِ، ﴿لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ لَا يَرِيدُونَ حَتَّىٰ الْخِلَاصَ لِأَنَّهُمْ لَا يَرِجُونَهُ أَصْلًا، إِنَّمَا يَرِيدُونَ الْعَدَمَ. ﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾^(٤).

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ: هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ، أَوْ أَيَّ جُزْءٍ مِنْ جَسَدِهِ فِي نَارِ الدُّنْيَا لِمَدَّةٍ دَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ؟ أَلَا فَلْيُعَلِّمْنَا بِأَنَّ نَارَ الدُّنْيَا هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، أَيُّ: أَنَّ نَارَ جَهَنَّمَ ضِعْفَتْ عَلَىٰ نَارِ الدُّنْيَا تِسْعًا وَسِتِّينَ مَرَّةً، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا، كَمَا فِي حَدِيثِ

(١) سورة الحج (الآية: ١٩).

(٢) سورة إبراهيم (الآية: ٥٠).

(٣) سورة الزخرف (الآية: ٧٥).

(٤) سورة الزخرف (الآيتين: ٧٧-٧٨).

أبي هريرة **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا، مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ». قَالُوا: وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَإِنَّهَا فَضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةِ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا»^(١).

لقد حذّرنا الله تعالى من هذه النارِ غايةَ التحذيرِ في كتابهِ الكريمِ، وحذّرنا رسولَ الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** منها، فينبغي للمسلم أن يجعلها نصبَ عينيه، وألا يغفلَ عنها، وأن يتذكّرَها مشفقًا منها، فإنَّ الله تعالى قد أثنى على عباده المؤمنين الذين هم من عذابِ ربّهم مشفقون، فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۗ وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ۗ﴾^(٢) أي: خائفون.

وقال **عَزَّوَجَلَّ** عن أهل الجنة: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۗ﴾^(٣) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُّشْفِقِينَ ۗ أَي: كنا في الدنيا مشفقين وخائفين من عذابِ النارِ، ﴿فَمَنْ أَلَّهْهُ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُومِ

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٢٦٥)، ومسلم برقم: (٢٨٤٣).

(٢) سورة المعارج (الآيتين: ٢٦-٢٧).

﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿١﴾.

وقد وصفَ اللهُ تعالى عبادهُ أولي الألبابِ أنهم كانوا في الدنيا يسألونه النجاةَ مِنَ النَّارِ، فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٢﴾. ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ﴿٣﴾.

وعن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتْ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ ادْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتْ النَّارُ: اللَّهُمَّ اجْرِهِ مِنَ النَّارِ» ﴿٤﴾.

اللَّهُمَّ نَجِّنَا مِنَ النَّارِ، وَأَسْكِنَّا بِرَحْمَتِكَ دَارَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمْ عَلَي نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



(١) سورة الطور (الآيات: ٢٥-٢٨).

(٢) سورة الفرقان (الآيتين: ٦٥-٦٦).

(٣) سورة آل عمران (الآية: ١٩٢).

(٤) أخرجه الترمذي برقم: (٢٥٧٢)، والنسائي برقم: (٥٥٢١)، وابن ماجه برقم: (٤٣٤٠) بسند صحيح.

• الفهرس •

- مقدمة..... ٥
- الدرس الأول: استقبال شهر رمضان..... ٧
- الدرس الثاني: خصائص شهر رمضان..... ١٢
- الدرس الثالث: فضائل الصيام..... ١٧
- الدرس الرابع: حقيقة الصيام..... ٢٣
- الدرس الخامس: مفطرات الصيام..... ٢٧
- الدرس السادس: مفطرات الصيام المعاصرة..... ٣٣
- الدرس السابع: تفسير آيات الصيام..... ٣٩
- الدرس الثامن: ما يكثر السؤال عنه في شهر رمضان..... ٤٧
- الدرس التاسع: صلاة التراويح..... ٥٧
- الدرس العاشر: شهر رمضان شهر القرآن..... ٦٣
- الدرس الحادي عشر: المعذورون بالإفطار في شهر رمضان..... ٦٩
- الدرس الثاني عشر: شهر رمضان شهر الجود والإحسان..... ٧٥
- الدرس الثالث عشر: لن تنالوا البر حتى تنفقوا ممّا تحبون..... ٨١
- الدرس الرابع عشر: الأموال التي تجب فيها الزكاة..... ٨٦

- ٩١..... الدَّرْسُ الخَامِسَ عَشَرَ: أصْنَافُ أَهْلِ الزَّكَاةِ
- ٩٧..... الدَّرْسُ السَّادِسَ عَشَرَ: مَا يَكْثُرُ السُّؤَالُ عَنْهُ مِنْ مَسَائِلِ الزَّكَاةِ
- ١٠٣..... الدَّرْسُ السَّابِعَ عَشَرَ: غَزْوَةُ بَدْرٍ
- ١٠٩..... الدَّرْسُ الثَّامِنَ عَشَرَ: لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةٌ لَا تُرَدُّ
- ١١٣..... الدَّرْسُ التَّاسِعَ عَشَرَ: فَتْحُ مَكَّةَ
- ١١٩..... الدَّرْسُ العَشْرُونَ: فَضْلُ العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ
- ١٢٥..... الدَّرْسُ الحَادِي والعَشْرُونَ: الاعْتِكَافُ وَأَحْكَامُهُ
- ١٣٢..... الدَّرْسُ الثَّانِي والعَشْرُونَ: لَيْلَةُ القَدْرِ
- ١٣٩..... الدَّرْسُ الثَّالِثُ والعَشْرُونَ: الدُّعَاءُ فَضْلُهُ وَأَدَابُهُ
- ١٤٥..... الدَّرْسُ الرَّابِعَ والعَشْرُونَ: جَوَامِعُ الدُّعَاءِ
- ١٥١..... الدَّرْسُ الخَامِسُ والعَشْرُونَ: الثُّلُثُ الأَخِيرُ مِنَ اللَّيْلِ
- ١٥٧..... الدَّرْسُ السَّادِسُ والعَشْرُونَ: أسبابُ نَيْلِ مَحَبَّةِ اللَّهِ
- ١٦٥..... الدَّرْسُ السَّابِعَ والعَشْرُونَ: الصَّبْرُ وَأَقْسَامُهُ
- ١٧١..... الدَّرْسُ الثَّامِنُ والعَشْرُونَ: زَكَاةُ الفِطْرِ
- ١٧٧..... الدَّرْسُ التَّاسِعَ والعَشْرُونَ: فَضَائِلُ التَّوْبَةِ
- ١٨٢..... الدَّرْسُ الثَّلَاثُونَ: فِي خِتَامِ الشَّهْرِ وَودَاعِ رَمَضَانَ
- الدَّرْسُ الحَادِي والثَّلَاثُونَ: أَهْمِيَّةُ العَنَايَةِ بِتَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ وَصَفَاءِ
- ١٨٨..... العَقِيدَةِ

- ١٩٣..... الدرسُ الثاني والثلاثون: ثمراتُ الإحسانِ
- ٢٠٠..... الدرسُ الثالثُ والثلاثون: ثمراتُ التقوى
- ٢٠٧..... الدرسُ الرابعُ والثلاثون: أسبابُ الثباتِ على الاستقامة
- ٢١٣..... الدرسُ الخامسُ والثلاثون: المرأةُ المسلمةُ في رمضانَ
- ٢١٨..... الدرسُ السادسُ والثلاثون: أهميَّةُ الصَّلَاةِ وعظيمُ منزلتها في الدينِ
- ٢٢٦..... الدرسُ السابعُ والثلاثون: قصَّةُ خلقِ الإنسانِ
- ٢٣٣..... الدرسُ الثامنُ والثلاثون: وزنُ الأعمالِ يومَ القيامةِ
- ٢٤٠..... الدرسُ التاسعُ والثلاثون: وصفُ الجنةِ
- ٢٤٩..... الدرسُ الأربعون: وصفُ النارِ
- ٢٥٧..... الفهرس

